سماح حسين

رواية

حبيبتي كافرة

إهـــداء

إلى أرواح عمومتي وأبناءهم الطاهرة التي لايزال طيب ذكراهم يفوح عطراً بالأرجاء.

إلى ضحايا الصراعات في الوطن العربي، وتلك القلوب المحترقة على فلذات أكبادها.

إلى عيون الأمل، علها تفيض علينا بحناياها فتحيق بالوجع إلى غير رجعة.

بيني و طيفي

حدث حينما عزمت على كتابة روايتي هذه، أن تجردت مني روحي، فحلق طيفي عالياً وعيناي تبحلقان فيه مصعوقة.. لكنه بادلني بابتسامة ماكرة وهو يرى منظري الهلع، حرك فجأة سبابته وكأنه يتحدث، ظل فمه في حالة ابتسامة جامدة لا تهتز، سمعت صوتاً عميقاً يصدر من خافقي، أمسكتُ قلبي بكلتا يدي مفزوعة و صرخت:

- ما هـذا!!

ضحك طيفي عليّ وقال:

- إنه أنا يا ذكية، أنسيتِ أنه أنا أنتِ!!

لذا كلامي سينبثق من قلبك فاسمعيه جيداً!

لم أرد بحرف، وظللت أستمع لقلبي بحذر كي لا تفوتني كلمة..

- أردت مساعدتك كونك ستكتبين قضية، لذا سأمتزج بدواخل شخوص قصتك الحقيقيون، الذين يتنفسون هواء عالمنا، ويجوبون شوارعه، سأتشرب أفكارهم، أحاديثهم، طقوسهم وعاداتهم!

ضحكتُ ضحكة مدوية:

-أنسيت ستار الوجوه الضاحكة والباكية التي لطالما أخفوا مشاعرهم وأخلجاتهم عبرها!

قال وهو يعقد حاجبيه:

- سأحاول فك الشيفرات التي تؤرقك، سأرتبها بفن، وأحيك محادثاتهم الإلكترونية على مسرح الحياة الرقمية كما جرت أحداثها في ذلك الزمان، فتخطيها بقلمك على صفحات الكتب فتخلد حكايات لا تندثر..

قلت وأنا أتفرس جدية ملامحه:

- أبوسعك حقاً مساعدتي!

اختصر كل هذا العناء واكتشف لي أمراً واحداً فقط " لم الإختلاف يؤذينا؟! "

وضع طيفي كفه تحت ذقنه بتعابير حائرة وظل يفكر:

- حسن، سأجد حلاً لتلك الشيفرة، لكن أرجوك عديني أن تضعي تنويه بسيط على رأس أولى فصول روايتك..

همس لي بكلماته فابتسمتُ بحبور وهتفت:

- لك ما طلبت أعدك طيفي الجميل!

" إن كنت مكبلاً في سجن عُرفي، طائفي أو ديني، إن كنت ممن يؤذيهم اختلاف الآخر عنك فهذه الرواية ستوجعك.. إتخذ قرارك بسرعة ولا تقرأ!!

وإن قررت القراءة فاستعد للصدمات! "

طيفي

يناير ٢٠١٥

"وطن"

الثالثة عصراً.. إنه موعد قدومه من عمله، بدلة مخملية كلون البحر و قميص كلون السماء تعتليه ربطة عنق مخططة باللونين الأبيض و الكحلي صارت مرتخية و مجعدة لشدة التعب من دوام المكتب لساعات طوال، ارتمى بإنهاك على الآريكة الجلدية فوشية اللون في الصالة، يمسح حبيبات العرق على جبينه العريض و شعره السبط؛ لقد كان يوماً سعيداً و مميزاً بالنسبة له.. حين طور من الآليات المتبعة في شركته الوليدة، و جهز أنظمة متقدمة و متكاملة للمعامل.

تُطل هديل أخيراً عائدة من المعهد الإسلامي لتعليم حديثي العهد بالإسلام تعاليم دينهم الجديد، أتت صغيرته رشا ذات العامين برفقتها، و ما أن سمعت الصغيرة صوته حتى صاحت فرحة بأبيها.. ركضت نحوه في سعادة غامرة لتتلقاها يداه المفتوحتان على اتساعهما :

" بابا.. حبيبي.."

" رشروشتي حبيبتي.. "

شدت وجنتيه بأناملها الصغيرة بأقصى قوتها،

يدّعي البكاء و يبدأ باللهو معها..

ترتمي هديل هي الأخرى على الآريكة في إرهاق، و تتوعد الصغيرة بألا تضايقها و أن تبقى قليلاً عند والدها حتى تستعيد راحتها، يستغل مزاجها المعكر و يريد مضايقتها بنفسه، لمعت فكرة خبيثة برأسه، يضحك بداخله وها هو يستعد لينفذها.. قال بنبرة حادة :

-جائع جداً، أكاد أموت من الجوع.. هلا تحضرين لنا وجبة ما؟!

رمقته بنظرات متذمرة وغير راضية:

- ألا تصبر قليلاً ! أتيت لتوي متعبة جداً.

يبدو أن اللعبة قد راقته، يريد أن يكمل ما بدأه ليكسر الملل والرتابة الذي بات يفيض على حياته مؤخراً، سيرى الآن ردة فعلها تجاه تغيره المفاجئ، أتكون عاقلة وصابرة، وتقوم بترويضه كطفل غاضب تهدهده قليلاً قليلاً في حنوٍ حتى يَسكن جموحه! أم أنها ستصبح كثور هائج، يُطلق سيقانه للريح وهو ينفخ الدخان من منخاره لشدة الغضب دون أن يرى ما قد يصطدم به أمامه، فيكسر عظام من يعترضه ويجتاز حواجز المشجعين ويدهسهم في جنون!! أم أنها ستولول وتختار أن تدافع عن نفسها مستخدمة أسلحة الأنثى الأشد فتكاً (الصراخ والدموع).. رفع صوته متصنعاً القوة:

-قلت جائع.. هل من طعام لذيذ يُدفئ معدتي الباردة إثر شتاء ينخر عظامي مثل المسامير ؟!

رمقته بنظرات مُستنكِرة مُعاتبة.. لكنها حاولت مداراة الأمر ببساطة:

- لم لا نطلب اليوم من مطعم البيتزا القريب ؟!

تابعت وهي تستلطفه بنبرة دلال:

أرجوك.. عزيزي.

اقترب منها و أمسك كفيها في حدة، عيناه تكادان تخرجان من محجريهما من الغضب بشكل قد أرعبها حقاً:

- معدتي لا يعجبها إلا أكل البيت، هل ستطبخين أم لا؟! أنا لن أكون الشخص الذي تعودتِ عليه، أنا رجل يمضي شبه يومٍ كامل في العمل ومعدتي تصرخ بشدة.. تكاد تبتلع أمعائي !!

تُصدم لعصبيته.. ولكلامه الجارح في وقت لم تعد هديل هي الأولى، تلك التي بمقدورها كشف لعبته في غمضة عين، تلك التي تستخدم سحر عينيها فتغرقه في بحرهما، فيسافر هائماً للجنة وقد نسي وعكاته التي تؤلمه كلها. لقد أضحت جادة صارمة في تعاملها، والتمثيليات السخيفة لم يعد لها موطئ في طبيعتها، وكل هذا بسبب ظروف الحرب القاسية التي غيرتها كثيراً، وخلقت منها كائن ثلجي يذوب حتى التلاشي ما أن تبتدي رذاذات المطر بالهطول. تتكتل الدموع في مقلتيها وتتهافت الأوجاع فوق كاهلها حتى تسقط لثقلها.. صور مؤلمة تتقافز في ذهنها، تكسر بعنف زجاج ذاكرتها مخترقة إياه دونما رحمة، تلك الصور التي قررت حظرها قسرياً لكي لا ترهقها مجدداً، ها هي تراودها هذه المرة بقسوة. تشتد سرعة التقليب لصور إلبوم الدم في ثنايا عقلها، فَتُفتأ أوجاعها المرقعة بخيط واهن من جديد :

- و و لكن.. أنا متعبة، تعلم بحالي.. لم الإصرار!!

نبراتها بدأت تتهدج بحرقة، ودمعاتها تتسابق بالهطول، و الإلبوم يزداد تقليباً أكثر فأكثر :

تعلم أنني لست بخير!

تلعثم صوتها و راحت تنشج بالبكاء:

- جـ جدتي.. رشـ ا.. غمـ دان.. كلـ كلـ هم فارقوا الحياة.

دموع ونشيج بُكاء !! هذا مالم يُحسب له حساب. صَدَمتهُ ردة فعلها التي لم يكن يقصدها البتة.. كان حدسه يقول له بأنها ستروضه كطفل مدلل، وأنها ستمتص غضبه بأساليبها الأنثوية الساحرة.. ولكن الموقف برمته قلب الدنيا فوق رأسه، فما العمل !

أوجعته مرارتها، اتجه نحوها وقلبه غارق بالحزن.. اقترب منها ليحتضن كتفيها، ويمسح شعرها الحالك في أسف معتذراً:

- أرجوك، حبيبتي.. كنت أمزح و حسب!

ثم إن تلك الوجبات التي تعدينها و تغمسين أصابعك فيها لذيذة جداً.. اشتهيتها فقط، أهذا ذنب يستحق شلالات البكاء هذه !

تواصل البكاء دون أن تجيب.

يتابع كلامه مواسياً :

- ثم ألا تنسين ؟! ظننتك قد رميت كل أحزانك بعيداً في الصحراء لتنثرها الرياح العاتية دونما عودة.

ترد بالبكاء فقط.

يهتف بحرقة تكابد نفسه عليها :

- صار للجدة شهر مذ ماتت، ورشا وغمدان شهيدين.. أحياء يرزقون عند ربهم.

أرجووووك!!

غطت عينيها بكفيها و بكاؤها ينشج متقرحاً بالهوان و الضعف. بكت كثيراً، إنها فرصتها لتخرج عوالق الآلام بقلبها.. لربما أصيبت بحالة صدمة ألجمت فاها وحبست أدمعها لحظات مصائبها، فأتت هذه الفرصة في وقتها الأنسب.. بعد تأجيل طويل، أطلقت العنان لمشاعرها البائسة سيلاً جارفاً عن كل الفقد الذي أطالها، دقائق بعدها.. استكانت تنهيداتها السريعة وشحرجات بكاؤها، تفصح بصوت يقطع نياط القلوب :

- رباه ! لم يندمل جُرحي بعد، جراحنا المثخنة بآلالام الحرب أعمق مما نتصور.. تفتأ كل يوم مع كل جريمة بشعة تُلحق بالأبرياء.

يضمها لصدره.. يواسيها و يهدئها :

- ليتني أستطيع القبض على كل من جعلك حزينة واحداً واحداً و أزجه في سجن النسيان إلى الأبد، كي لا أرى دموعك التي لا تزيدني إلا ضعفاً و هواناً.. دموعك التي تلسعني بحرارتها، تهشش عظامي و تكويني.

تصمت في جمود و عينيها مثبتتين نحو ساعة الحائط في غير تركيز .

-.....

تمضي الدقائق تلو أخرى، الصمت القلق يحتل المكان، والنظرات تلوح في الأفقٍ من غير هُدىً. الأصابع متشابكة في توتر.. لا إحساس.. لا حروف تُصاغ.. السكون ثقيل حقاً.. حتى طفلتهما ذات الثالثة صمتت عن مشاغبتها، تراقب مستغربة ماذا حل بالقوم الذين تعيش معهم فجأة!

لكن صوتها أتى بشارة.. تجيبه و عينيها لا تزالان معلقتان تجاه الساعة.. و كأن عقلها قد استوعب لتوه فقط الرسائل المُتلقاة نحوها :

- على أيٍ منهم ستقبض ! الوطن كله مضرج بالدماء الملونة بألوان الشعب؛ دماء اشرئبت بها الأرض ينبوعاً حتى ارتوت.. أستقبض على المجرمين المتسببين بمراراتنا و أوجاعنا ! من قتلوا رشا ؟ أم من فجروا مسجد حينا ؟! أم على الملثمون ذوي الرشاشات الخبيثة في ساحة التغيير؟! أم عل

قاطعها بنبرات لا تقل ألماً عنها.. كل هذا الفقد، الوحشة، والظلام الطويل.. نظراته نُكست نحو الأرض تحوم في نقشات سجاد القطيفة البنفسجية في غير حول له ولا قوة:

- آآه يا رشا أختي الطيبة جداً.. و غمدان الذي لم أشهد مثل برائته و عفويته، اسمعي!!

نحن مؤمنون بالله، هو من سيخلصنا من كل المجرمين.. و سيوحد شمل أمتنا من جديد.

تلفت هديل رأسها نحوه أخيراً.. تغمغم بصوت هامس يحفه الخوف :

- أنا عصفورة عُشها قلبك، أرى العالم بعينيك، ومن رائحتك أتنفس الأكسجين الذي يمدني بالحياة...

قاطعها ليهمس في حنو :

- و أنتِ العمر كُله عزيزتي، و لك أعطيك قلبي هدية أغلفها بكل نَفَسٍ يحتويني.. هاه ! هل تقبلين قلبي هدية !!

أبتسمت ابتسامة باهتة، يتابع حديثه محاولاً تدوير أفكارها ولو قليلاً بالمبالغة التي لطالما يجيدها :

حبيبتي تبتسم أخيراً، وقلبي يذوب في سحر ابتسامتها..

حسناً إذن، قلبي لا يكفي، ماذا تريدين أن أهديك أيضاً !

القمر !

إن أردتِ القمر سأعطيك أيضاً..

نظرت إليه وهي ترسم شبح ضحكة:

- القمر ! اممم.. حسن، اجلبه لي، أنا حقاً أريده.

يفرح لضحكتها التي ملأت روحه بصفاء السماء، يستطرد في حماس:

- سأصعد منذ الليلة السطح.. سأراقب القمر بحذر شديد.. سأشرب كؤوس الشاي كي أظل صاحياً، و أستمر دونما هوادة في المراقبة؛ حتى إذا ما حانت منه غفوة، اقتنصه بسرعة وأكبله كي لا يهرب، فأقدمه لكِ هدية لن تكون أجمل من وجهك الوضاء حبيبتي.

اكتفت بابتسامة وردة تريد أن تذبل حزينة لرحيل الربيع.. يتبادلان نظرات صامته.. يهتف بصوت عميق بعد محاولات فاشلة لتسليتها :

- أعلم أنه الخوف.. يتملكك كثيراً عليّ، أرجوك لا تحزني وقري عينك.. لن يحصل أي مكروة إن شاء الله.. و سنظل معاً إلى الأبد..

هزت رأسها بإيجاب .. تقول وهي تشير لموضع قلبها :

- أو تدري ماهيتك هنا ؟!

تتابع القول دون أن تنتظر رده:

كنت نصفي الثاني ردحاً من الزمن، لكني ومع مرور الأيام أيقنت أنك لم تكن كذلك وحسب، بل أدركت أنك وطني، على صدرك الرحب أذرع مسافاتي نحو أحلامي، و اؤثث نجاحاتي بفخر على رفوفك الفسيحة.

تتابع بتهدج :

و لكني إن أضعتك في نوائب الزمن المقيت..

أختنق بدخان نار خفية لا تستعر، فلا يلحظ أحد لهيبها، فيدركوني فقط حين أتبعثر ذرات رماد!

يقاطعها بسرعة وعيناه تغرقان بالدموع:

- بعيد الشر عنك زهرتي الحلوة.. كفاك هذا الهراء أرجوك.. أعدك سنبقى معاً إن شاء الله..

يستطرد :

أتعلمين !

تنهدت ثم أجابت :

- ماذا !

- الوطن لا تمثله شخصيات أو رموز ليموت بموتها.. الوطن شاسع وأكبر مما تستطيع أفواهنا توصيفه.. الوطن أم قوية مناضلة لا تموت أبداً مهما جُرح كبريائها و مُزق جسدها من أبنائها المتمردين الذين أوجعوها بكثرة شجاراتهم و حماقاتهم.. من يتقاتلون فيها من أجل ميراثها و سلطان عرشها غير آبهين لمشاعرها المحطمة و جروحها الغائرة الدامية.. و حين تضعف قوتهم؛ تظل سقفهم و فراشهم و طعامهم، تحتضنهم لحصنها المنيع المُلَكَم و تأويهم لبيتها مهما اقترفوا بحقها.

تنهدت بحسرة لتزفر أنَّة عميقة:

- ولكن الوطن أُبتلي بعقول جاهلة، وما نحن إلا ضحايا -لأولياء الله المكرمين- من نَصَّبوا أنفسهم وسطاء لله، فصار كل ما يأمرون به أمراً من عند الله ليس فيه بتٌّ ولا جدل، أولئك الذين يصورون معاناة الوطن بحسب أهوائهم، وكلٍ يفدي مولاه بدمه، ووحدهم الأبرياء من يتصدرون قوائم نكبات حرب لم يكن لهم يوماً فيها ناقة ولا جمل.

قال مؤيداً:

- هؤلاء من يسلبون البسطاء آمالهم المتواضعة بالخناجر الحادة؛ و يستبدلونها بقهقهاتهم الصفراء النتنة..

تهز رأسها في إيجاب و قد ثبتت عينيها في عينيه.. تلكما العينان المتألقتان بوهج التفاؤل و الإصرار، تزودانها يومياً بوقود الطاقة الإيجابية كلما نفد مخزونها منها..

يقطب حاجبيه في يأس.. و صبره يطير متبخراً لقلة حيلته مردفاً :

- و إن ثمة شخصٌ لا يرى صواباً بأية فئة، يصبح عميلاً و جاسوساً فاسداً للغير لا محالة.

نظرت إليه في أسى وتابعت :

- هذا ما يحصل بحق.. فتحلل دمائهم.. و تزهق الأرواح الواعية الفقهة دونما ذنب غير أنها تريد لَمّ الأمة الواحدة و جمعها لتعيش في وطن واحد يتسع فعلاً للجميع متجاوزين لكل الاختلافات المذهبية و الحزبية المغررة بهم حتى الهلاك .

تنهدات ووجوم.. جو ثقيل مطبق بالصمت القلق لدقائق... يتبادلان النظرات الباهتة المكسوة باليأس وقلة الحيلة..

يجد نفسه يدندن بصوته الوارف الجميل :

- أنا مواطن و حاير أنتظر منكم جواب

منزلي في كل شارع في كل ركن وكل باب

وأكتفي بصبري وصمتي

وفروتي حفنة تراب

ما أخاف الفقر لكن كل خوفي من الضباب

أغمضت عينيها و أسدلت رأسها على كتفه.. ابتسمت أخيراً في انسجام مع أغنيته.. تحب صوته حينما يتلو القرآن و يصلي بها جماعة.. و تحبه أيضاً حينما يغني.. فالصوت العذب هو نفسه ينقلها إلى عالم آخر تماماً..

"تفاصيل حرفك ، تلك التي تُلقيها من ثغرك بأملٍ و إصرار .. نوتاتك الدوارة حول بعضها في تمازج سلس أنيق، ترانيم صوتك الدافئة، أهازيجك الوارفة.. أهيمها كلها فتتلقاها مسامعي كالخدر.. آه كم ألهو متنغمة بين حنايا أحاسيسك.. شغفك، حماسك، فرحك، كآبتك، روحك .. ألامسها، أحدثها جميعها و أمازحها.. ياه ! يا لها من بديعة !

تلك المشاعر ! أخلجاتك المشاكسة ! أحبها جميعها دون استثناء..

أيتها العنادل! يا من تهزين أجنحتك بغرور، و تترفعين عن باقي الطيور كونك أجملهن صوتاً..

ها أنا أُعلنها أمامك واثقة.. حبيبي أجمل منك صوتاً و لحناً و أغنيةً و قلباً "

تغرق في انسجام وتبدأ بالدندنة معه أغنية لطفي بوشناق التونسي :

= وثورتي كانت غنيمة وافرة لحضرة جناب

سادتي وأنتم حكمتم حكمكم حكم الصواب

ما يهم ولا أبالي الدنيا ديسها بمداسي

لكن خلولي بلادي

لكن خلولي بلادي

لكن خلولييييي بلاديييي

قلبه يطير سعادة، يريد تجاوز الأفق لأجلها.. يريدها سعيدة دوماً.. يزيد تفاعلهما مع ترديد الكلمات العميقة المؤثرة بكل أحاسيسهما.. تسوي جلستها و تحرك يديها بحركات دائرية و لولبية كالمايسترو، ينظر إليها فرحاً.. يبتسم في سخرية و مرح عليها "تعيش الجو بحذافيره ".. مواصلان ترديدهما :

= أنا حلمي بس كلمه، أن يظل عندي وطن

لا حروب ولا خراب لا مصايب لا محن

خذو المناصب والمكاسب لكن خلولي الوطن

خذو المناصب والمكاسب بربي خلولي الوطن

الصغيرة متجمدة أمام والديها مشدوهة لما يفعلانه مذ بدآ طقوس الجنون تلك "ما اللعنة التي حلت بهما فجأة! بكاء طويل مرير.. وجوم و جمود يتلوه أغانٍ و دندنات.. لقد جنا بالفعل".. ضحكا.. تسابقا لاحتضانها و تقبيلها.. و سرى يومهما كما ينبغي له أن يكون.

****

يوليو ١٩٩٧

- "يُحكى أن أباً شيخاً كبيراً اسمه آدم.. كان آدم مزيجاً عجيباً من كل الألوان.. لا ترى له لوناً محدداً بل كان شاسعاً مغموراً بألوان الأرض وتكوينات تربتها كلها.. رزق الله آدم بـ عشرون ابناً وثمانية، عاشوا جميعهم في موطن اسمه أرض الإنسان، وبالطبع تمتع ابناءه بميزات مبهرة وألوان خلابة.. بيضٌ كلون الحمام، وصفر يتوهجون طاقة كالشمس، وسود نشيطون يعملون ليل نهار فاصطبغت بشرتهم بسمرة داكنة جميلة..

كان الجميع يكملون بعضهم كجسر ملون يرتقي في البناء والعمران..

وأما الإخاء وحسن الجوار فكان من أهم الخصال التي كان يعتز بها آدم منذ عهد أسلافه الأولين.. مرت الأيام ومر طيب العيش وهناءه بذاك الزمان، كيف لا وجنة الله في الأرض تتربع بين يدي أب فاضل، تلك الجنة وارفة الظلال بأشجارها الغضة ونخيلها الباسقات، وتلك العيون الجارية والمروج اليانعة، كانت أرضاً خيرة خصبة تجود بسخاء على كل دابة بشرية أو حيوانية تتنفس، حتى الطير يلقم حبات القمح ويشبع بها عائلته، خيرٌ غير مجذوذ لكل الأنفس على أرض الإنسان، كل هذا الرخاء في حياة الأب المعطاء، سبب بهجة المساكين ومروي عطش السائرين ومُكسي عيارى البائسين، لكن السنين تعاقبت عليه دونما رحمة، والشيب تسلل رأسه في حين غفلة، ولم يدري سوى بالوهن ينخرعظامه، ولم يحدث هذا وحسب، بل حتى السقم غزا جسده الفارع المُهيب، فالعمر زائل زائل لا محالة ولا وسيلة لشربة ماء خالدة تقيه ضربة قوية ترتحل على إثرها روحه، أحس الشيخ بقرب أجله..

لكن همه بدأ حين صمت أبنائه فجأة.. يمتثلون لأوامره، و يجتنبون نواهيه، دون أن يعلم عما يبطنون من ظاهر الرأي وخافي النوايا، فقرر عقد اجتماع طارىء عند حقول القمح الذهبية مع طلوع الفجر، تعجب الأبناء لطلبه الغريب، تسللت الشكوك في نفوسهم وبدأت الوشوشات تتضارب بين أوساطهم، ورغم التناوشات بين الأخوة فقد قرروا الذهاب جميعاً، كانت حقول القمح الكثة تتراقص بتماهٍ بديع، تُحني خصرها لليمين تارة ولليسار تارة أخرى بانسياب مع اتجاه هبوب الرياح، فتفرد بأيديها الرشيقة سنابلها الناضجة بعُجب وفخر، والقمر يمتص آخر خيوط الليل ويسحبها شعاعاً تلو آخر، فيجمع أشعته الفضية في جعبته ليحفظها مواراً حتى الليلة المواتية، بذاك المشهد الساحر الذي يسلب لب القلوب الجميلة ولم يسلب قلوب بعض من حضروا إثر انشغالهم بكيفية حصد أكبر قدر من الغنائم؛ بدأت الألسن تبوح بما لم تعد تستطيع القلوب كتمانه.

قال (طامح) أكبر الإخوة في حدة : "أبي سيوزع التركة اليوم، لقد آن الوقت لفعل ذلك أخيراً " ، رد آخر: "أجل ، معك حق ، لكم لبثنا في العذاب المهين و نقص من الأموال والترف والنعيم، وما آخذه لا يكفيني ولا يسد حاجاتي الكثيرة أنا وزوجتي وعيالي ". تشتعل الأعين شرراً ويجتاح القلوب الغيظ، كلام يجر كلام، وصوت يعلو فوق آخر حتى أفضت لمشاجرات وسخرية جامحة:

"نحن فعلاً حمقى لتصديقه، أصبح طاعناً في السن وقد بدأ بالتخريف " أجاب آخر مؤيداً: "لا بد أنه نسي قراره باجتماعنا اليوم، سنلبث حتى الظهيرة ونحترق من الشمس ولن يأتي".

وشوشة و جدل تتضارب فيما بينهم، أتى أخ أوسط يدعى صارم لم يحتمل بهتان ما يدور حوله ، فشمر عن أنيابه الحادة كأسدٍ جاء لتوه من صيد مُرهق ليجد لبوته بقبضة عدوه اللدود أو أشد شراسة.. صاح منفعلاً حتى جذب انتباه الجميع :" أنسيتم أنكم تتحدثون عن أبيكم؟! من جعلكم ما أنتم عليه اليوم من عز وجاه؟! أليس هو؟ أبينا!! من رباكم وعلمكم العلوم والأخلاق والزراعة المثمرة والرعي وتصدير الفواكه والقمح ؟ لا تتحدثوا بما لستم به تعلمون و إلا...!

و إلا سأدع يدي تتكلم نيابة عني، أتفهمون!! "

أجاب طامح -الذي كان معروفاً بين إخوته بالطمع والجشع - بهدوء قاتل: " لا تتجادلوا لأجل شخص عبر الأزمان وخاض المعارك وشاخ وضعفت قوته، سيموت العجوز اليوم و نقتسم الميراث و نستمتع به أخيراً كيفما يحلو لنا، سئمنا هذه الحياة البائسة.. الوضيعة"

وما أن اصطدمت هاته الكلمات بأذني صارم وأخيه حازم حتى أسرعا بالاعتداء والضرب، فامتزجت الأجواء بدخان العراك المخيف بين الأخوة، انتفخت الأوداج في حدة وبأشد ما يكون من القسوة تصارعوا دون إبداء رحمة.. انقسم الأخوة بين موالٍ لطامح وآخر لصارم وحازم، تورمت العيون والوجوه، و انسابت الدماء بجروح متفرقة على أجسادهم.. تقاذفوا بالشتائم والألفاظ البذيئة "اخرس أيها الغراب الأسود المشؤوم... سأدهسك بقدمي أيتها الطماطم ، يا قصير.. يا نخلة عارية الثمر..." كلٌ يود نهش لحم الآخر بأظافره، وبوسط النائبات المفزعة، ظهر الأخ الأصغر (مسالم) مهرولاً نحوهم والذي قرر اعتزال العراك والمكوث على صخرة بعيدة عن إخوته.. صاح فجأة بصوت عالٍ "إنه أبانا ! لقد جاء.. لقد جاء! ها هو يمشي بين حقول القمح "

وما أن سمع الجميع ذلك حتى صمتوا عن العراك، محاولين توضيب هيئاتهم بنحو لائق دون جدوى، يظهر آدم أخيراً متوسطاً حقول القمح الذهبية يمر ببطء متكئاً على عصاه الخشبية، و بالطبع لحظ آثار العراك و الكدمات على وجوه أولاده، على الرغم من محاولة الجميع تغطية الجروح بأيديهم وثيابهم، خطى الشيخ الكبير بينهم ولم ينبس بكلمة، صعد على صخرة مستوية وجلس بروية عليها وأخذ يستريح يتنفس الصعداء حتى استجمع قواه قليلاً، كانت نظرات الجميع تحملق فيه في حذر ورهبة، نهض أخيراً، ودارت مقلتيه المتجعدتين حول أبناءه المتناهرين وقال بحزم:" اجتمعت بكم هذا الصباح لأمرٍ مهمٍ للغاية، أيامي أصبحت معدودة.. والمرض ينهش جسدي خلية خلية.. بِتُ ضعيفاً و لن أقاوم كثيراً، يا أبنائي الأعزاء؛ لا ينبغي على موطن الإنسان أن يتصارع فيه الأخوة.. وإني أخاف عليكم من أطماعكم وتحاسدكم من بعدي، فخشيتي عليكم فقركم واحتياجكم وضعف قوتكم إن تفرقتم.. وتناحرتم..

هل ترون هذه المساحة الشاسعة من حقول القمح الذهبية ؟! من بين مزارع الفواكه والنخيل والخضروات اخترت القمح بالذات!!!

تلفت الإخوة لبعضهم متعجبين، ودارت أكفهم وتعابيرهم المُبهمة متسائلين : "ولم القمح بالذات يا أبتي؟!"

نظر الوالد لعيونهم في حِدة، و جالت يداه المبسوطتان تلك الأرض المثمرة : "إني أوصيكم بالحفاظ على لقمة عيشكم من خيرات أرضكم هذه التي وهبنا الله إياها كرماً منه و رحمة، إن القمح أساس الحياة الرغيدة والكرامة والجاه، إن الخبز فيه عزتكم وانتصاراتكم، فاحذروا!!

أن تضيعوا لقمة عيشكم، وتذكروا بأن من يعطيكم الخبز يجبركم على خدمته ويفرض عليكم سلطته وجبروته..

ولا تنسوا !!

أطعموا المحتاج والطير والأنعام، وكونوا كرماء ولا تبخلوا على الضعفاء، وجودوا عليهم بما يؤتيكم الله من فضله..

لا تتفرقوا كي لا تنكسروا ، إنكم إن وحدتم مساعيكم للخير وكنتم عضداً لبعضكم لن يقدر أحد على كسركم أو هزيمتكم..

انظروا في المرآة.. جميعكم تختلفون في مزاياكم وألوانكم الجميلة.. تختلفون في الآراء والأفكار والطقوس، ومع هذا فأنتم تعبدون رباً واحداً، وسر جمالكم هو باحترامكم لاختلافاتكم وتقبلها..

تذكروا! مهما حصل فأنتم إخوة على أرض مباركة.. أحبوا بعضكم ولتعلموا أن التنوع ثراء!

تآخوا، واحذروا من أن يخدعكم الغول البشع في غابة الأشواك، أو الثعبان الماكر على جبل الفتنة، ألا وإنهما من أشد أعدائكم وأشدهم كرهاً لكم، لطالما جرت معارك كثيرة ضدهم منذ أمدٍ بعيد مع أجدادكم، فاعقلوا أنهم لم ولن يكونوا حلفائكم يوماً.. وتذكروا بأنهم لن يتمنوا لكم الخير أبداً؛ فلا تنخدعوا، وكونوا يداً واحدة ضدهم وستغلبونهم بإذن الله.. هذه وصيتي لكم فاحفظوها و اعملوا بها، وإن لم تفعلوا.. سوف تندمون! "

حسناً أبنائي تأخر الوقت وسنكمل القصة غداً إن شاء الله..

رفعت الصغيرة رشا رأسها في الظلمة ليضيء وجهها الصاف وكأنها البدر في تمامه.. نظرت لوالدها نظرة رجاء قائلة:

- أرجوك بابا أخبرنا ماذا سيحدث بعد ذلك، أستطيع السهر وقتاً أطول!

هتف محمد وهو يشد قميص أبيه متوسلاً :

-ما الذي سيفعله الأخوة! هل سيكونون يداً واحدة ضد الغول والثعبان! أم أن طامح وأتباعه سيحالفونهما؟ وهل ستظل أرض الإنسان جميلة كما هي؟؟ أرجوك بابا، لن أستطيع النوم إلا إذا عرفت باقي القصة.. أخبرنا أرجوك.

أزاح الوالد عبد الرحمن أيادي الصغيرين وقال بجدية مزدانة بالمرح :

- سنكمل في الغد أعدكما بذلك، عليكما النهوض باكراً كي تذهبا للمدرسة، أخلدا للنوم أحبائي.

صاح الولدان يتذمران :

- أوه .. بابا .. لا .. لاا!

لم يكترث الوالد لتوسلاتهما بمتابعة الحكاية، اقترب ببساطة منهما يقبّلهما ويغطيهما.. اتجه لخارج الغرفة راسماً على ثغره ابتسامة مشرقة متمنياً لهما أحلاماً سعيدة، وصباحاً يضئ دروبهم نحو غاياتهم.

****

مارس ٢٠٠٩

بخطىً وئيدة مثقلة بالتعب ترتقي الدرجات الكثيرة، للتو رجعت من جامعتها، تدلف منزلها، وتتجه نحو غرفتها القابعة في الركن الشرقي للبيت "السلام عليكم" قالتها بسرعة وهي مستمرة في السير... " وعليكم السلام ، الغداء جاهز يا هديل ، أسرعي.. "ردت عليها والدتها وهي ترتب الأطباق على السفرة، غيرت ملابسها وجلست مع والديها وأخيها لتناول الغداء، وكالعادة، جميعهم يتناقشون حول مواضيع عدة، وكلاً يُطلق وجهة نظره التي يقتنع بها دون تردد، كان الأب عادل يحاول أن ينصت إلى أبنائه في صبر، فتصدمه عقلياتهم، يحاول الحفاظ على رباطة جأشه أطول مدة ممكنة، ولكنه ما يلبث قليلاً حتى يتبخر ذلك الصبر، فيرمي برأيه المخالف كحجر يتعثر في طريقه عن إصابة الهدف، يستشهد ببراهين تخص فلسفته الخاصة معتقداً بصوابها دون غيرها، فتصدمه تبريرات أبنائه الذين كبروا و أصبحوا يناقشونه بفكر منطقي جديد موافقاً لكل معايير الحوار البناء و البعيد كُلياً عما أَلِفَه عن آبائه و أسلافه الأولين.. هكذا كانوا يبحرون في كل جلسة غداء وابعدها في أحاديثهم، يسبرون أغوار العلوم المتنوعة.. و يلتقطون أصدافها و لآلئها البراقة للعقول، مواصلين بذلك إبحارهم على قاربهم الحواري حتى يرسون على جزيرة آمنة تضم أجوبة عقلانية لكل تساؤلاتهم.

وما هي سوى سويعات حتى حلول العصر، تلتقط هديل كوباً كبيراً من القهوة الداكنة، وقطع من بسكويت القمح الذي تحبه، ترفع شعرها للأعلى وتربطه على شكل كعكة، وتسرع نحو غرفتها متلهفة، إنه وقتها الخاص لتسافر مع أصدقائها الرقميين من مختلف أقطار الأرض، التقطت لوحة المفاتيح (الحالة: متصل)..

هديل.. فتاة التسعة عشرة ربيعاً، عاشت طفولتها في تسعينيات القرن الماض مع والديها وأختها حنان التي تكبرها بثلاث سنوات وأيضاً أخوها مصطفى الذي يكبرها بخمس سنوات، تلك الأيام حينما كانت الحياة في عيني هديل الصغيرتين عالم مبهرج بالألوان، عالم كُله لعب ومرح، ذاك العالم المؤطر بـ(الشارع) كان محط أنسها وشغفها، تفوقت على كل أطفال الحي بشتى الألعاب الشعبية أو المخترعة من خيالهم الخصب، و لطالما خاضت مغامرات مشاكسة واندفاعية خطرة كمسابقات الدراجات الهوائية مع رفقائها الصغار في خطوط منحدرة جداً مليئة بالحصى وغير صالحة للدراجات، وكان الفائز من يسرع حتى خط النهاية بجوار بستان سندس المجاور لمنزلهم، أو كتسلق غصون شجر التين العملاقة مع ابنة عمها هالة وصديق طفولتها مراد، و الفائز من يصل أولاً لأعلى غصن فيها، فيخرج رأسه من وسط وريقات التين العريضة الكثة وقد جمع في دلو صغير أو حتى جيوب بنطاله أكبر كمية من التين الأخضر اللذيذ، بينما يقوم باقي الصغار بالتصفير والهتاف تشجعياً لهم من الأسفل.. على غرار ذلك، كان الأب عادل كل ما اصطدمت عيناه بابنته وهي معلقة في علو الشجرة الشاهق يطير عقله وتقف شعيرات رأسه الموشكة على الإنقراض بهول وفجيعة، فيصرخ بها ويوبخها ويتوعدها بالحرمان من الشارع أمد الدهر، معقباً بذلك أنها بنت والبنت إن سقطت من الأعلى - لا سمح الله - تنكسر، ولا تصلح مستقبلاً أن تصير امرأة كاملة.. تبكي وتصرخ كثيراً فتقعد في البيت أياماً، حتى إذا ما نسي والدها موضوعها خرجت لتتسلق من جديد ببراعة أكثر من ذي قبل مع باقي الصبيان والفتيات " يا جبل ما يهزك ريح "..

التحقت بمدرسة ابتدائية حكومية بعمر الخامسة، فرح والداها وابتهجت أساريرهما كونها قد تستبدل شقاوتها بالاهتمام بالدروس والمذاكرة، لكن ما حصل هو العكس، أضحت المدرسة بمثابة الجحيم عينه، تلك الصفوف المكتظة بالفتيات الصغيرات، حال الكثير منهن يوحي بالبؤس و الفقر و عدم اهتمام ذويهن بترتيب هندامهن وأشعارهن.. و معلماتٌ معظمهن قاسيات لا تفارق العصي أيديهن، وصراخهن المتوحش يصم آذان الصغيرات ويقبض أفئدتهن..

حين عودتها، كانت تجرها الأفكار تحاول فهم ما يدور في هذه الحياة الجديدة ، تتسائل في حيرة لا يفقهها عقلها "لماذا يُغصِّب الأهالي أبنائهم ليذهبوا كل يوم ست ساعات إلى هذا المكان المرعب؟ قمع وحزم وضرب بالعصا.. بالتأكيد لقد جُن الآباء لجرنا لمعقل التعذيب القاسي هذا!! "

كانت الإبتدائية مرحلة مُظلمة في حياتها فلم تكن تحرز علامات جيدة، بل كانت بالكاد تنجح على الرغم من محاولات والديها الكثيرة بالإهتمام بدراستها..

شعرت بأنها عصفورة صغيرة هشة مقارنة بالطالبات الأخريات الأكبر سناً وحجماً.. رهبة المعلمات اقتحمت قلبها الصغير، فلم يحاولن أبداً تفهم مشاعرها وتحبيبها بالعلم والمدرسة.. فتلك الأيام، العصا وحدها وسيلة التعامل مع التلاميذ الفاشلين مهما صغرت أعمارهم.

ومع كل هذا، لم تكن المدرسة المشؤومة لتثنيها عن شغفها بالشارع حين العودة، متنفسها الوحيد الذي يملأ وقتها بلحظات ممتعة لذيذة..

تعود خلسة لمنزلها، وتسرق دراجتها من ركن الفناء الخلفي دون أن يلاحظ أحد ذلك، فوالدتها مشغولة بالمطبخ، ووالدها متأخر في العمل.. تتسابق سباق الدراجات المهيب الذي تنظمه مع أبناء الجيران، ثلاث لفات كبيرة حول الحي.. الأسرع في اجتيازها هو الفائز حتماً.. اعتاد أصدقاؤها الانتظار كل يوم تحت شجرة الليمون الضخمة لبيت العم منصور، هتافات المشجعين الصغار تعلو المكان وكأنهم في مسابقة أولمبياد عالمية.. يمدون أياديهم على مشارف خط النهاية ليستقبلوا الفائز الأسرع، ليتوجوه بميدالية ذهبية أكلها الصدأ من كل أطرافها، فيحلق الفائز سعيداً لنيله ميداليته العظيمة بجدارة، هناك.. حيثما عالم الصغار، أمر كهذا لا يضاهيه سعادة في الكون بأسره!

انطوت أيام التسعينيات المشرقة بكل ذكرياتها المتناقضة، وبدأت الألفية الجديدة بانتقال عائلتها إلى منزلهم الجديد في حي الأصبحي شمال شرقي العاصمة صنعاء.. منطقة بعيدة جداً تحوطها الجبال السامقة من عدة أوجه، وهواء عليل لم تعبث به الضوضاء وعوادم السيارات بعد، فلم تكن مكتظة بالسكان آنذاك.. قيل عنها أن ثمة وحوشاً ضارية تتسلل من الجبال عند حلول الظلام، وقد يواجه الرجل "السِمِّع الضخم" يتربص به ليلاً ويلتهمه دونما رحمة.. وعلى كلٍ، مرت الأيام ولم تشهد عائلة هديل هذه الوحوش!

وبانتقال هديل للإعدادية، مالت الموازين وبدأت تغييرات كثيرة تتجلى في شخصيتها.. لقد أضحت أكثر ثقة بنفسها من ذي قبل، وذلك بسبب صديقاتها الجدد اللواتي جعلن صفحة المدرسة في ثنايا عقلها تشرق و تتلون بالطموح والأمل.. فصارت تتوق إليها بحب، وترسم في مخيلتها سُلم الأمنيات الطويلة.. النجاح، أن تصبح طبيبة، أن تشتري سيارة فارهة، أن تتزوج فارساً وسيماً وتنجب وو... كانت مهنة الطب أعظم مهنة، وأكثرها شرفاً ووجاهة و فخراً عند عائلتها، لماذا !! هي لا تعرف.. لكنها تريد تحقيق رغبة والديها بنفسها، و لم تفكر يوماً بأن الاهتمام والميول العقلي والذهني لمواد الرياضيات والأحياء والكيمياء ما سيؤهلها لتصبح طبيبة، ولم تكن تلك المواد لتستصيغها أو تتحمل عناء فك طلاسمها.. ومع هذا كانت تهذي للناس بأنها ستصير طبيبة، حتى أنها صرحت بذلك بثقة تامة على الهواء مباشرة على برنامج محلي للأطفال، وحين سألتها المذيعة وكأنها تتفرس شيئاً لا يصلح لتلك الملامح البريئة أن تمارس مهنة الطب وتقوم بتشريح أعضاء حيوية بقولها: "حقاً، متأكدة بأنك تريدين أن تكوني طبيبة!! في أي مجال ؟! " لتتلعثم هديل وترد عليها وهي تضحك في إحراج: " أنا.. أنا لم أحدد بعد "..

****

كالسرطان.. !

إن الغلو الديني ينتشر كالخلايا السرطانية، تبدأ كائنات ضئيلة، تتداعى محاولاتها الواهنة للالتصاق بشريحة أساسية في الجسم، شيئاً فشيئاً تكسب ثقة من حولها، تنظم بينهم، تمتزج معهم.. و تبدأ بتنفيذ خطتها بسرقة كريات الدم الحمراء المحملة بالأكسجين التي تحوم حولها دون أن تشعر، تصاحبها فتأتمنها وتستوثقها.. تتزايد قوتها، وتنبت عضلاتها، تهيمن وتقلب وجهها الآخر.. تُكشر عن أنيابها المفترسة و تهجم على شُرطة الصفائح البيضاء التي تحاول جاهدة مقاومتها، لكن الخلايا الخبيثة مستمرة بالانتشار في الكريات الحمراء فما تلبث أن تفرض سيطرتها، تتوغل بعنجهية بدائية لتستولي على مصنع الكريات البيضاء "النخاع العظمي" فتبث سمومها كلدغ أفاعٍ متسارعة بكل نواحي الجسم طامعةً بالوصول إلى مركز التحكم (الدماغ)!

بهدوء؛ تراقب هديل ما يجري في ساحة غرفة الدردشة

#ISLAM

تتأمل تفاصيل تلك المحادثة التي لم تستطع بعد إيجاد إجابات ترضي عقلها ومنطقها، مُسلمَين اثنين مُنظمين لمدرستين مختلفتين، تلقيا وتشبعا تعليمهما منهما. شخص غير مسلم اسمه ديفيد ينظم للغرفة ويسأل حول أمور عدة :

- أنا مسيحي كاثوليكي، اؤمن بالرب، وأحب مناجاته، أحاول فعل الخير قدر ما أستطيع، قلبي المحب يحتوي الناس الطيبين جميعاً، مسالم لا أعتدي على أحد، ولا اؤذي حتى نملة، ماذا تظنون فيّ؟!

=لا يكفي، كل ما تفعله لا يكفي لتنال رضى الرب عليك وتدخل جنته، لم تزل كافراً والنار ستكون مصيرك !!

(كافر) هذه هي الإجابة التي اتفق عليها المؤمنان المختلفان، ومهما فعل من خير ستحصده جهنم بنهاية المطاف، الرجلان المؤمنان لم يُسلماه صك غفران الله كون الله قد قال لهما إنه كافر مستشهدين بقوله تعالى:

"إن الدين عند الله الإسلام "

تقتنع هديل بوجهة النظر تلك، آية صريحة في القرآن تقصر الدين بالإسلام لا غير، لا مجال للتحدي الآن أو حتى المساومة.

يرسل شخص يدعى غريب قائلاً:

- و ماذا عن هذه الآيات :(لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)) ؟!

لن يُكْفَروه.. أتسمعون!

إن الله ليحب عبده الذي يتحلى بالخُلق والتقوى وهو على غير ملة الإسلام، ويبغض ذلك المسلم الذي لم تهذبه صلواته وصيامه ، فلا يسلم من حوله من شره وأذاه، الدين المعاملة الحسنة مع كل من حولنا وليس مجرد أقوالاً وانتماءات لا نطبقها !!

يصمت الجميع مندهشين، يراوغ على قوله آخرون ويستمر النقاش طويلاً، يدخل ديفد وغريب في نقاشات أكثر عمقاً في الغرفة الأم و نافذة الخاص لاحقاً، تروح أيام من بعدها وتجيء أخرى.. حتى ذات لحظة من عمر الدقائق، تسوي جلستها وتقف مندهشة إجلالاً وانبهاراً..

- أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله".

يرسلها ديفد أو سليمان كما بدأ يسمي نفسه إعلاناً مهماً بخط أحمر عريض يضيء الشاشة كنجمة تنير فضاءاً حالكاً.

تقرأؤها هديل لا تكاد تصدق، قلبها يرفرف فرحاً، دمعاتها تتساقط تأثراً، هذه أول مرة ترى بعينيها كهذا المشهد البديع، أن تكون سبباً في أن يدخل شخص ما في دين الله، أمرٌ جلل!!

ظنت كما ظن البقية، أنهم من جذبوه للإسلام، أنهم من أعلموه بالحقيقة التي أنارت عتمة عالمه؛ من أعلموه بالتعارض الجسيم بين القرآن وبين ما تنهج به كتبهم المقدسة.

التبريكات تتهادى عليه من كل حدب وصوب، الأعضاء فرحين جداً.. يرسل بشير* :

- ديفد يسمى داوود بالعربية على اسم النبي.. لكن لم اخترت سُليمان وليس داوود!

يرد سليمان :

- لأني أريد ملكاً عظيماً كملك سليمان، أريد أن أملك قوة إيمانه بالله وولائه على الناس بالعدل والحكمة.. فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف 😊

بشير :

- اوه.. جميل حقاً، أنت تفكر بطريقة مختلفة عن المسلمين الاعتياديين، إذ في الغالب لا يريد المسلم غير حياة زهيدة، متواضعة، و أن يملك قوت يومه..

سليمان :

- وهذا ما يجعلني حزيناً على المسلمين في شتى بقاع الأرض، سقف آمالهم ضئيل، مشتتين، و مستضعفين أينما حلّوا إلا ما رحم ربي..

بشير :

- هذا اعتراف خطير سليمان!

لكن سأقول لك أن السبب في ذلك أنهم متفرقون، متحاربون فيما بينهم وليس لهم كلمة واحدة، إنهم يتبعون أهواءهم بتحقيق مصالح ذاتية و لا تهمهم أوطانهم وشعوبهم، وهم بهذا سيدفعون الثمن غالياً نتيجة استهتارهم. ومع هذا يا صديقي، أقسم لك بالأعظم، لو أنهم اتحدوا كلهم تحت راية المنهج السُني واتبعوا فقط سُنة الرسول الأكرم وصحابته الأفاضل لما رأيت كل هذه الترهات.

بعدها مباشرة يرسل آخر :

- لا تصدق، فالمذهب السُني لديه أغلاط كثيرة، وتزييف للحقائق، وتشويه لسمعة آل بيت رسول الله، بل يجب أن تكون شيعياً متشيعاً لآل الرسول الكريم، يرضى عنك الله ونبيه وآل بيته الكرام.. فكر ملياً يا سليمان و اتبع الحق.

هكذا أُقتيد سير المحادثة نحو المذاهب الإسلامية.. شيئاً فشيئاً تشتد حدة تلك الرسائل، كل يريد إقناع ديفيد المسكين الذي لم يرتقِ خطوة بعد - بعد إعلانه الشهادتين- ظل حائراً يقرأ ما تدليه الجماعتين من حقائق وتزييف حتى اختلط الحابل بالنابل، ومع هذا فهو يحاول جاهداً أن يفهم، أن يكون على صواب، لكن تلك الرسائل التي تستمر بالتدفق فوق المائتين لم تجلب له جواباً واحداً شافياً.

كانت هديل تراقب ما يدور بصمت، محتارة أي الفريقين على صواب، خصوصاً وأن كل فريق يثبت بدلائل قرآنية أو نبوية أو حتى من السيرة العطرة، بعد هذا كله، قررت أن ترسل رسالة :

إن آل البيت المعظم هم أولى بالاتباع، "وعترتي آل بيتي ".

شعرت بأنها أرضت ضميرها هكذا، قالت الحقيقة الجلية كالنهار، وألجمت أفواه من يحاول قول شيء غير هذا..

لكنها ما لبثت أن توافدت الرسائل المعارضة، المؤيدة للمذهب السني وصحابته الأفاضل، تقرأها فتشعر بميلان نحوهم فيعود ترددها، وتتأرجح أفكارها بين ما تعلمته من أهلها وبين ما تراه هنا.. " قد يكونون على صواب " قالتها بعد تنهيدة حائرة..

كل تلك المناوشات لأجل سليمان، ولكن أين هو سليمان؟ لقد حلّ الصمت من الجميع لحظة شعروا بأن تلك الرسائل لم يعد يقرأ منها شيئاً، الحيرة أخذت سليمان مأخذها، فصار عقله مشوش مضطرب، لم يكن يعلم بأنه سيتكبد هذا العناء بعد أن ارتاح قلبه وروحه للإسلام، صار يبكي في خلواته راجياً الله أن يهديه سواء السبيل، فهؤلاء القوم قد خيروه بين أن يكون إما مُسلماً سُنياً، أو مُسلماً شيعياً، وكلاهما ينحدر للكُفر والتقيية عند بعضهما البعض.

****

يوليو ٢٠٠١

- ما هذه الضجة الصاخبة؟! من يركل الكرة بباب داري؟

هيي، أنتن يا بنات!

تعالين لمساعدتي في تنظيف المنزل خيرٌ لكُنَّ من الشارع.. يا للعيب يا للعيب!

قالتها الحجة الستينية ألطاف وهي تلطم خدها، وتعض على شفتها السفلى متحسرة لتردف بقولها:

تلعبن في الشوارع وتصرخن كالصغار، أصبحتن كبيرات جداً، أتعلمن بأنني تزوجت أصغر منكن!!

التفت الأطفال نحو ردهة الباب المحاذية لهم يتأففون بخيبة ويأس، و من غيرها "الخالة ألطاف"، الجارة المتطفلة التي تحب دوماً إفساد لحظاتهم الجميلة، شعرت هديل وباقي رفاقها بالغيظ وهبوط حاد في الحماسة كلما أفزعتهم بظهورها المفاجئ، كل الجُرم أن بنات وصبيان الحي يستمتعون بلعبهم، بسباق الدراجات الهوائية والكرة، وصراخهم الحماسي يعكر صفو الخالة فتنزل كي تنكد ضحكاتهم وتفجر في وجوههم ما يتقهقر بداخلها من بؤس وضجر.

سكتت هديل وباقي الفتيات والفتيان تأدباً لكبر سنها.. لكن أحد الصبيان الصغار صرخ ببراءة:

- ما يزال هنالك جولتين حتى نعرف الفائز.. أرجوكِ جدتي دعينا نلعب!

زمجرت المرأة بحدة وهي تجحظ بعينيها بشكل مرعب، صاحت مهددة :

- إنني أخاطب أمهات الأجيال اللواتي لم ينضجن بعد! افعلن ما شئتن يا بنات.. ولكن تذكرن بأن جنية بشعة اسمها صياد تتجول في الأرجاء، تأخذ الفتيات اللواتي في الشوارع، تختطفهن وتضعهن في كيس كبير جداً، تمشي به حتى تصل لمنزلها، بعدها...

بعدها.. تلتهمهن كوجبة دسمة تشبع بها أسابيعاً، البارحة فقط رأيتها تخطتف فتاة بعمركن!!

قالت هديل مرعوبة:

- و أين منزلها! لم لا تقتحمه الشرطة وتقبض عليها وتحرر الفتيات؟!

أجابت المرأة بصوت خفيض وهي تلتفت يمنة ويسرة مصطنعة الخوف :

- من يدخل منزلها لا يخرج منه أبداً، هل رأيتم ذلك المنزل المهجور على بعد شارعين من هنا؟ شجرة ضخمة ومخيفة أمامه مباشرة، وعدد هائل من الأكياس البلاستيكية يتدلى من أغصانها.. أظنكم تعرفونه؟!

أومأ الجميع بالإيجاب، قالت إحدى صديقات هديل في ذعر :

- نمشي بقربه يومياً حينما نذهب إلى المدرسة.. إنه مخيف ومظلم و النوافذ مكسورة والستائر ممزقة ويصدر صوت مخيف جداً من الداخل ک كالصراخ!!

ترد طفلة أخرى :

- أجري من هناك كل ما مررت بجانبه وأنا مرعوبة.. لم أكن أعلم بأنه منزل صياد مختطفة الفتيات الصغيرات!

ردت المرأة :

- إنه منزلها.. وهي تجوب الآن الشوارع متخفية تبحث عن وجبة عشاء دسمة.

أجاب مُراد بصوت بدا عليه الشجاعة:

- لا تقلقن منها أبداً، سنضربها ونقبض عليها ونكبل أيديها.. وبهذا لن تستطع فعل أي شيء.. سأفكر بخطة رائعة للقضاء على هذه الشريرة، هيا.. لنكمل اللعب الآن!!

صاحت المرأة من جديد :

- ماذا؟! تواصلون اللعب وتصدرون أصواتاً مزعجة وتركلون الكرة بالباب! أوه يا الله إنها هناك تخفي وجهها البشع ومتكئة على عصا.. انظروا إنها في نهاية الشارع!!

أقفلت المرأة الباب بقوة وعادت أدراجها، و فعلاً نظر الأطفال حتى آخر الشارع ووجدوا امرأة عجوز تخفي وجهها بلثام تراثي ورداء ملون بتدرجات البرتقالي والأحمر يدعى "سِتارة" تمشي متكئة بعصا وأمامها أغناماً كثيرة، أثار ذاك المشهد مرتبطاً بما حكته الجارة الرعب بين أوساط الفتيات، وتوجهن لديارهن مباشرة، كن يركضن بهلع وجزع شديدين. قلّ خروج هديل وصديقاتها من يومها حتى تلاشى لعبهن بالشارع نهائياً، لم يحدث ذلك بسبب تلك المرأة فقط، بل لأنهن أحسسن بالنضج، و الإحراج للعب والجري خارجاً. تلك العادات التي تشربت عقول الآباء فصاروا يطبقونها على بناتهم باعتقادهم بأنها جزء لا ينفصل عن الدين.. لا دراجة هوائية، لا ركض، لا كُرة بعد الآن. لا بد أن يكن مستعدات لمرحلة النضوج التي ستبدأ قريباً كما يليق بمجتمع محترم، و بمكانة عائلة شريفة كعائلتها، كانت هديل كلما شعرت بتغير والداها فجأة بخصوص اللعب في الشارع وأن حريتها ستتقيد بأغلال العيب قريباً، تحاول استغلال كل ثوانيها باللعب، تتجمع مع صبيان وفتيات الحي وتخترع ألعاباً جديدة، تركض بأقصى قوتها في سباقات الماراثون خاصتهم، وتتعلم حركات صعبة ومبتكرة أثناء قيادة الدراجة، وكأنها كطفلة لم تستطع التعبير عما يخالج فؤادها.. تبكي لحظات الحرية والمتعة التي عاشتها ببرائة وتخاف من القيود التي سترتديها عما قريب باسم المجتمع والدين.

.....

مرت أيام و ليالٍ وهديل تناقش في تحاور الأديان وتنسخ النقاط المهمة لتتعلمها لاحقاً، كان بشير وسفينا من أهم الشخصيات الدعوية، فلديهم معلومات واسعة بشتى الأديان، كما يحفظون القرآن الكريم مع ترجمته بالإنجليزية كاملاً، ويلمون بعدد ضخم من المعلومات حول الكتب المقدسة في شتى بقاع العالم.

بخطوات هادئة، مضت هديل تحمل بسكوتاً و قهوة، متجهة إلى غرفة والداها، تطل عليه برأسها فتنساب ضفيرتها على كتفها برقة، إنه مستغرق بقراءة الكتب الدينية كالعادة، لابساً نظاراته القرائية ويجلس القرفصاء بثوبه الأبيض و عمامته المرقطة على الفُرش العربية المطروحة أرضاً و مُتكأه ووسادته المميزة.. تنط للداخل بمرح وتهتف:

- سلام.. أبي.

يتطاول بعينية لتخرجا من إطار النظارة، يرد مبتسماً:

- حَيّا بك هدولي، تعالي !

- هاها.. لقد كبرت لا تدلعني.

تقترب منه لتناوله القهوة و البسكويت، والدها يمازحها بأنها ستظل طفلته الصغيرة مهما اجتازتها السنين و حالت عليها الفصول، يتحدثا طويلاً عن أمور شتى، حتى تذكرت ما جاءت لأجله:

- اليوم سأخبرك عن أمر سيجعلك فخور بي!

قالتها وركضت بسرعة لغرفتها و جلبت قصاصات أوراق بالإنجليزية يعلو كل واحدة منها كلمة خُطت بأحمر كثيف IMPORTANT.

تتجاذب أطراف الحديث معه و هي تقلب تلك الأوراق، ابتسمت بفخر وعينيها تشعان بالحماس:

- أصبحت أحاور غير المسلمين عبر موقع إلكتروني مشهور يضم أناساً من كافة بقاع العالم، كما أجتهد في البحث عن المسائل المبهمة لدي لأجد الحلول المناسبة والعقلانية.

يرتفع حاجبي والدها في ذهول ويغمغم:

- أوه، جميل..

يضيف بنبرة مشككة و محذِّرة :

و لكن أأنتِ جازمة بأنك قادرة على إيجاد الإجابات الصحيحة ؟! يجدر بك الانتباه إلى عدم الوقوع بأخطاء في هذا الجانب.. فهذه مسألة جادة وحساسة للغاية و التساهل بتقديم حلول وأدلة أياً كانت أمر مخزٍ.

- أكيد، ثمة من يساعدني..

اممم، أعتبرهم مُعلميّ بهذا الشأن، أنا أتعلم من نوابغ يا أبتي وأقوم بنسخ ولصق مناظراتهم ثم أدرسها لاحقاً.

زم شفتيه قليلاً و قال مُجاملاً :

- جيد.. و لكن، عليكِ الحذر ممن يغسلون الأدمغة!

ردت وعلامات استفهام تحوم فوقها ولم تعجبها ردة الفعل الباردة تلك :

- ماذا تقصد؟!

قال بحزم و رصانة :

- أخاف حقاً أن تصطدمي بمن يخالفوننا في الفكر، في المذهب، وقد يغسلون مخك لتحيدي عن مسار عائلتنا منذ قرون، مسار الطُهر والنقاء لآل البيت العفيف.

قالت محاولة التبرير :

- لا أعلم مدى أهمية ذكر ذلك لي، أولئك النوابغ الذين ذكرتهم غالباً ما يتبعون منهج السنة، لكنهم يقرأون قرأننا و لا أجد شيئاً يخالفوننا به!

يبدو أن كلامها لم يرقه.. هتف بلهجة حازمة:

- أنتِ تجهلين الكثير بنيتي، أرجوكِ احذري من المكائد أياً كانت، ذوي اللُحى لا يجدر بنا الوثوق بظاهرهم الورع، و إن اشتممت منكِ أية تغيرات صدقيني سأمنعك جبرياً عن شبكة الانترنت!

ظنت به أن يشجعها فحدث العكس. توهجها و طاقتها فترت لكلامه، زمجرت متضايقة :

- أوه، يا أبي !!

أنا لا أرى صورهم و لا لُحاهم التي ذكرتها، أنا فقط يعجبني علمهم و حديثهم المستنبط من القرآن الكريم و السنة النبوية التي لطالما تشبعنا بها أيام المدرسة.

أردفت في حدة وهي تشير بكفها نحو قلبها :

ثم ألا تثق بي؟!

رد والدها و قد أرخى ملامحه قليلاً :

- بل أثق بكِ كثيراً. لكنني قصدت تحذيرك مما قد يطرأ عليك من شبهات وتلابسات تشتت عقلك النقي.

تنفست بعمق وأخرجت زفيراً طويلاً وكأنها تنفض الأفكار المزعجة التي راودتها لتوها:

- الحمدلله على ذلك عزيزي بابا، اسمعني.. سأحكي لك ما جرى البارحة..و بوسعك أن تطلق عليّ أحكامك بعدها.. حسناً؟!

ربت على كتفيها في عطف بيديه الكهلتين ثم ضم ذراعيه حول صدره ليقول في اهتمام :

- كُلي آذان صاغية، احكِ لي بنيتي.

- انظم شخص اسمه المستعار ATHEIST

أي "مُلحد" يسأل أسئلة مستفزة لدرجة أن البعض كان يفقد صوابه ويقذفه بألوان السب والشتائم، فيما كان البعض الآخر صبوراً ويعمد لتجاهله.

انهلّ علينا بأسئلته مستهزئاً راجياً قطع كل سبل الردود المنطقية، كان من ضمن أسئلته التي مازلت أتذكرها :

- ما هو دليلكم بوجود خالقكم اللا مرئي؟ كيف لنا أن نؤمن بشيء لا نراه، لا نلمسه أو نتحسس آثار وجوده؟ و إن كان موجوداً حقاً فمن الذي خلقه طالما أن قانون السببية الذي تستدلون به دائما يقتضي وجود مسبب لكل سبب، فالبناية من البناء واللوحة من الرسام، والطبخة من الطباخ.. وهكذا ؟!

توافدت الردود عليه فمنهم من قال:

- و كيف لك أن تؤمن بالمشاعر الإنسانية التي تختلج قلبك كالخوف والسعادة والحب والكُره دون أن تراها!! وكيف لك الإيمان بالروح التي تميز الأحياء من الأموات دون أن تلمسها بأناملك وتتحسسها! قانونها الذي وجدت فيه فرض عليها أن تكون غير مرئية على الرغم من إيماننا العميق بوجودها، فكذلك الخالق لا ينبغي له أن يُرى أو يُلمس (و لله المثل الأعلى) ومع هذا فنحن مؤمنون إيماناً لا شك ولا ريب فيه بوجوده. بل عن طريق مخلوقاته في هذا الكون الفسيح نراه ونشعر بجماله وجلاله وعظمته.

أضاف آخر :

- تذكرت حينما سأل نبي الله موسى ربه بأن ينظر إليه.. فأعلمه الله تعالى بأنه لن يراه (وهذا اللفظ يدل على استحالة رؤيته الآن وغداً ومستقبلاً) ثم أمره بالنظر إلى الجبل إن استقر مكانه فسوف يراه، بيد أن الله جعل الجبل دكاً لعظم سؤاله، ففزع موسى وصعق فاستلزم توبة نصوح.

أردفتُ أنا قائلة:

- كان ذلك جواب الجزء الأول من سؤالك، سأجيب عن الجزء الأخر "من خلق الخالق!" ردي بأن هذا سؤالٌ فاسد مردود على عقول ناقصة، كونك تقول بأن الخالق من خلقه! وهذا تناقض واضح للعيان، فالذي خلق قوانين الكون كلها لا ينبغي له الخضوع لقوانين فرضها على مخلوقاته، لإن الله هو الذي يبرهن على الوجود و لا يصح أن نتخذ من الوجود برهاناً.. تماماً كما نقول أن النور يبرهن على النهار و نعكس ذلك لو قلنا أن النهار يبرهن على النور، ويثبت هذا حديث قُدسي يقول (أنا يُستدل بي.. أنا لا يُستدل عليّ).

كما سأل أثيست سؤالاً آخر :

- لمَ تقولون أنه يوجد إله واحد فقط؟ لمَ لا يكون هنالك آلهة متعددين يوزعون الأعمال فيما بينهم؟! (استغفر الله)

أجاب أحدهم و قد استفزه سؤاله، فأرسل بعد أن رماه بوابل من الشتائم :

-إن الله كاملاً مكملاً، إنما يتعدد الناقصون.. فلو كان هنالك آلهة غير الله لفسدت السماوات والأرض ولذهب كل إله بما خلق وتقاتلا. لم لا تشاهد فقط أفلام الخيال العلمي التي تصور آلهة متعددين أشبه بما يكونوا قادة متجبرين همهم الوحيد حشد العبيد للقتال ضد بعضهم. تعالى الله علواً عظيماً عما تصفون.

أكدت أنا عليه بقولي :

- هذا صحيح، الكون أعظم و أجلّ آية لوجود الله الخالق الرب الواحد الفرد الصمد، فجميع المخلوقات من الحوت إلى الضفدع فالخيل و الحمامة و النبات ثم الإنسان مبنيون بوحدة تشريحية اسمها خلية؛ لها جميعها نفس المواصفات، تتنفس و تتكاثر و تولد و تموت بنفس الطريقة.. فهي مكونة من أعضاء كالأذرع وغرف القلب والشرايين والأوردة، و كلها مبنية بنفس النظام المتناسق الذي لا عوج فيه ولا أمتاً.. كل الكون في تناغم وانسجام مذهل من الشطآن والمحيطات إلى الجبال الراسيات فالسماء الزرقاء الواسعة.

بعد انتباه والدها لهذا، هتفت هديل بحماس :

- كانت هذه أبرز تساؤلاته.. ما رأيك! كيف كانت ردودنا؟!

- أبهرتني حقاً، ردودكم كانت ملجمة لن يقدر أن يتفوه بأية ترهات مرة ثانية.. وكل ما سأل سؤالاً يقفز إليه عشرة.

ابتسمت بمرح و قالت وهي رافعة رأسها قليلاً و عينيها تشعان فخراً :

- إحم.. كيف وجدتني خصيصاً !!

اصطنع الأب ابتسامة ساخرة.. و قال مظهراً عدم الاكتراث :

- همم.. أنتِ !! تحتاجين للتعلم أكثر..

انكمشت تعابيرها مبدية خيبة أمل لم تتوقعها.. قالت وهي تزم شفتيها في استياء :

- ماذا!!

أعلم أنني مبتدئة، لكن إجاباتي كانت واضحة أيضاً.. كنت أقرأ كتاب (حوار مع صديقي الملحد) للرائع مصطفى محمود، استنبطت منه القليل.

ضحك الأب تاركاً لنفسه العنان حتى تراجع للخلف، و قال وقد ارتخت ملامحه :

- كنت أمزح معك بنيتي، بداية ممتازة.. أسأل الله أن ينير قلبك وعقلك .

****

الجانب الآخر من الأرض

(أوكلاند) كاليفورنيا

تسللت خيوط أولى من أشعة الشمس الذهبية لتخترق ستائر الغرفة الناعمة.. فيصل انعكاسها بثنايا الأثاث المترامي في أرجاء الغرفة.. دق المنبه متجاوزاً السابعة بعشرة دقائق صباحاً، انتفض عمر و فتح عينيه بصعوبة، فهو لم ينم جيداً البارحة لانشغال باله و توترات لم تفارق حسه تحسباً لما سيؤول إليه يومه الآتي، اليوم الذي أباح لنفسه أن يعلق حُلمه على مشذابه.. حلمه الذي بات بعيد المنوال؛ يئس كل من حوله منه.. و لم يفتر هو عنه أبداً أو يستسلم.. يتشبث ببذرة أمل قد تكون بمكان ما علّها تضيء حياته و يسير لما خُلق حقاً لأجله.. شد ذراعيه للخلف شابكاً أصابعه ومرن ظهره ورقبته بحركات ملتوية بضع مرات ونهض أخيراً.. إنه صباح جميل ذو نسمات باردة، تتغلغل نفحاته كالسهام بمسامات الجلد، تلحف بردائه الصوفي.. غسل وجهه ثم تلا ورده اليومي من أذكار الصباح وآيات قرآنية، بدل ملابسه المجهزة بعناية منذ البارحة، أكل بضعة لقيمات من الشطائر بالجبن والعسل والزيتون وكوباً من القهوة كانت قد أعدتها له خالته كاثرين.. وخرج متوكلاً على الله في المدينة التي ولد فيها (أوكلاند)، انطلق بسيارته قاصداً شركة الصيدلة التي اتصلت به منُذ بضعة أيام؛ بعد تخرجه من جامعة " أوهايو "منذ بضع سنوات.. هَمّ يبحث عن عمل ليُثبت نفسه في مجال الصيدلة والدراسات الدوائية - تخصصه بالجامعة والماجستير - بناية ضخمة طوابقها من الزجاج والألمنيوم تتوسط الشارع الذي يعج ببنايات تضاهيها وتتنافس في هندستها وتصميمها المعماري..

- واو!

وول مارت فارماسي، يالضخامتها!!

بسم الله.

دخل في خطىً مرتبكة من الباب الزجاجي الكبير ذو الفتحتين العريضتين، بنظرات متفحصة جاب المكان، صالة استقبال واسعة تحوي كراسي حديدية ملتصقة على الجانبين، خلفها مكاتب الموظفين بالجزئين الأيمن والأيسر، جميعهم مشغولون إما بتصفح أنواع الأدوية والعقاقير الطبية بواسطة الحواسيب أو باستلام روشتات الزبائن الطبية ثم تسليمهم الدواء المناسب..

سار متقدماً متصنعاً الثقة نحو السكرتيرة.. هتف وقد أنزل ناظريه نحو الطاولة:

- مرحباً..

تجيبه السكرتيرة الصهباء وهي تطالعه في شك:

- أهلاً.. كيف أخدمك؟!

- أنا الدكتور عُمر.. و لدي موعد مع مدير الشركة اليوم.. قرأت منذ فترة بالموقع الإلكتروني الخاص بالتوظيف عن احتياج شركتكم لموظفين، فقمت بإرسال سيرتي الذاتية وتم الاتصال بي لإجراء مقابلة اليوم .

- أوه.. أجل، أنا والأستاذ جيكوب ننتظرك.. انتظر قليلاً، سأبلغه بقدومك..

مشيرة إلى مقاعد الانتظار :

تفضل بالجلوس رجاءاً..

عقّد عُمر حاجبيه لدى ذكرها اسم (جيكوب) وازدرد ريقه بصعوبة.. جال بخاطره :

- آخ يا ربي، جيكوب اسم لا يبشر بخير أبداً، أسألك العون ربي..

جلس على مقاعد الانتظار يتدرب مرات أخرى على أسئلة وإجابات من المفترض عليه اجتيازها بالمقابلة ببراعة وثقة تامة..

لبث عشر دقائق منتظراً يهيم بتساؤلاته الكثيرة، كيف سيكون شكل جيكوب ! متجهم الوجه.. حاد العينين.. وجه مكشر لدى رؤيتي ... أخذه فأل الشؤم و نذير اليأس لصحراء ظلماء تخلو من كل مبشرات الحياة.. صوت باب المدير يُفتح أخيراً، قفزت نظراته بلهفة إليه.. رجل خمسيني ذو بدلة بنية أنيقة يهم بمغادرة المكتب..

هتفت السكرتيرة بابتسامة لبقة:

- دكتور عمر.. من فضلك ادخل.. حان دورك..

نهض بهدوء، رتب ياقته وجرته خطاه نحو المكتب مُتلبساً ثقة يُحسد عليها.. فتح باب المكتب أخيراً ليواجه جيكوب... رجل سمين متوسط الطول، يبدو في منتصف أربعينياته يلبس بدلة رمادية مرصعة بأزرار لامعة فضية.. بشرة حمراء و شعر أحمر مجعد ينحدر حتى كتفيه.. وعينان زرقاوين صغيرتين تغوصان بداخل خديه الممتلئين.

- مرحباً أستاذ جيكوب..

- أهلاً دكتور عمر تفضل بالجلوس رجاءً..

اتجه عمر للمقعد الكتاني المقابل لمنضدة المدير واتخذ جلسة ملكية باسطاً كلتا يديه على رُكني المقعد و قال بذات الثقة:

- أنا عُمر عبد القادر، دكتور صيدلاني.. أتمنى أن أكون عند حسن ظنك..

هتف المدير جيكوب بعد أن ارتسمت ابتسامة على مُحياه :

- موظف الموارد البشرية رشحك لنيل هذا المنصب كما ترى، ووضع اسمك على رأس قائمة المرشحين الآخرين..

وضع يده تحت ذقنه ورفع رجلاً فوق أخرى مضيفاً:

قرأت سيرتك الذاتية وأعجبني محتواها.. علاماتك الدراسية كانت ممتازة.. وخبراتك التي جمعتها بالعمل التطوعي جيدة جداً..

- شكراً أستاذي.. لقد اجتهدت كثيراً في دراساتي، فأنا أحب مجال الصيدلة كثيراً، كما أحببت شركتكم كونها رائدة بمجال البحث والتطوير، كما تعلم فأنا مهتم بالاختبارات والبحوث الدوائية لكي أكتشف علاجات لأمراض مستعصية.. ينبغي عليّ لاحقاً التأكد من مدى جودتها ومطابقتها للمواصفات المحلية و العالمية، كما أن هدفي الإنساني الأعظم الذي أنشده بكل قواي وأسخر بنات أفكاري لأجله هو مساعدة الناس على إيجاد الدواء الصحيح المناسب لحالاتهم بسهولة وبأجود الصناعات والمواد وبأنسب الأثمان.

قال جيكوب وعينيه تتسعان دهشة :

- ممتاز.. أتمنى أن تحقق أحلامك.. فأنا أشجع همم الشباب العالية. تعلم أن خريجي الصيدلة أو الدراسات الدوائية هم الذين يفهمون عمل الدواء وكيف يحقق النتائج المرجوة منه، وكيفية تفاعله مع غيره من المواد الغذائية والأدوية الأخرى، وآثاراها الجانبية...

صمت قليلاً و هو يُقلب أوراق بحثه في الماجستير :

- هذه البحوث.. حول مادة الـ (بي اتش ١٧).. تعتقدها مفيدة لعلاج السرطان !

سُر عُمر لاطلاعه على البحث.. يُحدثه بحماس مسترسلاً:

- أوه، أجل.. في الواقع كنت مُركزاً كثيراً على هذا الموضوع.. قرأت وتعمقت في أبحاث كثيرة للدكتور هارولد دبليو مانر الشهير عن مادة "لايترايل".. و كل ما في الأمر خليط لنواة ثمار فاكهة المشمش و الخوخ و التفاح أو جنين القمح مع بعض المواد الأخرى لفيتامين بي ١٧، إنها تحتوي على أكبر الكميات من الأكسجين، وباستطاعتها أن تقوي دفاعات الجسم ومحاربة الخلايا السرطانية...

جيكوب رافعاً حاجبيه في اهتمام.. يستطرد:

- وقلت أنه ينقصك مُختبراً لتحقيق نتائج عظيمة قد تحدث ثورة في عالم علاج السرطان!!

يهز عمر رأسه ببطء يوحي ببعض التردد:

- فعلاً، هذا ما أظُنه.. أريد فحصها و تجريبها.. و ينقصني.. مختبر.. و فريق...

استمرت المقابلة نحو نصف ساعة.. ظل جيكوب يناقشه بإسهاب عن اللوكيمياء و الاختبارات الدوائية.. وكان عمر يتحدث بكل ثقة وطلاقة برزت فهمه الواسع لهذا المجال.. و حين أفرغ المدير جعبة أسئلته الملتوية و المباشرة.. ابتسم أخيراً مردفاً:

- حسناً، انتهينا عمر..

عمر متوجساً النتيجة و قلبه لا يكاد يصمت من خفقاته اللاهفة.

- حقاً! انتهينا !

و... ماذا !

جيكوب يُكشر وجهه و يقطب حاجبيه :

- هممم.. أعتذر حقاً..

فلا يزال طب الأعشاب قيد التجارب، ونسب النجاح مضللة على عكس العلاجات الكيميائية المتداولة.

يتفاجأ و يبهت صوته، جف ريقه، ازدرد غصة ليتلعثم قائلاً:

- لا، لا عليك..

لكن فكرتي بالمزج بين الطريقتين، وليست الاعتماد على واحدة، عقلي يحمل الكثير من الحلول والأفكار، وكل ما ينقصني مختبر ومواد إيجادها صعب علي..

على العموم شكراً لوقتك أستاذ جيكوب..

ينهض بسرعة و يهم بالخروج.. و دمعة خفية تكاد تهرب من مقلته.. تلحقه كلمات جيكوب المستدركة :

- لم أنتهي بعد.. اجلس رجاءاً..

جلس و نظراته المحبطة لا تعلم أي كلمات مشينة ستهبط عليه.. ككل مرة سيلدغونه بتصرفات مهينة لا تحمد عقباها.. اختلاف دينك يا عمر يشكل هاجساً يغشي بصيرتهم عن كفائتك.. لم لا تمضِ و حسب! إلفِ كرامتك و غادر قبل أن تُداس بقذارتهم... يعاتب نفسه.

جيكوب وهو يضحك:

- لم تتصرف هكذا، أنا لم أرفضك بصريح العبارة، بل أعتذرت لك فقط.. واعتذاري هذا كونك ستتسلم مكتبك و مهامك الطائلة منذ الغد.. أتريدني أن أفلت عبقرياً مثلك هباء ؟! سأندم طوال عمري إن تركتك.. هاها. فحصك عن اللوكيمياء أذهلني حقاً..

رفع عمر حاجبيه في ذهول.. تعابيره متفاجئة إثر وقع تلك الكلمات.. مصدوم يتلقى كلمات المدير كالبلسم الذي يدواي الخيبات المتراكمة على كاهليه.. لم يتوقع قبوله أبداً من هكذا شخص.. امتلأت نفسه فرحاً و سعادة.. زاولته رغبة بفعل شيء أخرق.. القفز المتكرر كالأطفال، تخيل منظره وهو يفعل ذلك.. سيبدو سخيفاً لا محالة... أقفل قبضة يده اليمنى بإحكام ورفعها قليلاً وشكر الله تعالى و مجده.. أراد حينها لو بإمكانه أداء سجدة شكر لله.. رد بوقار:

- هذا رائع حقاً، الحمد لله على هذه البداية الموفقة.. شكراً جزيلاً لك أستاذي.

بادئ الأمر؛ لم يعقد عمر آمالاً كبيرة على هذه الشركة حين ذكرت السكرتيرة اسم المدير(جيكوب) فقد ظن أنهُ ربما يكون يهودياً متعصباً ضد العرب والمسلمين. وعلى الرغم من حمل عمر للجنسية الأمريكية مذ يوم ولادته، إلا أنه لايزال يعاني من التعصب العرقي والديني من قبل البعض.. ربما لشكله كونه يطلق بضعة سنتيمترات لحية أبا إلا أن يبقيها اقتداء بالرسول وصحابتة الأفاضل.. وربما لاسمه.. فبعد أكثر من عشر محاولات فاشلة لينضم إلى شركات صيدلة أخرى كان السبب الرئيس بفشلها اسمه وشكله وتحفظه الواضح تجاه النساء؛ كانت هذه أولى خطواته نحو النجاح..

رن هاتفه بعد ساعة من المقابلة، بينما هو مستغرق في الحديث عن مغامرته وكيفية أدائه فيها مع أصدقائه جوزيف و بشير ومايكل في إحدى المقاهي أمام بحيرة ميريت الخلابة.. يأتي الصوت لاهفاً:

- السلام عليكم عمر.. أخبرني، كيف كانت المقابلة!!

صرخ عمر في حماس و قلبه يطير فرحاً:

- وعليكم السلام والدي.. أبشرك، قُبلت.. قُبلت..

الأب لا يصدق ما يسمعه.. بنبرات ممزوجة بالذهول و السعادة :

- حقاً! احلف بالله.. احلف..

- أقسم لك.. لقد قبلت الحمدلله..

- أحمد الله من كل قلبي.. يئست من كثرة محاولاتك الفاشلة و مللت عنادك برفضك التام بالعمل بإحدى السوبر ماركت التي لدي..

رد عمر و نظراته تحوم في وجوه أصدقائه المتابعين بشغف دونما فهم للعربية لحظات تألق بين أب وابن صديقين :

- هاها، أبي.. شكراً لك، كل شيء كان محض توفيق من الله.. لم أفعل شيئاً مميزاً..

- حسناً سأبلغ كاثرين بالأمر، لو ترى كيف حال خالتك ونحن نتكلم العربية.. منتظرة لأبلغها خبرك على أحر من الجمر.

- حسناً إذن.. سلم على الخالة رجاءً.

- سأفعل.. مع السلامة.

بدأ من اليوم التالي ممارسة مهنته التي لطالما حلم بها.. لديه طموحات جامحة باكتشاف دواء للسرطان، وكانت بحوثه في الجامعة تفيده، فيحاول تطويرها بناء على تجارب أكثر دقة. كان يقضي جُلّ يومه في غرفة الاختبارات والبحث والتطوير.. ويوماً بعد يوم انضم لصفوفه ثُلة من زملائه في العمل الذين يحملون ذات الطموح باكتشاف أدوية لأمراض مستعصية، ليشكلوا بهذا فريقاً لمساعدته..

وبينما يقوم عمر وزميله الجديد (كارلوس) ببعض الاختبارات وهما يلبسان نظارات وقفازات المختبر الوقائية إذ بهما يسمعان طرق الباب.. إنه الأستاذ جيكوب.. دخل بابتسامته البشوشة المعتادة وحس الدعابة الذي يتمتع به.. أخذ يسألهما عن اختباراتهما.. أجابه عمر بشرح نظرياتهما بخلط مواد عشبية وأخرى كيميائية للحصول على مادة جديدة قد تفيد لعلاج السرطان أو على الأقل تأخير أعراض انهيار الجسم عما هو مفترض عليه.. كان جيكوب يستمع إليهما باهتمام كبير و قد تجلدت ملامحه في جِدّية حتى أنهيا الكلام.. أشار بسبابته للأنابيب المملؤة بتلك المواد العلاجية محدقاً فيها بعينيه الزرقاوين الغائرتين في خديه، و قال بنبرة جادة:

- لو كان بإمكاننا إنجاح هذا الأمر لقدمنا للبشرية هدية لا تقدر بثمن.. الأمراض الخطيرة تفتك بالبشر يوماً تلو آخر، ويجب علينا تقديم حلولاً فعالة ، إن العمل الدؤوب وسيلتنا لنحقق ما نرنو إليه لأجل الإنسانية جمعاء.. أرجوكما إن أردتما أي دعم بشأن هذا الموضوع لا ترددا وتوجها إلي مباشرة، سأفعل ما بوسعي لمساعدتكما أنتما و الفريق.

هتف كارلوس و عيناه تشعان بالحماس:

- أوه شكراً جزيلاً أستاذ جيكوب، هذا ما كنا ننتظره حقاً، نريد دفعة معنوية لتشجيعنا و سنبذل قُصارى جهدنا، نحن نعمل ليل نهار على هذا الموضوع.. وسوف ننجح بالتأكيد.

أردف عمر مبتسماً :

- هذا أكيد، سننجح بعون الله.

****

إسلام _لايف

خرج جميع أفراد عائلة هديل لقضاء احتياجاتهم.. كان يوم خميس من صيف ٢٠٠٩، غادر أبواها لزيارة جدتها نور آية وعمها أحمد وأبنائه في القديمة صنعاء، أما أخوها الأكبر مصطفى فقد ذهب لمساعدة أختها حنان في بيت زوجها وسط العاصمة بنقل وتجهيز أثاث جديد لشقتها..

لم تدرِ ما تفعل.. تتململ على سريرها محاولة النوم أو الاسترخاء بعد يوم مرهق وشاق بالجامعة.. و لم تقدر.. لملمت خصلاتها المتناثرة و ربطتها بشريطتها الزهرية.. جلست مقرفصة.. رشفت من قهوتها الساخنة وجذبت حاسوب مصطفى المحمول.. فتحت موقعها المعتاد، لحظت عيناها اسم يناقش في الغرفة اسمه (ترو بيليفر) أي مؤمن حقيقي، امتعضت في استياء وتمتمت :

- من هذا الذي يظن نفسه مؤمن بحق! يبدو مغروراً..

تجرأت وفتحت حوار خاص بهما :

بارادايس*/ سلام.. ماذا تظن نفسك؟ أأنت حقاً مؤمن حقيقي؟!

ترو بيليفر**/ وعليكم السلام.. عفواً أخي / أختي.. ما الذي يزعجك بهذا؟ أشعر بهذا الشيء فأطلقته على نفسي..😑😕

بارادايس/ لكنك مغرور.. أعتقد أن من سمات الشخص المؤمن بحق التواضع وعدم وصف نفسه بهكذا صفات.. إني أحذرك أن تضل نفسك وتزرع فيها الغرور والتكبر بإيمانك المزعوم..😡

ترو بيليفر / إن الله الذي خلقني يعلم ما بنفسي.. لا تقلق يا صاح.. كل شخص يهتم بنفسه فقط.. فلا شأن للآخرين بعلاقاتنا مع ربنا😕

بارادايس / حسن كما تشاء، وددت النصح لوجه الله وحسب.. تدري بالحديث : "من رأى منكم مُنكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"..

ترو بيليفر / بارك الله فيك.. وجزآك الله خيراً.. شكراً لتذكيري بالحديث.

بارادايس / يعني ستغير اسمك المستعار.. و ستسمع لنصيحتي.. أليس كذلك؟!😊

ترو بيليفر / لا.. فأنا أحب هذا الاسم.. أنت تحدثت عن واجبنا لتغيير المنكر.. وهذا ليس منكراً.. هذا الاسم أو لِنقُل الصفة هي ما أتمنى أن أكونها.. أن أكون مؤمن حقيقي😊

بارادايس / OK .

تترك حاسوبها جانباً، و ما تزال المحادثة تموج بذاكرتها.. المحادثة التي لم تتوفق بها طبعاً.

- آآه، ما هذه البداية! ما بالي تسرعت بالحكم على هذا الشخص! امنح قلبي الصبر.. رباااه..

نهضت بسرعة.. اجتاحتها خيبة و خجل لانجرافها بفعل أمور حمقاء وعدم التريث بإطلاق أحكام على الآخرين.. جرتها قدماها للمطبخ دونما تركيز، جلبت تفاحة علها تنسى وتفكر بروية.. ظنت أن المحادثة انتهت عند هذا الحد.. راحت تقضم تفاحتها بسرعة قضمة تلو أخرى وهي تسير ذهاباً ومجيئاً مُحرجة من موقفها.. استوقفها خاطرها فجأة :

- لم أحرجت كل هذا الإحراج! هو لا يعرفني.. إنها مجرد غرفة إلكترونية لا أدري من أي عالم أتى ولا هو يدري من أنا.. يا لغبائي!

ارتاحت لأحاسيسها وغمرتها بالراحة للحظات.. عادت تتفقد حاسوبها مجدداً، ترى رسالة أخيرة من ذاك الشخص، ازدردت اللعاب بحلقها وفتحتها.

ترو بيليفر / معذرة.. هلاّ انضممتِ لغرفتنا الجديدة #ISLAM_LIFE ستحظين بوقت طيب معنا وتجدين أخوات مثلك..

مذهولة من الفراسة التي يتمتع بها هذا الترو بليفر:

- وكيف عرف بأنني فتاة ولم أخبره؟!!

على العموم يبدو هذا مثيراً للاهتمام.. سأجرب.. هاشتاج إسلام لايف،،، دخول ،،،،

حين انضمامها تفاجأت بعدد قليل من المستخدمين بهذه الغرفة.. أعجبها ذلك، ففي الغرفة الأم لا تستطيع مجاراة باقي المستخدمين لكثرتهم وسرعتهم ولأن لغتها الإنجليزية لم تكن بالقدر الممتاز كونها لا تزال في طور التعلم..

ترو بيليفر / أقدم لكم أختنا الجديدة بارادايس،،😃

بارادايس / السلام عليكم.

سفينا / وعليكم السلام.. أتمنى أن تحضي بوقتٍ ممتع.. أنا سفينا من الهند، لدي طفلين وأعمل بإحدى الشركات التسويقية، وعمري ٣٨

سوزان / مرحباً بك أختي.. أنا سوزان من اندونيسيا، تخرجت من كلية التجارة و أعمل حالياً محاسبة بأحدى البنوك،😊 عمري ٢٥

سليمان / أهلاً بك.. وأنا سليمان من أيرلندا.. حديث العهد بالإسلام.. كنت أُدعى بـ ديفيد.. مازلت أدرس في كلية الهندسة قسم (قطارات) عمري ٢٢

بارادايس / شكراً جميعاً.. كنت قد عرفت من قبل سفينا وديفيد.. شهدت المناظرة يوم أسلمت.. فرحت لك من قلبي أخي..😊

سليمان / أحمد الله الذي هداني لنعمة الإسلام.. لقد كنت في ضلال حقاً..😊

سفينا / من أي بلد أنتِ بارادايس ؟

بارادايس / أوه، نسيت أن أعرفكم بنفسي منذ البداية، أنا من اليمن.. عمري ١٩، وأدرس في قسم اللغة الإنجليزية في المستوى الثاني😊

ترو بيليفر / أنتِ يمنية! أول مرة نلتقي بيمني آخر هنا..

سفينا / اعتقدنا أنك الوحيد .

ترو بيليفر / أجل عمتي صفصف.. اعتقدت ذلك أيضاً.. 😂

سفينا / مازلتُ صغيرة.. لستُ عمتك أيها المشاغب 😆

بارادايس / سعيدة حقاً بلقائكم تشرفت بمعرفتكم جميعاً.. أتمنى أن أستفيد من وقتي معكم.. 😊

سوزان / سُعدنا بمعرفتك أيضاً، أرجو ذلك.. 😊

بارادايس / لا يزال هنالك ثلاثة أعضاء لم أتعرف إليهم.. أرى أسمائهم (جوزيف وغريب وبشير)، حيث أني أرى الأخير يناقش دائما في الغرفة الأم، أما غريب؛ شاهدت نقاشه مره فقط حينما كان يحاور سليمان.. هل جوزيف حديث العهد بالإسلام(CONVERTER) !

تروبيليفر / بشير وجوزيف صديقيّ منذ مرحلة الدراسة الجامعية، لكن الأخير ليس مسلماً، أما غريب فهو غريبٌ حقاً، لا نعلم عنه أي شيء، رأيته مرة فقط، كان يناقش نقاشاً حاداً مع يهودي.. 😕

سليمان / أعترف أن الفضل بعد الله تعالى لاعتناقي الاسلام يعود لغريب، بسبب سماحته وتعامله السلس، لا أخفيكم بأني أُعجبت بهذا الدين بسبب حديث غريب معي طويلاً ورؤيته المختلفة عن البقية. لم أكن أعلم بأني سأكون عرضة للطعن في إسلامي بواسطة الطوائف الإسلامية؛ لكني الآن صرت أجيبهم بأنني مسلم وكفى!

أما عن شخص غريب، لست أعرف شيئاً، هو لا يتحدث إلا عند النقاشات الجادة..

بارادايس / أها فهمت، شخصية غامضة إذن، لكن فعلاً جزاه الله خيراً كثيراً حينما كان سبباً لهدايتك، شكراً للتوضيح.

أغلقت المحادثة لتفكر بصفاء.. تروبيليفر من نفس بلدك يا هديل، ياللصدمة! أخذتها الأفكار في قلق.. لكنها حاولت أن ترى زوايا إيجابية لهذا الوضع. لطالما صادفت أسئلة مستفزة حول اليمن، ربما يعود السبب لنظرة سلبية سممت عقول كثيرين، ربما بسبب الإعلام المضلل الذي يركز على سلبيات المجتمع ويمحي إيجابياته الكثيرة، أو بسبب عادات وتقاليد بغيضة، أو بسبب ممارسات أفراد يمثلون اليمن في المجتمعات الأخرى بصورة سلبية عفنة.. هي لا تدري بعد ما السبب الحقيقي، لكنها شعرت بأن هذا الترو بيلفير قد يكون سنداً حين تواجه تساؤلات كتلك.. فالإشارات توحي بأنه شغوف بما يفعله، ويمثل وطنه في العالم الرقمي بامتياز!

تسرح قليلاً.. و تغوص مُستعذبة لخواطرها:

- إذن ترو بيليفر يمانيٌ أيضاً؛ يا تُرى من أية محافظة! من حضرموت أو ربما تعز.. أو عدن.. لا أدري.. لكنه من حضرموت دون شك لا أعرف لما، و حدسي يخبرني ذلك وهو لا يخطئ!!

ابتسمت بغرور لفكرتها، وبينما هي منغمسة بخيالاتها.. دق جرس الباب. انتفضت منتبهة تتأفف للقطع المؤلم لأفكارها، سارت نحو الصالة لتلتقط السماعة:

- من هناك!

- أنا هالة.. افتحي.

- أهلاً بابنة العم.. لحظات فقط..

نزلت سلم الدرج، حيت هالة ودعتها للدخول، صعدت هالة.. هتفت و هي تشهق :

- اشتقتُ إليك.. فجئت لآخذك معي!!

هديل مندهشة :

- تأخذيني معك!! لكن لا أحد في البيت.. خير ماذا هناك؟!

حملقت هالة في لباسها لتقول ساخرة :

- أسرعي بتغيير بيجامة لولو كاتي السخيفة، آه كم ستبقين طفلة!!

زمت هديل شفتيها مستاءة:

- بيجامتي المفضلة، لا تقنعيني... إلى أين سنذهب!!

- لدينا حفلة صغيرة أنا وزميلاتي في العمل بمناسبة ترقيتنا، حجزنا مطعم فخم.. كما سنذهب للملاهي.. فقلت لن نذهب بدونك، أسرعي فقد تركت سيارتي أسفل الشارع.

- حفلة! هيي يا سلام.. دعيني أتصل لوالديّ كي آخذ الإذن منهما، دقائق فقط..

تدق أزرار الهاتف الثابت.. و لسانها يرتل أدعية كي يلين قلبهما و يسمحا لها بالذهاب..

-آلو.. السلام عليكم..

- وعليكم السلام.. كيف أمورك هديل !!

- أهلاً أمي.. بخير بخير.. فقط أود أخذ الإذن منكما.. امممم..

تأخذ نَفَسَاً عميقاً لتستطرد في عجل :

هالة تدعوني للذهاب معها، هنالك حفلة.. أحتاج لتغيير الجو.. كانت دراستي الصباح مُرهقة جداً.. إنها تحتاجني.. من الضروري أن آتي ولن تقبل الأعذار.. كما أن ال...

قاطعتها والدتها قبل انتهاء ثرثرتها اللا منتهية بإجابة حاسمة لم تتوقع هي سرعتها :

- اذهبي.. أعرف هالة فتاة عاقلة وأثق بها.. لا تنسي قفل الباب وراءك جيداً!

- أوه ماما.. أحبك كثيراً .. سلمي على بابا و الجدة.

لبست عباءتها وحجابها بسرعة البرق.. جلبت نقودها المدخرة منذ أسبوع ووضعتها بحقيبة يدها.. أغلقت الباب بإحكام وانطلقت.

أثناء انطلاق السيارة أخذت الفتاتان بالتحدث عن أمور شتى.. مواقف حدثت لهما.. عن عمل هالة وعن دراسة هديل.. إلى أن عمّ السكوت للحظات.

هتفت هالة في مرح وهي منتظرة للإشارة الخضراء لمواصلة القيادة:

- دخلوا الملائكة.. اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرين.. كنت أريد إخبارك عن فتاة تدعى عُلا، إنها ابنة مديري بالعمل، كما أنها بنفس عمرك تقريباً..

ترفع حاجبيها مندهشة.. لترد في اهتمام :

- هذا رائع.. أتطلع لمقابلتها..

تجول نظرات هالة الأرجاء.. تدقق في زحام السيارات و الباصات غير المنتظمة.. بعضها تمر من اتجاه مخالف.. و بعضها مركون بعشوائية.. ليزيد في استيائها أصوات ضجيج أصحاب السيارات. تقول بعد أن انفكت الطريق قليلاً بمساعدة شرطي المرور:

- حسناً.. عُلا ليست كباقي الفتيات.. إنها يمنية أمريكية، تعيش في أمريكا حيث تقطن والدتها الأمريكية الأصل، تعلمين، أحتاجك لتتفاهمي معها ولتقومي بدور المترجم، إن احتاج الأمر.. فرصة لإثبات نفسك.

أطرب هديل سماع ذلك؛ ستمارس الانكليزية محادثاتياً مع متحدث قومي.

أضافت هالة :

- لكنها ليست مسلمة، أظنها نصرانية كوالدتها.. لم تتعلم شيئاً عن الاسلام، انفصل والداها وهي في الرابعة، ووالدها يقوم بزيارتها كل صيف.

ردت هديل مهوولة :

- ماذا!! يمنية نصرانية؟!

وكيف قررت المجيء إلى اليمن ؟!

- عرض عليها والدها المجيء إلى هنا كونها حصلت على إجازة من انتهاء فصلها الدراسي الثاني مدتها شهرين قابلة للتمديد أكثر إن أحبت المكوث هنا.. كل صيف يُلح عليها والدها بالمجيء لتتعرف على بلدها الأم، لكنها في كل مرة تختلق أعذاراً..

عقدت هالة حاجبيها وغارت عينيها في استياء وأردفت:

- هي تحب الحياة الأمريكية وغاصت فيها.. ترتدي ملابسهم و تعيش روتينها الحياتي مثلهم.. لكنني تفاءلت هذه المرة حين قررت المجيء علها تعود بشيء تفخر به عن بلدها الأم.

- آه، لستُ أدري كيف سأنسجم مع فتاة تختلف عني في الدين.. أشعر بشيء يقبض صدري الآن!

- أيوذيك اختلاف دينها يا هديل!

عامليها بلطف وصدقيني ستنسجما وتصبحا صديقتين مقربتين.

سؤال صادم لهديل.. هي فعلاً تشعر بالغرابة، فالمسلمون أرفع درجات عند الله وعندها أيضاً من كل أصناف البشر، هكذا فكرت.. بكلمات متلعثمة غمغمت :

- سنرى، لست متأكدة..

أوقفت هالة سيارتها أخيراً:

- وصلنا..

هديل وقد تملكها حماس و نشاط مفاجئين:

- ،،،عالم البحار،،،

يا سلام، يبدو جديداً.. لم أزره قبل اليوم..

تتأمل ديكور المطعم من الخارج بتركيز، عيناها تتسعان دهشة وهي تتفحص المكان جيداً.. لكنها ما لبثت أن زمجرت بسخط و هي تتلوع بحركات مجنونة كهرة أُبتلت بالماء فجأة :

لم الديكورات كلها أسماك وبحر!! لا تقولي أنه... أنه مطعم بحري؟! يا للهول أكره السمك!! تعرفين ذلك!!

انفجرت هالة بضحكتها وابتسمت بخبث :

- أعلم ذلك، أردت بك خيراً.. حتى لا تأكلي كثيراً.. الرشاقة نصف الجمال يا عزيزتي..

عقدت هديل حاجبيها منزعجة.. صرخت بحدة:

- لست بدينة.. إنها أنتِ العظام فوق الجلد!!

هتفت هالة وهي تمسح رأس هديل مداعبة :

- أنا لم أقل ذلك، اللي على رأسه بطحة يحسس عليها ..

- أوف، اسكتي!!

انطلقتا نحو الممر و بحثتا عن باقي الرفيقات حتى وجدنهن على طاولة كبيرة حولها ستة كراسي.. صاحت هالة بجنونها الطفولي:

- يااااه.. أخيراً وجدتكن!

أخذن يرددن السلام.. يتصافحن.. ويتعانقن بذات الجنون.. و رحن يُطلقن نُكات سخيفة على بعضهن ليزيد ذلك من غليان الضحك والمتعة.

هتفت هديل بعد أن شاهدت عالم هالة العجيب و مجاراتهن قليلاً بالضحك على النكات:

- سعدت كثيراً بالحضور معكن.. صحبتكن ممتعة حقاً.

ردت أمل ورحاب صديقات هالة :

- ونحن أيضاً عزيزتي..

قالت هالة مشيرة بيدها :

- هذه عُلا.. التي أخبرتك عنها!

التفتت هديل لتراها جالسة في غُمرة ابتسامتها أمام الطاولة لجهة اليسار.. حيتها بالسلام عليكم.. عانقتها.. وجلست قبالتها؛ لم تكن كما توقعت، الملامح الأوروبية ليست طاغية على شكلها.. بل كانت تحمل ملامح عربية لبشرة بيضاء وعينين كستنائيتين رائعتين ووجه شبه مثلث و جبين ضيق.. بدت فتاة رقيقة جداً وجذابة.

تجاذبتا أطراف الحديث عن أحوالهما ودراستهما مدة من الزمن بالإنكليزية.. تذكرت هديل كتاب تفسير القرآن الكريم المترجم للإنكليزية كانت هالة قد جهزته لها وطلبت منها إهدائه لعُلا، حدثت نفسها :

- يا تُرى، كيف ستقابلين هذه الهدية يا عُلا!!

سأجس نبضك حول الاسلام أولاً بعدها أقرر ما العمل!

في خضم ثرثرة الفتيات وضحكاتهن العنفوانية تقترب من عُلا لتقول في اهتمام:

عُلا، أود سؤالك.. أتسمحين!

- أكيد.. تفضلي!

- أخبريني .. ماذا تعرفين عن الإسلام !

سؤال مفاجئ لم تتوقعه عُلا.. حاولت الرد ببرود دون أن تجلب شكوكاً حول اقتناعاتها:

- أعرف الكثير! أنها توجب على المسلمين الصلاة خمسة أوقات.. و صيام رمضان.. وأشياء أخرى .

هديل بإلحاح:

- جيد، و ما هو رأيك بالإسلام!

ردت عُلا باقتضاب و قسماتها توحي بعدم إعجابها بالسؤال:

- دين جيد.

- فقط !! هذا رأيك.. دين جيد وانتهى الأمر؟!

- حسناً.. سأقول الحقيقة، أراك مصرة على معرفة رأيي.. أنا أحترم كل الأديان ومن ضمنها الإسلام، لكن احترامي للإسلام لا يعني اقتناعي به..

- ما سبب عدم اقتناعك به! خذي راحتك بالكلام، أود فقط فهم وجهة نظرك.

- شكراً هديل.. سأوضح الأمر؛ أنا أرى أن البلاد الإسلامية عموماً متأخرة وخصوصاً اليمن ليست متقدمة كباقي الدول المجاورة لها حتى.. كما يعمّها الجهل والظلم والفقر والبطالة

- أفهم ذلك.. لا أستطيع نكرانه.. ولكن أتعتقدين بأن ذلك بسبب الإسلام نفسه!!

- آسفة لقولي هذا، ربما نعم.. أعتقد ذلك، أعترف لكِ حين وصلت اليمن وبدأت أجوب شوارعها اندهشت.. أقصد أني توقعت رؤية حياة بدائية نوعاً ما.. أعجبتني الطبقة الراقية من الناس والمراكز التجارية الكبيرة والشوارع المرصوفة بالأزفلت والحدائق والفنادق والجسور و الأسواق الراقية ومشاريـع أخرى رائعة..

صمتت عُلا لبرهة وأردفت و قد أصدرت تنهيدة طويلة:

و لكن على صعيد الوجه السلبي الذي لا تغفله عيوننا ولا عقولنا؛ شعرت بالحزن العميق على المشردين الذين يجوبون نقاط المرور.. رأيت نساءً يحملن أطفالاً رضع يتسولن .. حالتهن يُرثى لها.. كما رأيت أطفالاً لم يتجاوزوا الثانية عشرة يعملون.. يمسحون زجاج السيارات أو يبيعون الماء البارد.. لهذا رأيت أن هنالك خلل واضح.. وإن كان الإسلام دين حق فعليه أن يحل المشاكل كلها..

ردود موضحة و مبررة لم تتوقعها هديل.. ظنت بأنها مجرد سائحة و لا تحيط بشيء علما.. أخذت بالقول:

- لم أتوقع بديهة ملاحظتك لكل هذا، فقد جئتِ قبل عشرة أيامٍ فقط.. حسناً، أود إعلامك بأن كل ما ذكرته مجرد أشياء ظاهرة ومظهرية، أنتِ لم تري الجوانب العميقة بمجتمعنا، لا أنكر ظاهرة الفساد المالي التي تجوب المؤسسات الحكومية ووجود شخصيات عملاقة تتقاسم وتنهب ثروات البلاد كيفما يحلو لها ما أدى إلى نشوء ظواهر الفقر والبطالة وعمالة الأطفال في مجتمعنا..

صمتت قليلاً لتستطرد:

أستمع دائما تحذير الدولة لأولئك الذين يقومون بأعمال غير قانونية كأخذ الرشاوى وتزوير ميزانيات ضخمة لمشاريـع حكومية وهمية يتم صرفها لصالح أفراد، لكني لا أدري أهي تقوم بمحاسبتهم أم لا، هنالك قصور لاشك فيه بهذا الشأن .. ربما تخاف الدولة منهم فتتركهم يتقاسمونها بالثروات والسلاح والأراضي وهذا أمر لا بد من عمل حد له، ومن ناحية أخرى أعتقد أن الدولة تعاني من ضغوطات خارجية حول استثمار واستخراج الثروات الخامة.. ولهذا حفاظاً على ما تم بناؤه وما لم يُشيد بعد يجب التعامل بسياسة دبلوماسية مع باقي الدول وهذه الشخصيات المتحكمة بالبلد.. لا أفهم كثيراً بالسياسة، لكن هذا ما أظنه...

تجيب عُلا باهتمام:

- هذا يفسر الكثير.. ثمة مشاكل يواجهها البلد.. ولا بد من محاسبة وقطع أيادِ الفساد. لكن ذلك ليس بالأمر السهل، قد تبذل تضحيات جمة لا تحمد عقباها.

- هذا صحيح ، نسأل الله أن يجنب اليمن كل الفتن والمشاكل.. أردتُ القول؛ أما بالنسبة للجانب الإنساني والمجتمعي الذي لم تلحظيه كونك أعجبت فقط بكل ما هو راقٍ ومظهري هنا، أنك لم تتعرفي بعد إلى عمق الحياة ودور التكافل والتراحم بين بسطاء الناس.. مثل جارٍ أصابه الفقر.. لا يجد ما يأكله إما لقلة دخلة الذي يجنيه من عمله طوال اليوم أو ربما لعجزه عن العمل لأي سبب كان كمرض أو ظروف خاصة، فلا يقدر على سؤال الناس، عزيز في بيته.. يمكث هو وأطفاله جياعاً، لم يُعلِم أحداً بحاله.. فبينما هو مستغرق في همّه يتضرع إلى ربه الكريم مجيب الدعوات يبتهل إليه، يطرق بابه أحدهم، فلا يخلد إلى النوم إلا وقد فرج الله همّه فيعطيه ما يحتاج... هذه قصة كثير من الناس هنا يعيشون بالإيمان والأمل.

ابتسمت هديل وأردفت:

أضمن لك.. على الأقل لا يوجد من يبيت جائعاً هنا. أود سؤالك، كيف يتصرف المجتمع في أمريكا إذا ما واجهوا كهذه المشاكل!

ردت عُلا و تعابير الاهتمام بانت على قسماتها :

- هذا مدهش حقاً... فهمت مقولة بابا المتكررة " الله في اليمن بس"، في الواقع.. أنا مرتبطة كثيرا بعائلة أمي وإخوتها وأصدقائهم منذ نعومة أظفاري.. و كلهم أمريكيون كاثوليكيين.. حسن، سأجيب على سؤالك بصراحة.. لن يقدر المجتمع الأمريكي على تحمّل ذلك، كلٌ همه عند نفسه فقط، ولن يخدمك شخص إلا لمصلحة.. كما أن البعض يحل مشكلاته المستعصية إما بالإنتحار بصمت أو بالإدمان على الكحول أوالمخدرات فيغزوهم اليأس وقلة الحيلة.. إن الناس هناك لا يشعرون بالسعادة إلا بوجود الماديات البراقة..

لهذا أظن بأن الله خاصتكم من يعينكم على تجاوز المحن!

و لكني مع هذا أتساءل حول إذا ما كان دين الإسلام دين كامل يلبي أهداف الحياة الكريمة للإنسان!! فلو كان كذلك لما رأينا أي ظلم أو فقر وحرمان.. ما هو الخلل برأيك؟

قطع صوت النادل حديثهما الذي كان في أوجه قائلاً:

- وصلت الطلبات..

فتحت هالة الستارة وأخذت منه الأطباق واحداً تلو الآخر.. ومن بعدها العصائر.. امتلأت المائدة بأطباق سمكية مختلفة... ففي المقلى* وضِع الجمبري المغطى بالصلصة الحارة، وآخر وضع فيه قطع سمك ديرك مغطاة بالصلصة والبطاطس يُدعى صانونة، وبطبق مستطيل وضعت أصابع السمك المعمولة بخلطة البرست، سحاوق مع جبنة تعزية، ومُلَوَح*، وأخيراً عصائر الليمون بالنعناع..**

هتفت هالة بحماس :

- هيا يا بنات تفضلن، أردت أن أغير وجهة نظر هديل عن الأسماك فأحضرتها إلى هنا...

هديل / رائحة شهية جداً ليست كروائح السمك التي أكرهها.. تخيلتُ سمك بطريقة الموڤا وعينيه لم تُنزعان، لم أحب هذه الطبخة قط. سأتذوق هذا.. بسم الله.

تردف هديل بمرح وهي تقوس كفيها في شكل ميكرفون :

- والآن سنبدأ مباراة الجغرافيا بين الفتيات، لتستعد كل واحدة بسرد معلوماتها التي تحفظها حول السمك في بلدنا ولنرى من ستتفوق على زميلتها!!

علا / حسناً هديل سأبدأ أنا، أخبرني والدي عن شهرة اليمن بأجود وأندر أنواع السمك كونها تطل على موقع جغرافي متميز، البحر الأحمر والبحر العربي والمحيط الأطلنطي..

رحاب / هذا صحيح، كون المدن البحرية في اليمن متنوعة وممتدة على الجوانب الساحلية للبحرين كالحُديدة والمُخا وعدن و المهرة والمكلا، كما يحوي البحران على جزر كثيرة وأرخبيل جزر..

هالة/ إن اليمن يشتهر بأندر أنواع الأسماك وتواجده بزخم حتى أنه يُصَدِّر للعالم. الشروخ، الجمبري، سمك التونة، الباغة، الحبار، الديرك، الجحش، السخلة و العمبري والكثير الكثير من الأنواع الأخرى .

ضحكت هديل ساخرة :

- كم وقتاً أخذك وأنتِ تحفظين كل هذا فتاة الجغرافيا هالة !!

هالة بنظرة توسل:

- المهم أنا فزت صحيح!!

هديل بخبث:

- بل إنها رحاب الفائزة، نياهاها...

تردف وهي تتلذذ بالطعام:

أحببته.. لذيذٌ جداً وصحي، غيرت جميع آرائي عن السمك.. شكراً هالة.

*** مقولة شهيرة قالها أحد السائحين حين زار اليمن، ورأى الناس يبتسمون ويمرحون رغم عيشتهم الكادحة.**

*** إناء حجري عميق**

****عصير الطماطم الحار بالجبنة التعزية**

***** خبز رقيق الطبقات.**

رشـا

كان يومها شاقاً البارحة حين اُضطُرَت للبقاء مع والدتها في المستشفى لإجرائها عملية المرارة، مكثت الليل كله بجوارها.. تعتني بها، تطعمها، تهدئها، تمسكها بقوة كي لا تقع لتتجول في أروقة جناح الرقود.. حثها الطبيب بعمل ذلك كي تشفى العملية بسرعة، و تعود صحتها لسابق عهدها مع الوقت.. و بعد يومٍ طويل من التعب و الانتظار السئِم.. تغفو على مشارف خيوط الصباح، يسرقها ملاك النوم لساعتين.. يوقظها من أحلامها صوت أخيها محمد الذي قدم للتناوب بدلاً منها، تلتحف عباءتها و تجر ملزمتها في عجل ليوصلها محمد إلى الجامعة لإجراء امتحان مادة دلالات الألفاظ SEMANTICS

طرقت باب القاعة النصف مفتوح منتظرة تصريح البروفيسور بالدخول، الوقت يشير للتاسعة وبعد نصف ساعة فقط سيتم تسليم الأوراق وإعلان انتهاء الوقت.. يتقدم البروفيسور نحوها تجره خطواته الرتيبة ببذلته الزيتونية العتيقة.. وجه متجهم منفوخ بلحم متدلي.. أنفٌ كبير و شفتين غليظتين عاريتا الشوارب.. حدق إليها بنظرة شزراء غاضبة كونها متأخرة وجريئة بسؤالها للدخول بذاك الوقت :

- ألم تعلمي بأن لديك امتحان !! لم يجب عليك النوم والتأخر؟! ليس للكُسالى مكانٌ هنا.. فلتعودي من حيثُ أتيتِ..

و قبل انتهائه من رمي ألوان السخريات عليها تفاجئه برد سريـع لبق:

- لم أنم الليل كله، كنت مع والدتي بالمستشفى، أجرت عملية مُستعجلة وكدنا نفقدها.. لا وقت لدينا.. دعني أجري امتحاني رجاءً!

يُلقي بناظريه الأرض برهة.. يلف جسده للداخل قائلاً ببرود :

- أدلفي.. لديك نصف ساعة فقط.

مشت بخطوات بطيئة تتفقد مكاناً لها.. قاعة مُكتظة بالطلاب و الطالبات.. الجميع منغمس بأوراقهم.. تعابيرهم الحائرة.. تلفتهم الحذر.. حركة أرجلهم و أقلامهم العصبية.. المؤشرات توحي بامتحان مُعقّد.. هدوء و سكون يخيم في الأرجاء.. تكاد دبّة النملة تُسمع.. صرامة و تشديد في المراقبة.. تواصل خطواتها.. فتاة تلوح لها بيدها تلفت انتباهها كي تجلس بالمقعد المجاور لها في الصف الرابع.. اتجهت مع ورقتها نحوها، جلست على المقعد وشكرتها.. تتوغل عيناها بالورقة راجية عبور متاهاتها إلى بر الأمان، تبتسم لوهلة.. وثانية تعقد حاجبيها مستاءة، وثالثة تضحك بهدوء وأخرى تزمجر بتمتمات غير واضحة...

لحظتها زميلتها.. همست :

- هل كل شيء على ما يرام !

التفتت إليها رشا بحذر شديد وردت بسرعة :

- لا.. السؤال الثاني والرابع أريد الحلول غششيني!

اتسعت عينا الفتاة دهشة لجرأتها.. هي لا تعرف الفتاة ولم يسبق لهما التعارف، فلم تكن تنوي مساندتها بالمعلومات إنما سؤال عن حالها من باب المجاملة فقط.. ردت بهدوء:

- لا أستطيع، النماذج مختلفة أنا A وأنتB.

ارتاحت الفتاة لبرهة.. تتنفس الصعداء، ظنت أنها انتهت من هذا المأزق .. لكن رشا تصدمها بقولها :

- سنتبادل الأوراق، حُليها لي!

التفتت رشا بحذر إليها.. تمسك بورقتها و تمد يدها بخفة تجاهها.. تسحب ورقة الفتاة إليها.. الفتاة متجمدة لا تكاد تصدق ما يحدث.. لم تأذن لها، و فعلت فعلتها ببساطة.. تسحب رشا عينيها بخفة.. جسماً أحمر يغطي فضاءها.. تتجمد من الخوف.. ترفع نظرها المذعور ببطء وقلبها يخفق بشدة.. تصعدان رويداً رويداً لتتبين الصورة.. وحش أحمر مهيب قبالتها.. تتابع مقلتيها الصعود.. تتضح الرؤية.. أفظع فيلم تخوضه في حياتها.. مراقب للامتحان ضخم الجثة يلبس نظارات حمراء كبيرة، كان البروفيسور قد استدعاه لمساعدته بالمراقبة.. الفتاتان جامدتان لا تقويان على الحراك.. يصيح منفعلاً و الشرر يتطاير من عينيه :

- يا غشاشتان !!

سأحرمكما من الامتحان، أنتما مطرودتان! ستنالان ما تستحقانه..

يختم بعلامة حمراء على الورقتين . تتمتما بتبريرات كثيرة لُيفهمّاه أن ما رآه محض سوء فهم، اعتذرا مراراً و توسلا إليه كي يمنحهما فرصة ثانية و لم يرضى.. كل المحاولات باءت مهب الريح.. لم يكترث مثقال ذرة لتبريراتهما، جَلدٌ صلد لا يكسره مناظر المخالفين و الغشاشين.. تتجمع نظرات الزملاء والزميلات نحوهما يراقبون الموقف المخزِ.. لم يعد هنالك شيء لتفعلاه.. و في خطىً متعثرة ذليلة تُنفذان أمر المراقب، وتجرا خيباتهما بهدوء إلى الخارج..

جلستا على مقعد قريب من القاعة تحملان حاجياتهما المبعثرة من حقائب وأقلام وأوراق، انكسار و مشاعر ممزقة وأمل تلاشى بلحظات لا تكادان تصدقان أنها حدثت فعلاً.. صمتٌ مطبق لعشر دقائق.. ظلت رشا تتصفح هاتفها النقال بغير تركيز، تنفجر الفتاة بالبكاء مدوية نحيباً موجعاً بالأرجاء، تقترب رشا منها بسرعة.. تحاول تهدئتها :

- لا تقلقي لن نسقط بالمادة، لا يزال لدينا الامتحان النهائي، إن تجاوزناه بنجاح لن نحتاج لعلامات هذا الامتحان.

رفعت الفتاة رأسها قليلاً لترشق رشا بنظرة محرقة يشوبها الغضب والغيظ. تنفعل في حدة :

- أهذا ما يهمك! ألم تشعري بالخزي والعار و الإهانة؟! عاهدت نفسي بأن أبذل قصارى جهدي في الدراسة وأن أنجح دون اللجوء لوسائل الخداع والغش.. أنتِ؟! كيف لك فعل ذلك.. ومعي بالذات!

تصطدم رشا من كلماتها، لطالما تعاملت مع الدراسة باستهتار وزميلاتها كن على نفس شاكلتها.. لكن هذه الفتاة حساسة جداً وشعرت بالمذلة تغرقها بعد وصفها بـ الغشاشة أمام عيون الطلاب والمراقبين.

تصمت الفتاة قليلاً لتستطرد:

"من غشنا فليس مِنّا" ؟! ماذا ستقولين لله حين يسألك عن هذا الخداع!!

صعقت رشا لتلقيها كلماتها.. بهتت ملامحها.. غمغمت بداخلها :ما بال هذه الفتاة جادة إلى هذه الدرجة، إنها محض ورقة امتحان وستدخلني الآن في محاضرات دينية لا تنتهي ردت محاولة تلافي الأمر:

- الحديث يشير إلى الغش بأمور كبرى وضارية، تعلمين.. كالغش بالسلع الغذائية وخلطها بمواد أخرى، أو الغش في العمل الوظيفي وغيره.

تهز الفتاة رأسها و يديها بعدم اتزان.. زادت عصبيتها لتبريرات رشا:

- الحديث واضح والغش هو الغش بأي صورة كانت.. تخيلي طبيب مستهتر ينجح بالغش، كيف سيكون أدائه حين معالجته المرضى!! تخيلي الوضع المزر.. أو حتى مجالات غير الطب كيف سيكون أداؤهم بالوظائف الحكومية خصيصاً، وهذا هو حال بلادنا بسبب القيام بتلك الخطيئة العلنية بكل الوزارات والمؤسسات، غش منتشر كالطاعون.. ونريد أن نرتقي كدول أوروبا كيف.. قولي لي كيف؟! ومن نسميهم كافرين أفضل منا في تأدية أماناتهم على أكمل وجه، ألا ترين أننا أمة محمد أجدر منهم على أن نتحلى بخلق رسولنا الذي علمنا أن من غشنا فليس منا؟!!

" فليس منا" هذه فقط كافيه لردعنا عن الغش، كيف نكون لسنا منه ونحن نحبه ونتوق للقياه في جنات النعيم.. ألا تكترثي لأن تكوني منه؟!

اتسعت عينا رشا دهشة، لم تنبس بكلمة، كانت كلمات الفتاة كصفعة قوية تتلقاها فرائصها و تنتفض لها محساتها الداخلية.. لأول مرة يُجرح كبريائها المليء بالغرور، لم تكترث يوماً بأحد، همها الوحيد نفسها.. فهي مدللة والديها لا يُرفض لها طلب.. تحب الحصول على كل شيء دون بذل أدنى مجهود، تظن أن المال يشتري كل شيء حتى علامات التفوق الدراسي، نجحت بالخداع طوال الأعوام الماضية، وهذه المرة لم توفق، بل لُقنت درساً مؤلما لن تنساه..

جمعت الفتاة أشياءها المبعثرة في حنق وذهبت مبتعدة لخارج الكُلية، بينما ظلت رشا مستغرقة بصدمتها، لم تكن قد استوعبت ما جرى بعد.. هذه المرة الأولى التي توبخ فيها، حتى والداها لم يفعلاها قط..

اتصلت بسائقها تطلب منه أخذها للمنزل باكراً على غير عادتها، ما يزال لديها محاضرتين أُخريين.. و لكن ذلك ليس بالأمر المهم، لطالما تخلفت عن الدروس لتقضي أوقاتها مع صديقاتها في التسوق والحدائق والنُزه والحفلات، وحين انتهاء موعد آخر محاضرة تعود للكلية كي يراها السائق فيكون دليل براءتها من كل التهم التي قد تُزف إلى والدها وكأن شيئاً لم يكن...

وصلت لمنزلها الفاخر الكبير ذي الثلاثة طوابق المزخرف بألوان من الخراسانات البديعة والمجهز بأفخم قطع الأثاث.. و الذي يحوطه حدائق غناء شاسعة.. معتنىً بها جيداً، لم يستوقف خطاها شيء.. بل لم تلحظ وجود أي شخص.. تجاوزت الخادمات.. المزهريات.. الببغاوات التي تزين ركناً برواق طويل في قصرها اعتادت ملاعبتها كل يوم.. و اليوم لم يرمقها بصرها.. هرولت نحو غرفتها بالطابق الثاني، جلست على أريكتها المخملية بصمت، تتذكر كلام الفتاة الذي هز كل كيانها كلمة كلمة، تقلبه وتعيده مراراً وتكراراً.. تتأمله بكل حواسها.. قلبها..عقلها..

أيقنت بأن حياتها كلها خداع وغش، ليس بموضع الامتحانات وحسب، بل خداعها لنفسها وللناس، ولوالديها والأهم لربها وخالقها.. كلام الفتاة حرك فيها أشياء أعمق، وجوانب متشعبة أكثر، وتصرفاتها العشوائية التي لا تكترث لها.. لم تكن تلك الفتاة تدرك أكثر من موضوع الغش بالامتحان؛ لتختلط جوانب حياة رشا غير المسؤولة وتتعرى أمام عينيها في لحظة واحدة.. وقفت أمام المرآة تطالع نفسها.. هذه المرة الأولى التي ترى حقيقتها.. طالعت وجهها و أفكارها هائمة في الفراغ لا تميز شيئاً.. مشوشة و مخبطة..

هل تريدين العيش هكذا طوال عمرك يا رشا؟!

سألت نفسها هذا السؤال.. أوقظها خفقان قلبها ورعشة يديها.. دموعها راحت تنحدر دون توقف.. لا.. حتماً لا أريد الاستمرار هكذا...

أجثت على ركبتيها في وهن.. غطت عينيها بكفيها لتجهش بالبكاء الطويل..

إلهي إني أحتاجك، من لي سواك!! املأ قلبي بك وأغمر روحي بحناياك. إني أمتك الضعيفة أتيتك في محرابك فلا تردني خائبة، قررت.. قررت أن أغير حياتي، أن أربي برعم الخير بداخلي ليكبر ويصير شجرة مثمرة معطاءة.. رباه رغبتي في أن أرى نور رضاك، وصفاء ينعش عالمي فأرشدني أرجوك.

قررت رشا منح نفسها فرصة إضافية وفتح صفحة جديدة بيضاء خالية من بقع السواد التي أظلمت حياتها، تذكرت كذبها المتواصل على أمها بأنها تصلي، وضحكها على سذاجتها بعدم معرفة الحقيقة.. هذه المرة ذهبت للوضوء ولبست قميص صلاتها، صوت روحها العطشى تستغيث..

" ها قد آن الأوان.. أعدك! اليوم سترتوي بأنهار حب الله وحناياه!"

امتزجت روحها في خشوع جلل بكل كلمة ترددها و دمع عينيها يتدحرج، وحين السجود؛ راحت تبث كل ما في صدرها من ضيق وكرب إلى الله "حبيبها" كما أضحت تناديه، حاورته حواراً خاصاً لم يدرِ به أحدٌ غيره.. رفرفت روحها عالياً عالياً إلى حيث الماورائيات، هناك فقط.. شعرت بالدفء.. و السكينة.. فقد وجدت أخيراً ضالتها المفقودة لملء روحها، وجدت ما كانت تفتقر إليه.. "إنما أشكو بثي وحزني إلى الله" ظلت ترددها، لتشعر بقرب خالقها الذي هو أقرب إليها من حبل الوريد! من هو الأجدر بأن يُبَث إليه كل ضيق وفرح وبؤس وهناء وكل سرائر القلب..

أربعة أيام لاحقة،،

تغيبت رشا عن الجامعة لفترة حتى ترتاح وتستعيد توازنها من جديد.. عقدت بنفسها بأن تصلح ما أفسدته، يتبادر لذهنها منظر البروفيسور المخيف و القاسي.. تجتاحها خيبة بأنه سيرفض تبريراتها جُملة وتفصيلاً.. لكنها مع هذا أصرت الذهاب إليه.. شرحت له كل ما جرى في ذلك اليوم وبأن الفتاة بريئة لم تفعل شيئاً، ونتيجة لذلك هي مستعدة لتحمل عقابها لوحدها، شرحت له بنبرات صدق وندم واضحة.. و بعد جهد بالغ من الإصرار و التبريرات النابعة من قلبها.. يُصدر حُكمه عليهما.. اقتنع بكلامها.. أثنى على شجاعتها و صفح عن تلك الفتاة بينما خفف درجة العقاب عنها قليلاً.

خرجت من مكتبه تشهق بعمق وزفرت بقوة لتخرج الهواء العالق معه كل همّ كان قابعاً بصدرها.. تنفست من جديد الهواء العليل دون ذنوب وتأنيب للضمير.. ابتسمت فرحة وهي تتذكر البروفيسور لتُعَبر عن أول درس تلقته لليوم :

- لا يجوز الحكم على قلوب الناس من خلال أشكالهم!

ضحكت في سرها و مضت.. تذكرت الفتاة.. تمنت لو تتاح لها الفرصة لتعتذر منها وتشكرها في آنٍ معاً.. أحست بالجوع يداهمها، لم تكن قد تناولت فطورها بعد، فقد تعودت على بدء يومها بشرب كوب كبير من الماء وأكل إصبع شيكولاتة سنيكرز وبعد ثلاث إلى أربع ساعات تتناول وجبة صباحية متألفة من شطائر البيض والجبن وكوباً من العصير، اتجهت نحو كافتيريا الفتيات وطلبت من النادل إعطائها مطالبها..

جلست على مقعد خالٍ، و أخذت بقراءة كتابها المفضل مغامرات سفير عربي في الدول الاسكندنافية قبل ١٠٠٠ سنة، اعتادت من والدها عبد الرحمن قص مغامرات بطل القصة (بن فضلان) الشيقة لها ولأخيها محمد عندما كانا طفلين.. كانا يستمتعان كثيراً لسماعه ويتلهفان لمجيئه بعد العشاء، فيطفئ الأنوار ويفتح ستائر النوافذ كلها فلا يرون سوى ضوء القمر الفضي والنجوم المتلألئة في الفضاء السحيق.. لطالما شعر بأن هذه طريقة ممتازة لإطلاق العنان لمخيلة الطفلين بتصور أحداث القصة بإضفاء هذا الجو اللطيف والصافِ لروح القصة، فيستلقي على الفراش ويحضن رشا مستخدماً إحدى يديه ويحضن محمد بالأخرى.. ويبدأ بقص الحكايات الشيقة التي لا ينهيها بذات الليلة بل يقصها بشكل متقطع على نحو ثلاثة أيام أو حتى الأسبوع.

وبينما رشا مستغرقة في القراءة ريثما تصل طلباتها.. إذ بحركة سريعة ليدين باردتين تغلقان عينيها :

- من أنا! خمني!

- ألطاف لا وقت لدي للمزاح، أربكتني فأغلقت الكتاب.. لن أعلم بأي صفحة أنا.. آهٍ منك.. شتتني!!

زمت ألطاف شفتيها متذمرة وأزاحت يديها :

- أوف، كيف عرفتني ؟! فتاة ذكية،،

حسن.. لدي مفاجأة..

تقدمَت بخطوات مرتبكة من خلف ألطاف.. صُعقت رشا من الدهشة.. إنها الفتاة التي تمنت لو تعتذر لها عما حصل آنفاً.. و حينما التقت نظراتهما المترددة.. سرعان ما اتحد صوتاهما وكأنهما تتخاطران عن طريق القلب:

= أعتذر لكِ !

حدقتا بعيني بعضهما لوهلة، وضحكتا.. جلست الفتاة على مقعد قبالتها و استطردت القول :

- اتجهت لصديقتك وسألتها بأن تأخذني إليك. أردت الاعتذار عن توبيخي لكِ بذلك اليوم، ليس من عادتي فعل ذلك، آسفة لفقدي صوابي، فلم تستحقي كل ذلك التعنيف فقد كانت أمك مريضة ولم تستطيعي الدراسة..

أطرقت رشا برأسها للأسفل قليلاً في خجل :

- أنا من يجب عليه الاعتذار وشكرك بآنٍ معاً، أعتذر عن كل ما سببته لك من متاعب وإحراج، وشكراً لأنك غيرتني بأمور كثيرة لم تعرفي عنها.. حتى لو لم تكن أمي مريضة لم أكن لأذاكر وأستعد للامتحان جيداً..

سألت مباغتة..

ها قد عرفتني، اسمي رشا اليمني.. وأنتِ !

هتفت الفتاة و قد لانت قسمات وجهها و بدا عليها الارتياح لمخاطبتها:

- وأنا هديل عادل، تشرفت بمعرفتكِ عزيزتي.

****

بساط الريـح العجيب

أوشكت عقارب الساعة أن تعانق السادسة مساءً.. الشمس تحتضر تدريجياً على مشارف البحر المصطبغ بحمرتها.. و حركة السيارات تهدأ مع عودة الموظفين من أعمالهم.. بعد مرور يوم مُضنٍ بشركة الصيدلة، مضى عُمر بطريق المدينة البحري متجهاً نحو مطعم يمني بمدينة ميشيغان-كاليفورنيا يقدم طبقه الشعبي المفضل "السلتة" الذي صار يشتهيه مؤخراً.. اصطحب معه صديقيه جوزيف وبشير، عاهدهما بأن يطعمهما أشهى غداء على ذوقه هذه المرة، بينما ظل مايكل ببيته ليعتني بوالدته المتعبة.. و حين وصولهم المكان المرجو؛ لفت أنظارهم الأسلوب العمراني التراثي.. قمريات ملونة تعلو الأبواب والنوافذ بشكل يشرح الصدر ويبعث الراحة والابتهاج من الشعاعات الملونة التي تعكس ضوء الشمس، و مجالس عربية مطروحة على الأرض تضم فُرشاً تقليدية ملونة بنقشات حمراء وسوداء تراثية تسمى(مَصّوَن) حول مائدة شعبية مستديرة الشكل.. و مُتكئات ووسائد سوداء صغيرة.

يتقدم النادل حاملاً (مقلى السلتة) بواسطة قطعة مكورة مصنوعة من القش تستخدم لحمل الأطباق الحارة، تقافزت أنظار عمر ورفقائه نحو الطبق الذي وصلت رائحته قبله، كان مغطىً بطبقة من لحم البقر المفروم والفلفل الأخضر الحار..

هتف بشير بمرح:

- يبدو شهياً.. أحب الكُشري ببلدي مصر، طعامي المفضل التي لا يعلو عليه آخر.. واليوم سأحكم على الطبق اليمني الشهير !

جوزيف مندهشاً :

- ما يزال يغلي، انظروا للفقاعات الحارة.. أخبرنا عمر ممّ تصنعونه !!

هتف عمر بمرح وهو يفرك يديه يتلذذ بالطبق و رائحته :

- يا سلام، يبدو أنهم يحسنون صنعه هنا أيضاً.. منذ الآن سأتغدى كل يوم هنا! جوزيف، إنه يُصنع من مرق لحم البقر المطبوخ بالبصل والثوم والطماطم والبهارات، يُفرم اللحم بعد استوائه بواسطة ملعقة خشبية مُقعرة، ثم يوضع المرق واللحم المفروم بهذا المقلى وتركه على النار لدقائق وبعدها توضع طبقة عائمة من الفلفل الأخضر الحار والحُلبة.. تلك الطبقة الكريمية الخضراء.. أترونها!!

أثناء تناول الطبق لم يقدر جوزيف على احتمال حرارة الفلفل.. وجنتاه وعيناه أضحت حمراء كاللهب، وجبينه راح يتصبب عرقاً.. صرخ لاهثاً :

- لذيذ وحار جداً.. لا أستطيع التوقف لكني أريد ماءً أرجوكم.

للحظات.. دوت ضحكات الشبان الأرجاء، كان منظر جوزيف وهو يلهث مضحكاً. جلب له عمر كوب ماء كبير وقطعاً صغيرةً من الفلفل الأخضر بيده الأخرى، تمتم ساخراً :

- هذا لا شيء لو ترى في بلدنا يضعون من خمسة إلى عشرة فلفل حار.. أتريد أن تجرب عشرة.. هل أضعها ! هيا كن شجاعاً، لن يهزمك مجرد فلفل.

انقض جوزيف على الماء وشربه جرعة واحدة.. بعدها قال بغضب :

- يا لكرمك.. شكراً لا أريد، كُلها أنت كلها، أنتم حقاً مجانين.. هذا اسمه عذاب للمعدة، كيف بوسعكم تحمّل ذلك! لم أستطع تحمل اثنين فقط!

هتف بشير :

- في مصر أيضاً، نحب البهارات والفلفل الحار.. لكن لم لا ننظر لفائدتها العلمية جوزيف؛ إنها تساعد على تدفئة الجسم وتزويده بالحرارة، إنها ممتازة لأيامنا الباردة هذه..

رد عمر وهو يضحك :

- أرأيت جوزيف! مفيدة لأيام البرد..

أجاب جوزيف في استياء و هو مقطبٌ حاجبيه :

- لا أريد التدفؤ، أنا عاشق للبرد.. لا تحاول معي..

وحين فرغوا من طعامهم قرروا المكوث بجناح الأرجيلة المصممة بشكل المجالس العربية أيضاً، أُعجب عمر وبشير بالمكان، وكأنه ينقلهم لبلدانهم ببساط الريح العجيب للزيارة مدة أقصاها ست ساعات، ثم العودة بهم إلى نمط حياتهم الاعتيادي.. أما جوزيف فقد أعجب به من باب الاكتشاف والتجربة لكل جديد..

اتجه عُمر وبشير نحو المسجد الصغير الذي يقبع أمام جناح الأرجيلة لأداء صلاة المغرب، بينما ظل جوزيف بالجناح ينتظرهما حتى يعودا.

قبل خمس سنوات في شتاء ٢٠٠٤، كان الطقس يومها قارساً والثلوج ببداية هطولها.. نشب شجار عنيف بين جوزيف وبين شابٍ أمريكي إفريقي ضخم الجثة اسمه مايكل بأحد أزقة مدينة أوهايو القديمة. لم يمتلك جوزيف الكثير من الأصدقاء حينئذ.. بل كانت علاقاته بالجميع عابرة ولم يستطع تكوين صداقات حقيقية.. كان منطوياً يحبذ الجلوس وحده والانعزال عمن حوله، ربما لشعوره بالخجل بسبب قصر قامته مقارنة بالباقين وامتلاء جسمه، وربما لأمر آخر لا يعرفه أحد غيره..

وحين عرف مايكل عن ضعف شخصيته بدأ بتتبعه وملاحقته محاولاً ابتزازه وأخذ ماله، انصاع له وأعطاه المال لخمسة أيام متتالية و اليوم السادس ضاق الحال على جوزيف، وعزم على تحديه وعدم إعطائه أي شيء وقرر مواجهته حتى لو ضربه ضرباً مبرحاً، أعد أسلحته من عصيّ وسكين يحشرها بحزام بنطاله مخبئاً إياها تحت قميصه، سار كل الشوارع المعتادة والزقاقات ولم يصادفه حتى وصل منزله بأمان.

جهز عُدته في اليوم التالي وسار طريقه و لم يلقاه، والذي يليه وأيضاً لم يصادفه.. مر عشرون يوماً حتى ظن جوزيف أن الرعب الذي كان يلقاه كل يوم قد تبدد وولى إلى الأبد فأحس بالأمان تلك الفترة، وفي اليوم الحادي والعشرين بينما كان يسير عائداً إلى منزله بذاك الزقاق إذ بالمسخ الضخم حسب تعبير جوزيف يظهر أمامه مجدداً، ارتعدت أوصاله حين لاقى بصره بصر مايكل.. ليدب الرعب متدفقاً بكل شرايين جسده.. جسده المكتنز بالشحوم تنقصه الكثير من اللياقة والخفة، لن يسفعه أحد.. لا سبيل للنجاة و لم يكن مستعداً كالأيام المنصرمة.. هبات الشتاء الباردة وهطول الثلوج يزيدان الأمر سوءاً.. تحف الجو كآبة و سوداوية مُخيفة.. مايكل يشمر عن أنيابه منتظراً فريسته الواهنة.. يريد عشاءاً دسماً الليلة و ها هو على وشك اصطيادها..

هتف مايكل و هو مبدياً عضلاته في تعجرف:

- ما بالك أيتها الكرة المدورة.. ألم تشتاقي لي ؟!

صرخ جوزيف مذعوراً بشفتين مرتجفتين:

- م ماذا تريد مني اليوم !!

-هذه المرة جهز لي ثلاثين ألف دولار خلال خمسة أيام فقط وأعدك بأنك لن ترى وجهي إلى الأبد..

صدم جوزيف لسماعه المبلغ الضخم.. فتدبير مبلغ كهذا يحتاج للكثير من العمل و التعب و الديون ليكتمل.. تذكر جوزيف ما عقده بنفسه الأيام المنصرمة "سأواجهه ولو مِتُّ من شدة الضرب ".. استجمع قواه في تحدٍ.. تحدٍ لذاته أولاً.. فهو يحتاج أن يبرهن لنفسه برهاناً ملموساً أنه أقوى من كل الجشعين و المجرمين، ومن كل الظروف و المصاعب ثانياً.. تشجع بعد أن بث لنفسه رسائل إيجابية جعلته قوياً واثقاً بأن بوسعه تخطي هذا الموقف بحنكة وذكاء"I'M STRONG" ظل يرددها بداخله حتى قرر فعل ما عزم عليه، رمق مايكل بنظرة صارمة واثقة.. كأنها سهام سامة شقت طريقها سريعاً مخترقة العدو.. نظرات كبرياء لا ترضخ لمذلة و هوان.. جعلت تلك النظرات السهامية مايكل يفقد ابتسامته الساخرة للحظات حتى فغر فاه ذاهلاً.. صرخ جوزيف في ثقة :

- لن أجهز شيئاً، وهذا آخر قرار اتخذته فلست خائفاً منك!

لم يتوقع مايكل ردة فعله، فقد اعتاد عليه الانصياع لأوامره وعدم فعل أي شيء للدفاع عن نفسه، اشتعل غضباً و سرعان ما صرخ فيه :

- كيف تجرؤ.. لابد من أنك تمزح.. سأضربك.. تعلم بذلك، و ستتألم كثيراً أيها الجرذ القذر..

تابع جوزيف بذات الإصرار و القوة:

- اضربني.. لن أعطيك شيئاً، سأخبر الشرطة وستبحث عنك هذه المرة، بالتأكيد سيجدونك وسنرتاح منك !

اتجه مايكل إليه يدك الأرض برجليه الضخمتين.. اقترب و اقترب و جوزيف يخفق قلبه و كل فرائصه ذعراً لجلبة هذا المخلوق الرهيب.. فكر بالهروب.. لكنه تسمر.. يرى الموت بأم عينيه لدى هبوط جسم ويدي مايكل عليه، شده بقميصه للأعلى في خفة و قوة.. صرخ يقذفه بالشتائم و أسوأ الألفاظ ورذاذ لعابه المُستفِز ينتشر بوجه جوزيف.. رماه بقوة للناحية المقابلة ليرتطم رأسه و كامل جسمه بالجدار الصلد حتى انسابت الدماء من على جبينه، ألم رهيب تتخدر قوى جوزيف المنهكة على إثره. تشوشت عيناه عما حوله.. يرى خطوطاً سوداء و بيضاء، يدوخ رأسه لكنه لم يغب عن الوعي . حفيف أشجار الكستناء يتصاعد مع وقع الرياح وتساقط الثلج.. طقس مروع كأنه يعاون الأشرار على افتعال جرائمهم تحت عتمته و شدته.. تراوده هلوسات مشوشة و أفكار متناقضة.. كابوس لم يتبدد.. يريد أن يصحو منه كسابق عهده، لكن لا جدوى فكل ما يحصل له واقع ملموس.. مكث مرمياً عند الجدار يتأوه و يتلوى بآلامه النازفة.. يصرخ ليساعده أحد ما..

! SOMEBODY HELP ME

ظل يرددها بصوته الخائر دون جدوى، اقترب مايكل من جديد و دون رأفة منه لحاله يلقيه بركلات عنيفة جديدة و لكمات على وجهه، هتف بذات التعجرف :

- ألا ترى ؟ نحن في زقاق مظلم لن يسمعك أحد مهما صرخت...

بصعوبة استطاع جوزيف جمع حفنة من الثلج المختلط بالتراب مِلء قبضتي يديه غفلة عن مايكل.. وحين قرب مايكل وجهه محاولاً ضربه، نفثها تجاه عينية بحركة مباغتة.. أطلق على إثرها صيحة عنيفة من الألم، حاول مسح عينيه بكلتا يديه محاولاً تنظيفهما فاستغرقه ذلك بضع دقائق بينما لا تزال الشتائم تتدفق أفواجاً..

حاول جوزيف النهوض لكنه لم يقدر، زحف إلى عرض الجدار منهكاً يحاول سحب قدمه اليمنى التي يبدو بأنها قد كُسرت للتو.. سحبها برفق و هو يصيح لشد ما يتألم.. حاول تنظيف جراحه المتناثرة برأسه وجسده، وراح يفكر بخطة للتخلص من هذا الوحش...

وبعد دقيقتين اتجه مايكل إليه متأججاً غضباً مظهراً بأنه أصبح قادراً على فتح عينيه أخيراً، لكن جوزيف قد استجمع قواه وصاح بقوة كبيرة اخترقت عرض الجدار ،،، النجدة ساعدوني،،،

و بلحظات فقط.. فوجئ بشابين يتقدمان نحوهما بحذر شديد كانا يمشيان بجانب ذاك الزقاق صدفة فسمعا استغاثة جوزيف، أحدهما يقارب طوله طول مايكل يحمل هراوة طويلة عريضة الجانبين والآخر أقصر بقليل يحمل حجراً متوسط الحجم.. صرخ بشير و هو يتوجس خيفة و يديه على أهبة الاستعداد:

- لم تضرب هذا الفتى !! ماذا فعل لك !

رد مايكل ببرود غير آبهٍ لهما :

- لا شأن لكما بذلك.. ثمة حسابات بيننا.. و علينا تصفيتها وحدنا..

جوزيف مُلقىً على الأرض يتلقى نظرات مايكل المُحذّرة المتوعِدة.. لم يكترث له جوريف و صاح بهما و دموعه تنساب.. و حاله يرثى لها لشدة آلامه المتفرقة بكل جسده:

- أنقذوني من هذا المسخ الأسود الذي يبتزني.. يريد ثلاثين ألف دولار بغير وجه حق !!

يتأجج بشير غضباً.. يهم بضربه بهراوته الضخمة.. لم يحتمل قسوته تجاه جوزيف... يتحرك بعصبية نحوه وعيناه تلتهبان بالشرر.. يريد دفع الظلم عنه بالقوة التي ابتدأ بها مايكل.. قطع عمر طريقه بسرعة.. يمسك يديه ويثبتهما بقوة عن فعل شيء أخرق يزيد الطين بلة.. يهمس له بضرورة التريث بمثل هكذا مواقف كي لايزيدا الشجار حدة.. هدأ قليلاً من روعه ورجع بضعة خطوات خلفية:

هتف عُمر و هو مقطبٌ حاجبيه و قد برزت خطوط غاضبة بمعالمه مما سمع من جوزيف :

- أيها الضخم! نحن نحذرك، دعه وشأنه بالحسنى.. لا نريد شجاراً. إن الله قد حرم الظلم بين عباده.. و سينتقم الله للمظلومين.. أتفهم ؟!

رد مايكل و هو يضحك بازدراء:

- كفى محاضرات دينية.. لا أؤمن بهذه الترهات، فلو كان كلامك صحيحاً لما ساءت صحة أُمي أكثر ولكان ربك قد أعطانا المال على الأقل لدفع تكاليف علاجها الباهظة، فمنذ أكثر من عشرين يوماً وهي في المشفى.. أوليس هذا ظلمٌ أيضاً !

التقت نظرات عمر وبشير بالتفاتة آنية والصدمة والصمت أطبقت عليهما للحظات.. قال بشير بعدها :

- آسف لسماع ذلك حقاً، لكن ديننا يحتم علينا نصرة المظلومين.. أنت مظلوم أيضاً، لكنك رميت مظلوميتك على شخص بريء.. فأصبحت بفعلك ظالماً متجبراً، ثم إن الله يمتحن الناس بالابتلاءات كالمرض والفقر والخوف والجوع ومن يصبر ويجتهد بالعمل والدعاء يفوز بجنات الخُلد.. على كل حال، ثمة طرق كثيرة لكسب العيش الحلال وتوفير المال، لمَ لم تحاول الكد والعمل بنزاهة ؟!

أشاح مايكل بوجهه للأسفل.. تتقافز صور بؤس مريرة أمامه.. أمه المسنة طريحة الفراش لا تحرك ساكنة.. شاحبة تخلو من أي لون.. تترقب الموت بأية لحظة. بكاؤه الذي لم يجف عليها.. هي سنده الوحيد.. لم يعرف في حياته أباً و كانت هي أبوه و أمه.. وِلد من أمٍ عزباء.. جرها هواها ذات يوم مع أحد الشبان؛ فتخطئ لتجني وليداً شاءت له الأقدار أن يكون، والده رحل غير آبهٍ بفعلته.. وربما هو رجل ثري لديه أسرته الخاصة من عروق النقاء البراق.. كافحت بجهد كي تربي ولدها و تعلمه، واتخذت كل السبل لتجني المال بوسط الدهاليز الفقيرة.. عملت نادلة بمطعم.. جربت الرقص.. باعت جسدها لتجني حملاً آخر لم يُشأ له أن يتم.. كل ذلك لكي تطعم ابنها و تعلمه أحسن تعليم.. وكان مايكل فرحتها الذي لون حياتها بالوردي بوسط مضمحل من الفقر و الرذيلة في بلد يمارس فيه الحُريات و الديمقراطية.. أمه هي تلك الأنثى التي اختزلت فؤاده بكل الصفات الأنثوية الحانية.. وحين كبر؛ بكت منه كثيراً و طردته.. أساء معاملتها.. و صرف أموالها الضئيلة في الشرب.. ولحظات ثموله الليلية يعود منزله يصب كل أوساخ العالم الخارجي نحوها.. لم تتحمل مرارة الأيام.. حتى أتى اليوم الذي تسقط فيه منهكة.. اجتاح المرض جسدها الهزيل.. يتفاقم و يقتات منه.. حتى أفاق.. لا يريد خسران القلب الطيب الوحيد الذي أحبه في هذا العالم.. ولم يكن قادراً لفعل شيء.. يعود خائر القوى مشلولاً لمصابها.. يلتحفهما خريف الأوجاع و رياحه الجافة لتقتلع بقايا ما يقال لها حياة..

قال وقد اتخذت أخاديد الحزن و المعاناة القاسية لسنوات طوال مجرىً واضحاً على تعابيره البارزة بعد أن باغتته تنهيدة طويلة :

- ستموت أمي قبل توفير المال اللازم.. أريد شيئاً مستعجلاً..

بدا عمر غارقاً بالتفكير واضعاً كفه تحت ذقنه لدى سماعه كلمات مايكل.. وحينما تذكر شيئاً ابتسم قائلاً:

- سأساعدك ! لكني أود التأكد من صحة كلامك.. أريد أن أرى أمك المريضة.. كما أن عليك التعهد بأنك لن تلمس هذا الشاب أو غيره مجدداً!!

نظرات الجميع تسمرت تجاه عمر في دهشة وذهول.. وهلة من الصدمة.. تحدث مايكل و قد انقلب حمل وديع بعدما كان وحشاً شرساً أجبرته الأيام ربما على أن يكونه:

- أأنت جاد !! ولم قد تساعد شخص لا تعرفه...

رفع رأسه قليلاً و أردف بصوت مرتبك و هو يحك رأسه..

- وتعلم بشرهِ مثلي ؟!

قال عمر بنبرة واثقة لم تتزعزع:

- أريد أن أساعدك لوجه الله فقط، لا أريد منك شيئاً.. لا تقلق لن أمنّ عليك أبداً.. كل ما فعلته هو التعامل معك بأخلاق ديننا الذي يوصينا بأهمية مساعدة الآخرين و تفريج كربتهم مهما كانوا مختلفين عنا..

بينما الجميع منصت.. إذ بصوت جوزيف:

- صحيح.. و أنا ! ساعدتماني لنفس السبب !!

أجاب عمر وبشير بصوت واحد:

= أكيد..

ومنذ ذلك اليوم صار جوزيف ومايكل يرافقان عمر وبشير.. حيث قام عمر بإعطاء مايكل النقود بعد يومين، بعد تأكده من مرض والدته، حكا لوالده عن حال هذه الأم الصحية والمادية، ووجوب خضوعها لعمليتين مستعجلتين لصمامات القلب التي تكاد تنغلق بنسبة ١٠٠%.. طلب المال من زكاة مجموع المتاجر التي يمتلكها والده.. كما قام بضم مايكل للعمل بإحداها، لينال ما يستحقه بعرق جبينه وبالكسب الحلال.

ومع مرور الأيام أصبح الأربعة يترافقون.. ويقومون بزيارة أم مايكل كل بضعة أيام حتى تماثلت للشفاء.. وما هي غير بضعة أشهر من الحادثة حتى قرر مايكل ووالدته إعلان إسلامهما تأثراً بمن آثرا مساعدتهما و بسطا كفيهما البيضاء لهما دون مقابل.. بينما ظل جوزيف يدرس أكثر عن الإسلام والديانات الأخرى حتى الاقتناع التام بأحداها، لكن ذلك لم يعني تخليه عن عمر وباقي الرفاق.. بل بات تمسكه بهم قوياً، وكان يحرص على مرافقتهم دائماً وتعلم كل ما يخص دينهم وثقافتهم، فهو لم ينسَ صنيعهم يوماً.

وبعد فراغهم من الصلاة، اتجهوا لجناح الأرجيلة حيث جوزيف ينتظرهم، اتخذوا مجالسهم وأخذ كل واحد منهم واحدة، في حين بدأت دوائر الدخان بالتصاعد شيئاً فشيئاً، في حين أخذوا بالدردشة عن حياتهم وإطلاق النكات والأحاجي...

مر زمن ليس بالقصير.. انغمس عُمر بحاسوبه المحمول للحظات، كانت شبكة الإنترنت قوية بالجناح.. استغل الفرصة للإطلاع، لكن نظراته بدت مشدوهة لما تريانه و تركيزه بلغ أوجه على الشاشة.. يلتفت إليه بشير ليرى ما جعله غائباً عنهم :

- أها.. هذا هو الموقع الذي أعلمتك به قبل حوالي ستة أشهر.. إذن هذا ما يشغلك عنّا، هل هنالك أمر مثير للاهتمام اليوم!!

رد عُمر و عينيه لم تبرحا الشاشة :

- إنني أراقب فقط اليوم... إنها فتاة يمنية عرفتها قبل شهرين، كانت مبتدئة جداً أراها اليوم متطورة أكثر.. إنها تناقش يهود بطريقة منطقية ومزودة بالدلائل الصحيحة...

قال بشير وقد بدا عليه الاهتمام:

- هذا رائع .. آمل لها النجاح بمهمتها هذه.

ابتسم جوزيف بمكر.. قال و هو يغمز عمر بريبة :

- يبدو أنك مهتم بأمرها، لو ترى شكلك حاضراً جسداً غائباً وعياً، وكزت قدميك ولم تشعر، قرصتك بخدك أيضاً لم تتضايق.. كنت مجمداً تحدق بالشاشة كالصنم.. هه هـ..

بدأ بشير بالتواطؤ مع أفكار جوزيف.. و هتف بابتسامة خبيثة:

- هذا صحيح.. شكلك مضحك للغاية، لا بد و أنك تجدها مميزة.. وإلا لم تكن ردة فعلك هكذا..

أربكت كلمات الصديقين عمر، لكنه أستطاع إخفاء ما يجول بقلبه من خفقان سريع و اضطرابات باغتته دون استئذان.. و ما لبث أن لبس قناع الغضب قائلاً :

- أن ما تعتقدانه محض سوء فهم، وعلى ما أعتقد لا يجدر بكما التدخل في شؤوني الخاصة..

يستطرد بحدة:

النقاش دخل أوجه، ولن أتدخل إلا عندما تواجه مأزق.. هي لا تعلم بمراقبتي للحوار، وقد تلجأ بطلب مساعدتي..

انتظر عُمر ساعة كاملة بنظرات توجس مرتقب.. يفارق حسه جهازه لهنيهة حتى لا يكون مرمىً لسخريات صديقيه من جديد.. ثم يعود للمراقبة لهنيهة أخرى.. و لكن لم يحصل شيء مما ذكر.. و لم تطلب الفتاة منه شيء.. حدقت عيناه نحو عبارة أخيرة كتبتها :

بارادايس / شكراً أختاي سوزان وسفينا، لقد ساعدتماني كثيراً، كنت أعتمد على ترو بيليفر في كل مرة لكن يبدو أنه غائباً اليوم، لم أره يتحدث طيلة اليوم.

زفر عُمر بضيق و قد أصبح متهالكاً لشدة تركيزه هنا و هناك :

- يا لحُمقي !

****

 # إسلام_لايف ... ريحانة

سوزان / طق طق، هل من أحد في الجوار :) ؟!

بارادايس/ أهلاً سوزان، بالطبع أنا هنا.

جوزيف/ أشتم رائحة مفاجأة..

سوزان / حزرت الصواب جوزيف.. و ستنظم إلينا أخت جديدة تعرفت إليها البارحة، اسمها ريحانة.. إنها بريطانية حديثة العهد بالإسلام CONVERTER 😍

بشير/ هذا رائع حقاً نتطلع لمقابلتها.

****** RIHANNA JOINS ISLAM_LIFE ******

ريحانة/ سوزان أنتِ هنا !!..هل وصلت !!

سوزان/ أهلاً بك.. نعم نعم وصلتِ بالسلامة 😁

بارادايس/ مرحباً ريحانة.. أنا هديل، أرجو أن نصبح صديقتين.

ريحانة / أكيد، تشرفت بمعرفتك عزيزتي.. 😊

تروبيليفر/ تشرفنا بكِ هنا أختي.. نتوق لأن تقصي علينا قصة إسلامك.. 😊

ريحانة / أجل.. كنت أنوي فعل ذلك ترو، مستعدون !

بارادايس / أكيد.. فلتقودي سفينتك أيتها الرُبانة ريحانة!

ترو بيليفر / هيا لنبحر حتى المغيب!!

ريحانة / حسن، استعد أيها الطاقم و ارفعوا الأشرعة كي نُبحر في قصة إسلام ريحانة البريطانية..!

😒سوزان / لقد جننتم بالفعل..

ريحانة / آسفة سوزان 😁

في الواقع، بدأت قصتي حينما كنت في الخامسة عشرة من عمري أي قبل عشر سنوات من الآن، ترعرعت في بيتنا في لندن مع والديّ.. كانت أمي معلمة أحياء في المدرسة الثانوية ووالدي طبيب أسنان، والذي أصبح هذا الأخير تخصصي في الجامعة لاحقاً كوني شُغفت بأن أصبح مثل أبي.

و كانت عائلتي مسيحية، وكذلك كنت أنا.. لكني لم أقدر على التكيف بتلك الحياة.. لم أُكوّن صداقات كثيرة لأني لم أستطع التأقلم مع أية صديقة.. تعلمون بحياتنا في الغرب وعن جرأة الفتيات بالاعتقاد بأنها تتصرف بحرية دون قيود.. لا ضوابط للتأخر، لا ضوابط للرفقة، لا ضوابط للأمكنة المشبوهة كالبارات و نوادي الرقص الليلية وغيرها من الأماكن !

عندما بلغت السادسة عشرة أحسست بحدس فطري بداخلي يخبرني بأن أكون حيية من بعض التصرفات كارتداء الملابس القصيرة أو الضيقة، وقررت ارتداء تنورات طويلة على الدوام وبلوزات واسعة قليلاً، و لم يعجب والدتي ذلك.. فبدأت تحاول إقناعي بتغيير أسلوب ملابسي الكلاسيكي الخالي من الذوق و الأنوثة و الجمال.. لطالما حدثتني بأنني أُنثى وأن عليّ إبراز جمالي كباقي الفتيات، لكني كنت أخبرها بأني مرتاحة جداً بملابسي تلك وأنني لا أكترث لكلام الناس.. وبالرغم من أن تربيتنا كانت ككل البيوت هنا كما أخبرتكم.. إلا أنني لم أكن أرافق أو أتحدث للفتيان إلا عند الضرورات، ولا أرافق إلا الفتيات اللواتي يشبهنني وكن قليلات جداً، كصديقتي ليزا التي التقيت بها في المدرسة الثانوية في الصف الحادي عشر، فتاة خجولة ولا تحب رفقة الفتيان.. كانت تشبهني كثيراً، مرت أيام جميلة بصحبتها، كنا ندرس معاً، نذهب للسينما معاً وحتى نسافر مع والديّ لإحدى الجزر ونستمتع بوقتنا كثيراً، صحبتها سنتين اثنتين.. حتى جاء ذلك اليوم من أيام الخريف الباردة، كنت جالسة في غرفتي أعزف على الجيتار أتدرب على قطعة موسيقية جديدة.. رن جرس باب منزلنا الخشبي.. فهرعت إلى الطابق الأسفل، فتحت الباب وإذا بها والدة ليزا.. جاءت لتكلمني خصيصاً.. أمرتني بأن أتوقف عن مرافقة ابنتها، فـ "ليزا " تقتدي بي وتحب أن تقلدني بكل تصرفاتها.. كما أنها أصبحت فتاة ناضجة الآن في الثامنة عشرة من عمرها ولم ترافق صبياً أبداً.. قالت بأنها تُخضعها لعلاج نفسي كي تكون أكثر جرأة بنفسها وبتصرفاتها وطريقة لبسها.. وأن ما أنا وهي عليه محض خجل مَرَضي يجب أن ننتبه له ونُعالجه بأقصى سرعة!!

وفعلاً لم ألتقيها مدة عام و نيف حيث كنتُ قد أسلمتُ بعد ستة أشهر من البعاد..

و مع هذا شاءت الأقدار أن تلتقي خُطانا ذات مرة.. وأنا أمر بأحدى المتاجر ألبس الحجاب وملابسي المحتشمة كالعادة، و ليزا ولكن بشخصيتها الجديدة، بكعب عالٍ وثوب قصير ووجه ملون بمساحيق التجميل الفاقعة، سلمت عليّ بسطحية وعدم اهتمام، وحدقتني بنظرات تفحص و احتقار من رأسي وحتى أسفل قدميّ، و مضت كل منّا إلى طريقها... 😕

كنت بعد افتراقي الأول بها قد بدأت رحلة البحث عن الأديان.. بحثت في اليهودية والبروتستانتية وحتى البوذية والهندوسية وآخرها الإسلام... أجل هذه هي الحقيقة، فالإسلام كان آخر الأديان التي بحثت عنها.. فلم أتوقع قط بأن أجد أمراً مفيداً في هذا الدين، فجل معلوماتي أنه دين الإرهاب والقمع وحبس المرأة وظلمها... لكنني حينما لم أقتنع بأي من الأديان الأخرى جررت نفسي على مضض لأقرأ عن الإسلام، وحينها كانت المفاجأة.. أحسست بأنني طفل يتذوق عسلاً لأول مرة في حياته، فما أن قرأت بضع كلمات عن السور القرآنية حتى اشتعلت اللهفة بداخلي لتذوق المزيد، فبدأت أبحث في المكتبات والإنترنت، بل وجدت روحي تتوق لملئها بتلك الهالات النورانية الرهيبة التي اخترقت روحي وتناغمت مع فطرتي بشكل مدهش.. القطعة المفقودة التي ستكمل روحي ها أنا أجدها أخيراً.. اقتنعت بالإسلام بكل جوارحي وقررت الذهاب إلى أقرب مسجد لأعتنق ديني الجديد وأشهد الشهادتين بقلب صادقٍ صافٍ، لقد وعيت بأن ما يتصادم بداخلي مع بيئتي أمر فطري يبثه الله في كل الكائنات، الحياء صفة ربانية ربانا الله عليها قبل مجيئنا لهذه الحياة، ومن بعدها يصير لنا الخيار والحرية إما الحفاظ على فطرتنا سليمة معافاة، وإما أن نتفسخ من جلدتنا التي خُلقنا أصلاً عليها..

وهكذا أصدقائي توهجت لي الأنوار لأمضي نحو غايتي السامية التي بِتُّ أعرفها أعظم معرفة، فقد انسجمت فطرتي مع ديني الجديد وأسلوب حياتي الجديدة.

سوزان / يا الله ، هذا مؤثر حقاً..😢

ترو بيليفر/ الحمد لله الذي أنعم عليكِ بهذه النعمة الجلية.. حقاً قصة رائعة.😊

بارادايس / فعلاً تأثرت ودمعت عيناي، لكنك أثرت شجناً بداخلي حول موضوع الحرية والحياء..

انتبه الجميع لحديث هديل، سألتها ريحانة في أن توضح مقصدها لتتجلى الصورة بأذهانهم..

بارادايس/ هنا باسم الدين والعيب والحياء يحرموننا من الركض، من اللعب ومن الدراجة الهوائية حين تصل الفتاة لمرحلة البلوغ، ويقمعون حريتنا من تصرفات كثيرة تعتبر عادية.

ريحانة/ هذه نقطة مهمة هديل، هنالك فرق شاسع بين الأمرين، في بلدي صاحبت فطرتي بارتداء الحجاب والملابس المحتشمة والأنيقة بذات الوقت، أنا لا أحب السواد والظلامية ولي أسلوبي الخاص والمميز في ملابسي الإسلامية التي لا تشبه ملابسكم بالطبع.. وباعتقادي ما يحدث معكم أن العادات عندكم قد اختلطت بالدين وصارت أمراً واحداً لا ينفصل حتى لو كانت العادات تعارض ما أتاه الدين، الركض محرم ؟! يا للسخرية ، كان رسولنا الكريم يسابق زوجته عائشة فمرة غلبته وأخرى غلبها هو في القصة المعروفة.. وكان رسولنا بشوشاً يلاعب زوجاته وبناته ويضحك معهن ويفعلن ذات الأمر معه، كما أنهن كن واثقات يناقشن حول أمور كثيرة مع الصحابة دون تحرج..

بارادايس/ الحشمة لا تعني الكآبة والحرمان من متاع الحياة العادية، آه كم أحلم أن أقود دراجة نارية حينما أذهب للجامعة لألحق بالمحاضرات ودون أن أتعرض لحر الشمس من طيلة المشي!!

تروبيليفر/ إنه العرف السائد في مجتمعنا، وعلينا أن نحترم ذلك باعتقادي.. لكن بوسعك أن تمارسي ما شئتِ من الرياضات ما أن تسافري إلى بريطانيا حيث تقطن ريحانة.. ستقودين الدراجة وتسابقين في الماراثون هاها..

بارادايس/ ذكي كعادتك😒!! بل سيأتي اليوم الذي تتغير فيه البنات ويكسرن عادات حمقاء كثيرة ومن بينها الركض وقيادة الدراجة.

ترو بيليفر / حين يحصل ذلك، أعدك بأن أجلب لك جائزة ثمينة لك ولصديقاتك.

بارادايس / لست بحاجة لجائزتك طالما أنني أكون قد حزت على حريتي حينها😶

امم أتساءل ريحانة ..

كيف كانت ردة فعل أبويك حين أسلمت !!

ريحانة / آه يا هديل، إنه أمر محزنٍ حقاً، لم يتقبل والديّ اعتناقي للإسلام.. حدث صدع كبير بيننا، بالذات مع والدتي، فقد حاولت مناقشتي حول هذا الأمر وأن علّي العودة إلى صوابي، و بالطبع لم يقدرا علي بالحسنى فاتجها لمخاصمتي ونبذي..

جرت شجارات كثيرة فلم يتقبلاني بهيئتي الجديدة على الرغم من محاولاتي الكثيرة بتفهيمهما بأن ع
لاقتي بهما لن تتغير، فسأظل ابنتهما التي اعتاداها، تبرهما وتحبهما وتخرج
معهما وتصاحبهما في الدنيا معروفاً، لكن كل تلك المحاولات قد باءت بالفشل..
قالا لي بأن ريحانة الجديدة ليست ابنتهما ولن تكون أبداً مهما حاولت عدا إن رجعت لصوابها
فسيغفران لها...
المهم بالنهاية تم طردي عندما وصلت العشرين من عمري من المنزل نهائياً وحتى الآن.

باراديس/ هذا محزن كثيراً، أرجو أن تعود العلاقة كالسابق..

سوزان / أوه عزيزتي، هذا صعب عليك للغاية، أسأل الله أن يمنحكِ القوة والإرادة و أن يُلهم أبويكِ
الحنين والعودة لابنتهما الوحيدة..😖

ريحانة / لا تقلقا عليّ، فأنا سعيدة بحياتي الجديدة هذه على الرغم من حزني العميق على والديّ،
أدعو لهما بالهداية كل يوم لكن تعرفون قول الله عز وجل "
إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء"

إنهما يتوقان لسماع أخباري كل فترة والإطمئنان علي بطريقة تجسسية وغير مباشرة وهذا يسعدني،
و حتى ولو لم يطاوعهما قلبيهما على محاولة إرجاع علاقتنا كالسابق،
يكفي أنهما لا يزالا يذكرانني ويطمئنا علي..😊

بشير / أسأل الله أن يعينك ريحانة.. أود سؤالك، كيف أصبحت حياتك المهنية بعد الإسلام!
هل يتقبل الناس في بريطانيا الطبيبة المسلمة!

ريحانة / أنا إنسانة مرحة جداً، والناس تحبني وتتعامل معي بلطف ومودة كبيرين..
وإن وجدت شخصية تبغضني فهي تمثل الواحد في المائة من مجموع الشخصيات الودودة الأخرى..
أي أنها لا تمثل فارقاً بالنسبة لي ولا أكترث لها أبداً، كما أنني طبيبة أطفال، وعيادتي مملوئة بالبرائة
ولعب الأطفال والكرتون😊

باراديس / أوه.. كم أنت مذهلة! أتمنى مقابلتك يوماً على أرض الواقع..
زوري صنعاء،إنها زاخرة بالتراث والعراقة الأصيلين، كما تستقطب الكثير من السياح هذه الأيام..
ستعجبك بالتأكيد..😊

ريحانة / أنا أحب السفر كثيراً، لدي قائمة للبلدان التي أود زيارتها، وصنعاء
وعدن من ضمنها حتماً.😉

سوزان/ حقاً، ما هي البلدان التي زرتها خلال حياتك!😮

ريحانة / زرت اسطنبول والقاهرة حيث تعلمت اللغة العربية لأول مرة، والمغرب و دول الشام..

سوزان / أتمنى زيارة حضرموت كثيراً، إن لقب عائلتي هو (بالفقيه) وقال لي جدي
بأن أصولنا كانت من هناك، حيث هاجر جد
جدي أيام التجارة المزدهرة للبن واللبان والبخور والأقمشة والسلع الكثيرة الأخرى في حضرموت،
وحين قدومه إلى إندونيسيا التقى بحلم حياته جدتي فوزانا ثم تزوجا و قررا الاستقرار فيها أيضاً..😄

باراديس / ياه، أنتِ حضرمية يا سوزان!! إذن أنت من نفس بلد ترو..
المهم حينما تمرين على حضرموت يوماً يجب عليكِ زيارتنا في صنعاء.. لا تنسي!! 😊

سوزان/ هذا أكيد، إن شاء الله.

تروبيليفر / وهكذا تنتهي أخيرا ثرثرة الفتيات اللا منتهية،
أنا من مدينة إب من قال أنني من حضرموت!! ولو كنت كذلك لكان لي الشرف أيضاً
بأن أكون من مدينة العلم والعلماء..

أقفلت ريحانة حاسوبها المحمول، حان وقت نومها.. عليها أن ترتاح كي تذهب للعيادة باكراً، شعرت
اليوم بفرحة تملؤها.. لصداقاتها الجديدة، فعلى الرغم من أن
الجميع في إسلام لايف يقطنون ببلدان بعيدة ومختلفة جداً عنها إلا أنها أحست بقرب عاطفي
عجيب تجاههم، ربما كونها شعرت بالانتماء لمن يشبهونها ويشاركونها دينها
وطقوسها الجديدة كشهر رمضان المبارك أو العيدين والصلاة.

لاتنفك ريحانة عن الانظمام للغرفة الإلكترونية يومياً، مضى ستون يوماً كحلم، توثقت
صداقتها بالأصدقاء الرقميين، خصوصا بسوزان وهديل وسفينا.. برعم الحلم يكبر ويتوق بالتصافح
والعناق.

سوزان وريحانة تضعان صورهما الشخصية على حساباتهما وهما مرتديات للحجاب ومبتسمتان
بإشراق، أما هديل فقد وضعت صورة ابن أختها لؤي ذو الثمانية عشرة شهراً
الذي يحمل ملامح بريئة على الرغم من شقاوته وشعر مجعد بني وعينين بُنيتين جميلتين،
وبينما تطلق ريحانة ضحكة دوت أرجاء غرفتها إذ بصوت الباب يُقرع :

- شاركيني الضحك يا ريحانة لست بأحسن حال، علّي أنسى همومي معك، ظننتك قد نمتِ!

- أوه جولييت، ادخلي لستِ بحاجة للاستئذان عزيزتي..

- حسن، ما الذي يضحكك وأنتِ قابعة على جهازك؟

- إنني أتسلى مع صديقاتي الجدد، هن مسلمات مثلي..

- أوه، هذا جيد، لطالما تصورت انعدام حس المرح والفكاهة عند المسلمين، لكني مذ
عرفتك غيرت رأيي كثيراً..

- كنت أعتقد ذلك أيضاً، لكن هؤلاء الفتيات حقاً رائعات.. لا بد لنا من الالتقاء يوماً ما..
سأتفرغ لعشرة أيام من العيادة.. أخطط للسفر.

- يا للمرح! سآتي معك، أود زيارة إحدى بلدان العالم العجيب..

- ودراستك !!

عبست جولييت و تلاشت ملامح الحماس السابقة.. قالت و قد بهتت ابتسامتها:

- آه، لا تذكريني، كان امتحاني اليوم سيئاً جداً!!

- هذا حقاً محزن، لكنك البارحة ذهبت لتلك الحفلة ولم تستعدي جيداً..

- ظننت أن بإمكاني شحن طاقتي للدراسة بالاحتفال والرقص!!

تهز ريحانة إصبعها السبابة بالنفي.. تقول بوجه متجهم :

- لا، لا يمكنك ذلك حتماً.. حسناً، مازلتِ في الثامنة عشرة وتودين فعل كل شيء
لكنك أخفقت بتفكيرك ذاك.. عليكِ الهمّة والعمل.

تطرق جولييت رأسها بكفها بخفة وهي تتذكر شيئاً.. تُخرج من جيب بنطالها ورقة عليها رسم :

- ذكرتني.. انظري!! رسمته قبل ساعة حين ظننتك نائمة..

ريحانة و هي تدقق في الورقة.. في تفاصيل التصميم :

- خلاب! هذا تصميم رائع.. إنه ثوب أنيق جداً وألوانه زاهية كما أنه.. ذو أكمام طويلة و.. محتشم،
آه.. هذا يناسبني أنا، منذ متى وأنتِ تصممين ملابس بهذا الشكل؟ ليست عادتك !!

ابتسمت جولي بفرحة تغمر كيانها لتقول في امتنان :

- أجل، صممته لأجلك وسأهديك إياه حينما أُنهيه..

ريحانة بمرح مبتهجة:

- واو، لي أنا! شكراً عزيزتي.. ذوقك مميز، أعجبني كثيراً..

ابتسمت جولي بغبطة وسرور وودعتها و هي متجهة نحو غرفتها..
أما ريحانة فقامت بتصوير ذاك التصميم وأرسلته لصديقاتها..

ريحانة / ما رأيكن يا فتيات بهذا الثوب! سيكون لي قريباً إن شاء الله..😍

سوزان / جميل جداً، من سيصنعه لك..😊

هديل/آه كم هو جميل!

ريحانه / إنها صديقتي بالشقة جولي، لا تزال تدرس السنة الأولى من تصميم الأزياء،
إنها موهوبة حقاً.. أتمنى أن تصمم موديلات مشابهة لهذا، أحببته..😍

ريحانة / أوه هديل، هل سيتحتم عليّ ارتداء عباية سوداء إذا ما زرت اليمن !!😰

هديل / لا أعتقد ذلك، طالما أنك ترتدين ملابس محتشمة 😇

ريحانة / أوه حمداً لله فأنا امرأة تعشق الربيع والألوان في ملابسي.

****

يولاند: سأروي لكم حكاية بلدنا العظيمة "جنوب إفريقيا" الذي تحدى الاختلافات العرقية واللغوية والدينية.

لقد قامت المملكة المتحدة باحتلاله وبناء مستعمراتها على أرضه إلى حين إعلان الاستقلال وتغيير نظامه إلى جمهورية عام ١٩٦١، حيث اختلط السكان الأصليين مع الأوروبيين الذين يشكلون نسبة ٨%، و دامت صراعات عنصرية طويلة بين الأغلبية السوداء والأقلية البيضاء إلى أن بدأوا سياسة الفصل العنصري، والتغلب على تلك الصراعات، ونتيجة لنجاحهم بالتوحد أصبح هذا البلد من أقوى البلدان الإفريقية، فأصبحت البنية التحتية الحديثة تحتل كل أرجاء البلاد تقريباً، ومنذ عام ١٩٩٤ تقام انتخابات حرة ونزيهة ولم يواجه البلد منذ ذلك الحين أية اضطرابات وزعزعة في الحكم والأمن ، بل يُعد من أكثر الدول استقراراً وقوة و أمناً.

هديل / أصبحوا أمةً واحدة على الرغم من اختلافهم.. كم هم مذهلون!!

آه كم أتمنى وحدتنا جميعاً.😔

يولاند / أتعلمن بأن شعار بلدنا (الوحدة في التنوع)!

رشا / آه، كم أتمنى وحدة الإنسان.. أياً كان دينه، لونه، أو عِرقه.. كلنا من آدم وحواء وكلنا خلقنا من حمل تسعة أشهر.. فلم الاختلاف والاقتتال، ليفهمني أحدكم؟

فتاة غريبة / لطالما تبث فيّ قضية فلسطين الشجن والبؤس، أحلم بفلسطين عربية حُرة.. و برأيي لن يكون بوسع المسلمين أن يتلاحموا سوى حين تسموا نفوسهم عن الغرور والتكبر، حين تُقلع كل طائفة عن اعتبار نفسها من أولياء الله المختارين وأحباؤه، وتتنازل عن فرض جبروتها وتسلطها على من يخالفونها بالفكر والدين..

وأصبح كل من يقرأ خمسة مجلدات دينية ينصب نفسه ولياً وشيخاً وعالماً يقضي بالأحكام باسم الله، يُكفِّر ويشتم ويصدر أحكاماً لا بتّ فيها ولا تنقيص.. فأحكامه الصادرة تقلدت سمة الكتب السماوية المنزلة من عند الرب.. وتنفيذها بات أمراً سهلاً كشرب الماء بيد من حديد لا رأفة ولا مراجعة لصوت الضمير أو حتى العقل.

خاردا: "السلام"، لا بد من أن يغمر قلوبهم وأن يمدوا أياديهم نحو بعضهم بمحبة واحترام مهما كانت اختلافاتهم.. الوحدة في التنوع، والتنوع ثراء ودهشة ومعجزات تتحقق.

لنتخيل معاً..ماذا لو لم تتلاحم ألوان قوس قزح السبعة ، ولو قرر الأزرق والوردي مثلاً النشوز و الانفصال والاستعراض لوحدهما بعيداً عن سرب الألوان المتبقية هل كانت ستتشكل هذه الآية الربانية الغاية في الإبهار؟!

فتاة غريبة:

أدركتُ أن الإنسان غالٍ ولا يقدر بكنوز الأرض كلها مهما كانت ممارساته وديانته واختلافاته طالما أنه يخضع لقوانين الدولة ولا يتعدى على حُريات الآخرين.. فألوان البشر على تلك البقاع تتلاحم بثقافاتها المختلفة، أفكارها وعطائها.. ليتشكل لنا هذا المشهد الحداثي الراقي لبلد قرر أن يتعلم من تجاربه المريرة، ويتحدى ذاته بأن يُسَخِّر سبب الإنهيار والدمار في أيامه المنصرمة السبب الأول في نهضتهم ووحدتهم وقوتهم.

رشا / يااه! ما أجمل سيمفونية الكون حين تعود لطبيعتها المتناغمة! ليتنا البشر نفهم أو نعقل!

.....

بيت هديل مساءًا

دن دن..

" رسالة من ريحانة"

تراث اليمن الزاخر.. وجهتي هذه المرة

سنتصافح بالأيادي أخيرا 😉 انتظريني.

قفزات متكررة وهتافات فرحة كانت ردة فعل هديل.. لكم تتمنى لقاء ريحانة على أرض الواقع.. تفكر كيف تبدو.. و كيف مظهرها و شخصيتها.. روحها مرحة جداً و صُلبة لا تنكسر بسهولة.. واضح من قصتها.. ستخوضان حتماً أجمل رحلة لن تنسيها إياها ركض الأيام.

يقطع سرحانها فجأة صوت رسالة تنبيه من برنامج الدردشة الذي تتحاور عبره عن الأديان.. تفتح الرسالة بسرعة.. مُستخدِم لم تتوقعه.

سليمان / السلام عليكم هديل.. في الواقع أردت التحدث معك عن أمر مهم للغاية.. كل يوم يساورني التردد والشتات و اليوم عزمت التحدث مهما كانت النتائج، أرسلي إلي حينما تكوني مستعدة أرجوك!

جذبت الكيبورد و طبعت بسلاسة:

بارادايس / و عليكم السلام أخي.. تحدث بما تريد، لا داعي لكل هذا التوتر.

سليمان / شكراً لكِ.. أرجوك نادني سليمان و حسب.

بارادايس / هه ؟!

سليمان / في الواقع.. أنا معجب بكِ كثيراً و لديكِ مواصفات فتاة أحلامي..
الفتاة العربية المسلمة الذكية التي لطالما أحلم بها.. أنا عزمت قراري و أريدك أن تفكري ملياً قبل أي رفض..أرجوك!

عقدت هديل حاجبيها.. سليمان شخص طيب و خلوق وهو أوروبي مسلم.. و لكنها لم تطمح أبداً لمثل هذا الموقف معه وبهذه الطريقة.. ردت و قد أخذتها الحيرة:

و لكن أخي.. أقصد سليمان، لا أدري ماذا أقول لك.. لكن هذا أمر مستحيل، لا تجري الأمور ببساطة هكذا.. أنا حقاً أعتذر لك.

سليمان / أرجوك هديل.. لا تردي الآن.. صدقيني الأمر سهل جداً لا تعقديه، فالعالم صار قرية صغيرة، وبوسعي زيارتكم وطلب يدك من والدك كما تجري التقاليد هناك.. خذي أسبوعاً كاملاً قبل أن تعطيني أي جواب.. تريثي وفكري بجدية 😓

بارادايس / حسناً سليمان.. أنا لا أعدك بالكثير.. و لكن لك ما طلبت..
بعد أسبوع سأرسل لك ردي النهائي.😊

سليمان / شكراً جزيلاً.. أرجو أن أسمع ما يسرني.. سأدعُ الله ليل نهار حتى توافقي.

الحفـلـة

بالأمس فقط وصلت ريحانة إلى اليمن، استقبلتها هديل وهالة من مطار صنعاء، كانتا قد اتفقتا بوضع شال العلم الفلسطيني حول الرقبة ليسهل تعارفهما.. و بعد التقصي و التركيز بوسط أفواج المسافرين وأهاليهم، تلتقيا أخيراً.

ميزتها هديل حين لمحت وجهها البشوش الذي لا يكف عن التبسم و الالتفات لكل من حولها..
عينان ناعستان كلون شجر الزيتون.. أنف و فم صغيرين.. و بشرة بيضاء فاقعة..
هرولت إليها في حماسة.. تعانقتا بقوة و ضحكاتهما السعيدة تعج بالأرجاء..
توصلها هالة مع حقائبها لفندق دار السلام بصنعاء القديمة،
تُلح هديل عليها بالمكوث بمنزلها في حي الأصبحي و لم توافق..
أصرّت أن تبقى بالفندق ذو الطابع الصنعاني القديم وذلك لقربه من الأماكن السياحية والتراثية.

ولن يغير ذلك من المتعة شيئاً، فقط خططتا بوضع برنامجٍ يومي ليمضيا الوقت سوية.

و اليوم؛ أعدت هديل حفلة لاستقبال ضيفتها الجديدة..
دعت صديقاتها رشا وألطاف وكذلك عُلا التي قررت تمديد مكوثها في اليمن حتى بداية السنة الجدي دة أي بعد شهرين،
وصديقتاها الغاليتان على قلبها أيام المدرسة ابتهال و زهور و كذا خاردا و يولاند الجنوب إفريقيتين.

تحمست هديل لفكرة هذا الاجتماع، الجميع أكد لها بالحضور..
نهضت مبكرة وبدأت مع حنان وهالة بصنع أصناف متنوعة من الحلويات بالقشطة والشيكولاتة و شطائر بالجبن.. وحين جاء موعد صنع قالب الكيك بالكريمة أصرت
هديل بصنعه وحدها رغم إلحاح حنان وهالة على
مساعدتها، فهي لم تصنع قالب كيك واحد في حياتها أبداً.. قالت بأنها بحثت عن أفضل الطرق على الانترنت وستطبقها، وأردفت مُعاندة بأنها يجب أن تضع بصمتها عليها بيديها وحدها كونها مُضيفة هذا الدار وألا يقلقن أبداً عليها فهي أبسط من حك الرأس..

شدت إزارها وربطت رأسها وكأنها داخلة حرب وانطلقت للمطبخ،
صعدت هالة وحنان للأعلى لتجهيز غرفة الضيوف كما ينبغي.

جهزت هديل البيض والسكر وباقي المكونات.. خلطتها، أفرغتها في الصحن ووضعتها بالفرن..
انتظرت خمساً و عشرين دقيقة من الحماس والثقة، جهزت الكريمة وخلطتها بالحليب جيداً
ريثما يجهز القالب، سمعت جرس انتهاء المدة، هرولت تفتح الفرن ببطء شديد..
عيناها مغمضتان لشدة توترها، تفتحهما لتلتقي نظراتها بقالب الخيبات،
لم ينتفخ الكيك ولو بمقدار أنملة، العجين قابعٌ بقعر الصحن.. تدحرجت دمعات غضب وحزن على خديها بصمت كي لا يشك أحد بقدراتها ويسخر منها،
تستغرق في أفكارها بكيفية الخروج من أزمتها.. تلمح قبضة باب المطبخ تُدار ببطء،
انتبهت وزحلقت الصحن بسرعة تحت الفرن، سوت جلستها..
مسحت خديها واغتصبت ابتسامة باهتة، فُتح الباب..
إنها الصغيرة لولو كما ينادونها أو ليان ذات الأربع سنوات.

هتفت الصغيرة ببراءة:

- كيف حال كعكة عيد ميلادي! أخبرتني أمي بأنك سترسمين اسمي عليها.

- ماذا! عيد ميلادك، آه.. أجل إنها.. لا تزال في الفرن، سأكتبه بالتأكيد.

اقتربت ليان نحوها وهمست في أذنها:

- لا تقلقي، أعلم بأنها لن تكون كعكة جيدة، لكن سأدعُ أصدقائي ولؤي لأكلها،
أو ربما أطعمها لقطتي شعفولة.

عقدت هديل حاجبيها مشتعلة ببراكين الغيظ.. تمتمت بتعابير غاضبة:

- ستكون ممتازة وستأكلينها كلها،
اذهبي لأمك وقولي لها أن تمسح الزجاج والطاولات والنوافذ والأواني، فهي تحتاج للتنظيف،
وأن ترتب غرفة الضيوف الكبيرة أيضاً.. قولي لها و لهالة ألاّ تنزلا إلى هنا أبداً سوى
عندما أدعوهما أنا.

- حسناً خالتي، تعبت صعودا ونزولاً، لكني سأفعل ذلك بسرعة ثم أنزل أنا و لؤي لمساعدتك.

- لا لا، شكراً لا أريد، فقط إبقِ مع أمك، أرجوك افعلي ذلك كي أشتري لك هدية..

- هيي مرحى، أجل أجل، أريد قطاراً وسيارة تلف وتدور.. لا أريد أية عرائس.

- حسناً حسناً، سأحضر لكِ قطاراً يوماً ما.. اصعدي حبيبتي، أحبك لأنك تسمعين كلام الكبار..
هاتي قبلة.

ابتعدت ليان عن ناظري هديل، التقطت الصحن بسرعة وتخلصت من محتوياته ونظفته جيداً،
ارتدت عباءتها وحجابها واستأذنت من والديها في صالة التلفاز، وهرولت مسرعة للخارج،
استقلت حافلة، و ذهبت لشارع حدة حيث الحلويات ذات الجودة الممتازة،
نزلت من الحافلة وذهبت نحو محل الحلويات موكا، اختارت كعكة شيكولاتة
صغيرة الحجم وكتبت عليها (أهلا ريحانة ولولو).. جلبتها للبيت ووضعتها على صحن مستدير..
أخذته للأعلى لتضعه بجانب باقي الحلويات.. تمتمت وهي تصعد:

- إحم إحم.. وصلت، أفسحن المجال للكعكة.

التفتت إليها هالة وحنان في شك.. صاحت حنان بحماس:

- الطباخة وصلت.. اكشفي الغطاء عنها.. هيا أرِنا!

كشفت هديل الغطاء ببطء حتى إذا ما ظهر أسفل الكعكة المليء
بالمكسرات والبندق أطبقت عليها من جديد، كررتها ثلاثاً لتضفي حماساً للموقف وهي تضحك،
لؤي ذو العام والنصف يجري حولها في دوائر غير متزنة وقهقهاته تتعالى بمرح،
وكأنه يريد مشاركة خالته لحظات سعادتها،
بينما تتمسك ليان بطرف بلوزتها منتظرة رؤية اسمها عليها.. هتفت حنان متلهفة:

- هيا بسرعة، شوقتنا افتحيه.

كشفت هديل الغطاء أخيراً.. قالت متصنعة الفخر والغرور:

- ترررا رررام.. حسناً انظرن، وصلين على النبي.

هتفت هالة و عينيها لم تفارق الكعكة لشدة ذهولها:

.-لا لا لا، لستِ أنت، هذه متقنة جداً.. لا يمكن ذلك.

حدقتها هديل بمكر:

- قلت لكِ، صلِ على النبي وقولي ما شاء الله!

أحنت حنان رأسها قليلاً تجاه قالب الكيك، مدت يدها تحته وأخرجت كرتاً:

- موكا(لأجود أنواع الحلويات و المعجنات)!

أردفت هالة:

- يا لك من ماكرة، كدت أصدق.

ضحكت هديل بسذاجة قائلة: في الواقع عدلت عن خطتي، واستمعت لنصيحتكما،
فقررت عمل مفاجأة بسيطة بشراء قالب الكيك هذا.. كنت سأخبركما بالتأكيد،
لكني وددت إضفاء قليلاً من الدراما قبل ذلك.

وبالطبع أرت ليان اسمها حيث لم تكن تعرف قراءة أي شيء غير اسمها أو اسم لولو.
فرحت الصغيرة وقبلتها على خدها ورقصت مع أخاها لؤي الفرح سلفاً بعشوائية مضحكة..
وضعت القالب متوسط الطاولة الكبيرة التي صارت ممتلئة..
ألقت نظرة رضا من بعيد وابتسمت بسرور.

عند الساعة الثانية كان لؤي قد تناول غداءه ونام في إحدى الغرف،
أما ليان أخذت تلعب بدميتها وتحكي لها القصص..

تتمتم الفتيات و تثرثرن حول أمور كثيرة أثناء قيامهن بترتيب ملابسهن وتسريح أشعارهن..
استطردت حنان تحكي قصة قديمة صُدفة.. أثارت تلك القصة اهتمام هديل التي أحسنت الإصغاء
وقت رواية أختها لها..

-تذكرت حينما كنت بسنة التخرج قبل ثلاث سنوات، قررت وصديقاتي الاجتماع في الحديقة..
كل واحدة منا حضرت طبقاً لوجبة الإفطار، اخترت قالب الكيك للتحلية، كنت أجيد عمله، لكني في ذلك اليوم حضرته بعد صلاة الفجر،
ولاستعجالي نسيت وضع الخميرة الفورية ما أدى إلى عدم نهوضها وبقائها بقعر الصحن،
فاضطررت بعدها لشراء طبقين من الفاصوليا بالبيض من المطعم المجاور..

ردت هديل و هي مبهورة تماماً للاكتشاف:

- الخميرة إذن!! لم تخبريني عن أهميتها..

ضحكت هالة في سخرية:

- أتحتاجين إخبارك معلومة كهذه؟! كل الناس تعرفها، لولو الصغيرة تعرفها أكيد..

زمجرت هديل في استياء:

- أنا أعرفها أيضاً، لكن تعرفين كيف أن محترفة الطبخ حنان قد نسيتها، نحن بشر.. نساءين!

و بعد وهلة..راحت هالة تتفقد هاتفها في توتر..تجري اتصالات و لا يرد عليها أحد..
تصرخ في حنق و عصبية:

- غمداااان.. لم تفعل بي هذا كل مرة!!

سألتها هديل:

- ما خطب غمدان؟!

- أخذ سيارتي و لم يُعدها بعد.. آه.. كيف سأحضر الفتيات؟!

- هذا ما كان ينقصنا.. المزيد من العراقيل حتى تتم حفلتنا..

قالت هالة و شرر الغضب يتطاير من عينيها:

- إن لم أحصل على سيارتي حالاً سأجعل الجحيم بعينه يزورك يا غمدان!

تلمع الفكرة برأس هديل:

- خذي سيارة والدي.. سأخبره بنفسي أن يعيرك.. لطالما حدثني بأنك تقودين أفضل من ١٠٠ رجل متمكن.

هتفت هالة بفخر و هي تحك رأسها:

- هههـ.. عمي عادل، يا لك من رجل طيب.. حسن إذن.

شارفت أن تصبح الرابعة، ومراسم الحفل ستبدأ قريباً.. اتجهت حنان لتتفقد لؤي،
دلفت الباب المفتوح ربع فتحة برفق كي لا توقظه لتتفاجأ بعدم وجوده،
بطانيته الصغيرة مرمية بعشوائية على الأرض،ذهبت للطابق الأسفل حيث والداها هناك وحيث ت
جده دوماً يلهو بجوارهما، تفقدت الغرف كلها ولم تجده، طار عقلها لشدة البحث..
أعلنت الطوارئ لهديل ومصطفى ليساعدوها،هرعت هديل لتسأل ليان التي لم تبرح مكانها لتكتفي بإ
يمائة نفي من رأسها، ذهبت إلى القبو ولم تجده، خرجت للفناء الخارجي وأيضاً لا جدوى..

خطر ببالها المكان الأخير (غرفة الضيوف الصغيرة)..
تذكرت أطباقها المتراصة بعناية وقالب الكيك الذي تعبت من أجله،
هرولت بسرعة جنونية للأعلى متجاوزة ثلاثة طوابق كالبرق، لم تحتج لفتح الباب المفتوح أصلاً،
جاءها صوت همهمة ودندنة لؤي غير الواضحة ماما .. جيه .. سويه .. مااااما * دخلت ببطء،
هاهو لؤي الشقي، تراه جالساً بصدر المجلس واضعاً شيئاً بحجره،
كانت مواجهة لظهره ولم تستطع تمييز مالذي يحمله، اقتربت بهدوء حتى لا يخاف أو يهرب،
طلت عليه بوجهها وهو يلعب ب (قالب كيك الشيكولاتة) طار عقلها لهول المنظر..
تسمرت مكانها في ذهول و حزن شديدين..

لحظ وجودها و رفع رأسه إليها.. ضحك ببراءة، مد يده مخترقاً وسط الكيك ووسط قلبها أيضاً
و أخرج مِلء قبضته الصغيرة فتاتات تجاهها لتشاركه فعلته.. لقمها ذرات الكيك وقال:

- هَمم بابع.. (أي كُلي الحلوى)

وجهه.. يداه.. وكل ثيابه ملطخة بالشيكولاتة، والكيك أصبح مفتت عليه وعلى الأرض..
تطاول برقبته قليلاً نحوها و هي مجمدة لم تبرح مكانها ..
قبلها على خدها قبلة متسخة باللعاب و الكثير من الشيكولاته و ابتسم مستدعياً
خالته لتقاسمه لحظاته السعيدة..
أية لحظات الحياة سعادة و بهجة تضاهيها مثل هذه اللحظات يا لؤي؟!

كبتت تصرفاته العنفوانية جموح غضبها.. زمجرت قليلاً.. ثم كتمت غيضها لقصر الوقت..
تجمعت الدموع بمقلتيها و أبت ألا تنزلها.. لقصر الوقت أيضاً.. صاحت أخيراً بوجهه:

- وتكرمني أيضاً أيها الشقي!! هذا ما لم أتخيل حصوله، آه نسينا أنك أصبحت تطال الأبواب..
حمد لله على سلامة الباقي!

صرخت لحنان تناديها بأنها قد وجدته و أن تكف البحث عنه..

نظفت المكان بسرعة،وحملت لؤي للحمام كي تنظفه جيداً،
تسمع صوت هالة وفتيات أخريات يصعدن الدرج.. يقترب الصوت:

- هديل! أنتِ هنا ! أحضرت عُلا وريحانة..

خرج صوتها مغمغاً من الحمام:

- أوه أهلاً أهلاً .. أدخليهما لغرفة الضيوف سآتي حالاً.

طلت برأسها من باب الحمام لتتأكد ألا أحد يراها،رأت حنان وهي تصعد الدرجات..
همست لها بأخذ ابنها كي تُلبسه ثيابه..رتبت هندامها أمام المرآة وكأن شيئاً لم يكن و خرجت إليهن.

حيتهن وعانقتهن وجلست بجوارهن..
عرّفت ريحانة وعُلا على بعضهما وتحدثن عن مواضيع كثيرة..لاحظت فستان ريحانة فباغتتها مندهشة:

- هذا الفستان الذي أريتنا تصميمه.. إنهُ بديعٌ جداً على أرض الواقع!

- أوه، نعم خاطته مصممة ملابسي الصغيرة جولي.. إنها مبدعة ما شاء الله.

هتفت عُلا وهي تتفحص الثوب بنظراتها:

- فعلاً فتاة مبدعة.. ليس فيه أية أخطاء.. دقة متناهية.

- أجل إنها موهوبة، أحمد الله دائماً بأنني التقيت بها وتعارفنا..

هتفت هالة:

- و كيف التقيتِ بها !!

- التقيت بها أول مرة عندما جاءت لتعالج ضرسها الذي يؤلمها في عيادتي الخاصة، تحدثت إليها وكنت أسألها عن دراستها وحياتها التي لا شأن لي بها.. اطمأنت لي فبدأت تتردد عليّ حتى بعد تعافيها،
ذكرت بأنها تعيش بسكن الطلاب القريب من جامعتها الذي يبعد مائة ياردة فقط من شقتي..
طرحت عليها موضوع السكن معي لأني لم أعد أطيق الوحدة.. فرحَت ووافقت على ذلك فوراً!

قالت عُلا:

- أحسنتِ صُنعاً، الآن تقتسمان أجرة الشقة أيضاً، هذا توفير جيد.

- همم، ليس الأمر كذلك.. ما تزال جولي طالبة ومصاريف دراستها تحتاج الكثير، أنا أدفع أجرة الشقة وحدي منذ زمن ولم أشتكِ من ذلك..
إنما اشتكيت من الوحدة القاتلة في الشقة التي لا أستعملها سوى للنوم وغسيل الثياب وتحضير وج بتي الإفطار والعشاء، فحينما وجدت رفيقة أخيراً فقد كسبت الكثير.. إنها فتاة مكافحة ومجتهدة.. تدرس وتصمم وتخيط ملابس لزبائنها كما تساعد والديها اللذين يعيشان بمدينة ڤاليتا في جزيرة بورتلاند الساحرة على تحسين وضعهم المادي!

قالت هديل و قد اعترتها الحماسة:

- يا لها من فتاة.. بسبعة رجال فعلاً، تريد أن تصبح شيئاً عظيماً في المستقبل وأن تعتمد تماماً على نفسها.

أردفت :

- أخبريني كيف وجدت صنعاء! أتمنى أن يعجبك طقسها!

- إنه دافئ، أعجبني كثيراً.. لا أحتاج للتدفئات هنا.

هتفت هالة بمرح:

- بالنسبة إلينا الجو بارد، لا يزال الشتاء ببدايته و سيستمر حتى فبراير.. أنظري.. أنفك مُحمر.. عليكِ بالتدفؤ جيداً هه هـ!

ردت ريحانة و هي تغمز هالة بمكر:

- أنفك أيضاً، وأنفا عُلا وهديل.. هه هـ.

قالت عُلا:

- لم أنكر ذلك.. بالرغم أن الشتاء بنيويورك قارسٌ جداً وتهطل ثلوج كثيفة، هنا الجو يعتبر دافئ فعلاً.

أجابت ريحانة:

- أجل عُلا، أعلم ذلك.. إنه الشتاء على أية حال.

وبينما الفتيات مستغرقات بالحديث؛
صعدت رشا وألطاف ومعهما خاردا ويولاند بلكنتهن الغريبة بالإنجليزية. حلّ جو من المودة و التحايا و جلسن مقابل الأخريات،
وبعد دقائق انظمت آخر دفعة من الصديقات، حنان وهي تحمل أكواب العصير ومعها ابتهال و ابن تها (آية) التي تصغر ليان بعام فقط وكذلك زهور..

دعت هديل الضيفات للانتقال إلى غرفة الطعام المجاورة للاستمتاع بالوجبات التي أعدتها بنفسها مع القليل من مساعدة الأختين.
حيث رمقتها حنان وهالة بعد قولها تلك الجملة بنظرات شريرة مخيفة و متوعدة..
وردت نظراتهن بابتسامة توسل و إشفاق.

اقتربت ليان تجاه هديل وسألتها متى سيغنون لها سنة حلوة يا جميل ،
همست لها بصراحة ألا عيد ميلاد سيحصل كون لؤي أفسد الكعكة، دوّى بكاء ليان الأرجاء دون مقدمات لافتة نظر الجميع. لم تتخيل هديل حصول هذا..
بل لم يخطر على بالها.. حاولت الفتيات تهدئتها و لم يفلحن، روت هديل لهن ماذا عمل لؤي بالكعكة.. لتختلط ضحكاتهن حسرة على حال ليان..
يفكر الجميع كيف يُسلون الصغيرة.. يعلو صوت زهور فجأة:

- سنُغني لكِ يا لولو، لا تقلقي.. لكننا لن نضع الشموع على قالب الكيك!

هدأت ليان قليلاً، وقالت منتحبة:

-على ماذا إذن!

- سنخترع شيئاً جديداً، أنا لا أحب الكريمة.. وكلنا أكلنا حلويات كثيرة و لم نعد نطيق المزيد.. لذا هل ترين تلك البيتزا المدورة.. تبدو شهية وأنواع من الجبن والزيتون يغطيها!

- نعم، أراها جيداً.

- سنضع أربع شموع عليها و نغني لك.

تحمست الصغيرة وصاحت فرحة.. هيي.

احتفلت الفتيات على بيتزا الجبن التي أحضرتها ابتهال معها وارتدت ليان قبعة عيد الميلاد الملونة، غنت ورقصت مع آية ولؤي تارة ومع هديل وريحانة أخرى في جو طفولي مرح..

بعد دقائق..
اقترحت يولاند بفتح بروجيكتر صغير يحتوي على فيلم قصير لصور بلدها وصورها مع عائلتها وخ طيبها، كانت قد أرت باقي الفتيات خاتمها الألماسي الرقيق الذي أهداها إياها خاطبها (جورج) ووجنتاها تتوهجا بحمرة الخجل، يبدأ العرض.. جمال رباني للطبيعة شديدة الخضرة، حيوانات مفترسة و أليفة مُرقطة و مُقلمة، طيور ذات ريش ملون بديعة.. شلالات غزيرة، جميعهن مشدوهات بذاك الجمال الأخاذ.. وأعينهن جاحظات تكدن يلتهمن الشاشة.

صاحت رشا مُعجَبة:

- تبارك الله أحسن الخالقين، يا سبحان الله ما أجمل الطبيعة.. سافرت لأوروبا وأمريكا وبلدان عربية لكني لم أرى أجمل من هذا المكان!

هتفت ريحانة:

- آه ما أجمله من مكان، هذه جنة الله على الأرض فكيف هي جنته!

أخذت خاردا ويولاند تشرحان على الصور التي تُعرض، و تعرفانهن بأسماء أقربائهن وأبناء خاردا الإثنين (كريستيان ولوسي)، الفتيات تتساءلن عن بعض النقاط وأسماء الأماكن، خاردا و يولاند تُجيبان و توضحان كل شيء..
بينما تقوم هديل وريحانة بعربيتها المنكهة باللهجة المصرية بدور المترجم.

لحظات بعدها.. وقفت رشا بسرعة منتهزة انتباه الجميع، قالت بصوت عالٍ والأنظار مصوبة نحوها:

- لدي شيء أقوله.. بمناسبة هذا الاجتماع اللطيف!

حدقت جميع الفتيات إليها في انتباه، أخرجت رشا من وراء ظهرها صورة، هتفت بنبرة جادّة و هي مبتسمة:

هذا أخي محمد، وهو يريد خطبة هديل لكثرة ما أحدثه عنها.. عن طباعها وأخلاقها..
قال لي عدة مرات بأن أعرض عليها طلبه بأسرع ما يمكن.. و لم أجد الفرصة سانحة..
و اليوم واتتني الفرصة، مكان و زمان و أصدقاء مناسبين جداً لإعلان مثل هذا الحدث المهم.

التفتت رشا إلى هديل بنظرات فرحة.. ابتسمت و استطردت القول:
آه كم تمنيت انضمامك يا هديل لعائلتنا، ستكونين رائعة بيننا!

بالطبع صُعقت هديل، تقلصت ابتسامتها حتى تلاشت تماماً وحلّت محلها نظرة حائرة بلهاء، تمنت لو انشقت الأرض وبلعتها لشدة الإحراج الذي انتابها فلم تنبس بكلمة، بينما أعجب الفتيات الموضوع وبدأن يتغامزن ويباركن لها وكأن الخطبة قد تمت.

شكراً لك يا رشا.. ها قد وجدت الفتيات موضوع مهم للحديث عنه..
و ما أجمل من هكذا حديث يُطرب أسماع النساء الفضوليات؟!

ابتسمت رشا بجرأتها العفوية و أردفت:

- كما أن لديه مستقبل ممتاز، لقد درس في النمسا هندسة كهربائية لكنه قرر العودة ليخدم وطنه بعلمه، أعلم بأن صديقتي الغالية لن ترفض طلبي.
بعد أن تقبلي سيتقدم والدي إلى العم عادل رسمياً.. خذي وقتك بالتفكير متأكدة بأن هديل لن تفطر قلب صديقتها المحبة!

ظلت هديل صامتة ومشوشة، تمنت لو كلمتها رشا لوحدها..
لكنها تعلم بطبع صديقتها المتسرع الذي لا يمثل شيئاً
غير نواياها الحسنة بعمل مفاجأة سارة لا أكثر.. تتجمد نظرات رشا تجاه هديل منتظرة أي رد..
لتكتفي هديل بكلمة يتيمة:

- سأفكر!

عمّ الصمت لدقائق .. "صلوات الله وسلامه عليك يا رسولي يا محمد"..
انبثقت هذه العبارة من الفتيات فجأة في وقت واحد،
أثار هذا التصرف فضول ريحانة وعُلا وتساءلن عن هذه العادة، فأخبرنهن
بأنها عادة لأهل اليمن، فحينما يحل الصمت فجأة من الجميع بعد أن كان الجو مشتعلاً بالأحاديث بمثابة احترام دخول الملائكة للمجلس، والذي ينبغي له أن يكون مجلس ذكر لله تعالى وللرسول الكريم.

هتفت ريحانة و قد أدهشها سماع ذلك:

- أحببتها، إنها عادة جميلة جداً "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"، منذ الآن سأفعل ذلك أيضاً.

سألت عُلا مُباغتةً وقد تذكرت تساؤلات تتصارع في عقلها مؤخراً:

- ريحانة!

تلتفت ريحانة إليها:

- أجل.. عُلا..

- هلّا رويتِ لنا قصة إسلامك؟ حينما وصلتُ
اليمن أُعجبت بأمور كثيرة دينية وتراثية فقررت تمديد مكوثي هنا لأتعرف أكثر على الإسلام والتراث وطبيعة الناس أيضاً.. أقوم حالياً
بعمل دراسة عن الإسلام و أقرأ تفسير القرآن من الإنترنت لغرض البحث..

تدخلت هديل تسألها:

- حقاً عُلا!! تقومين بأبحاث عن الأديان والإسلام خصيصا!

ردت عُلا:

- لفت نظري بعد دراسة مطولة أن القرآن محفوظ فعلاً و لم يتم تحريفه أبداً
طوال تلك القرون الماضية.. أذهلتني النتائج حقاً..
كما تعلمين لدينا العديد و العديد من نُسَخ الإنجيل المختلفة تماماً عن بعضها.

لذا أصبحت مهتمة مؤخراً
باستماع قصص الآخرين ممن كانت حياتهم تشبه حياتي وبعدها قرروا أن يغيروا دينهم من النصران ية إلى الإسلام .. تعلمين ليس بالأمر الهين، إنه صعب للغاية!

روت لها ريحانة قصتها كلها.. كيف كانت خجولة بمظهرها أمام الناس،
وكيف بحثت عن الأديان حتى اختارت الدين الذي يناسب فطرتها، وكيف واجهت والديها بقرارها بشجاعة.. فنبذوها ولم يتقبلوا شكلها وفكرتها الجديدة، روت كل شيء و أضافت:

- عندما نجد جوهرة ثمينة لن نستطيع أبداً تجاهلها، سنحتفظ بها مهما كلفنا الثمن..
الإسلام كان جوهرتي الضائعة التي ظللت أبحث عنها طوال حياتي السابقة، ببساطة،
استسلمت عندما سكن قلبي عن اللهاث أخيرا.. حينما سقيته بماء الحق المنزل ممن نفخ فيني الروح،
وانسجمت كل ذرة في تكويني مع خالقي الذي صرت أعرفه أكثر.. ولإنه نفخ فيني من روحه فلا بد لي من الاشتياق إليه والبحث عنه فطرياً وغريزياً حتى وجدته فاكتملت سعادتي..
فالقرب منه هناء وراحة.. والبعد عنه كدر و شقاء.

هتفت عُلا:

- التقرب لمن خلقني..
رائع جداً،لكني من باب آخر عندما أفكر بالالتزامات الموجبة على المسلمة عملها كالخمس

الصلوات يومياً والزكاة والصوم والحجاب... الخ أجد ذلك صعباً للغاية، كيف استطعتِ تجاوز كل ذلك!! هذا قيد للشخص المسلم و أنا أحب أن أعيش حُرة طليقة..
لا أن تملى قوانين توجب عليّ حذوها و اتباعها..

- حسن، سأخبرك شيئاً عزيزتي.. عندما تحبين شخصاً حباً جماً،
وتؤمنين بمشاعره الصادقة نحوك، ستنصاعين لكل طلباته ولن تشعري أبداً بصعوبة تلبيتها لأجله، حتى لو كلفك ذلك تحولاً جذرياً عما كنتِه سابقاً لما يريد هو.. قولي لي ألا يحدث مثل ذلك في قصص المُحبين؟!

هزت عُلا رأسها موافقة.. و قالت و كأنها أدركت ما ترمي ريحانة إلية:

-ستقولين لي الآن بأن حب الله لا بد و أن يفوق كل أنواع الحب المادية و الوجدانية الأخرى...
لا تنسي أني مسيحية.. صحيح لستُ متدينة و لكني أعرف حب الله.. خصوصاً
إذا ما واجهت أزمات و مشاكل أصبحت لا أطيقها..

قالت ريحانة:

- هذا رائع.. فأنتِ بمشاعرك الفريدة تلك مع الله تقفزين درجة علياء على كثير من الناس.. الآن أنتِ تؤمنين بالله و تحبينه كما قلتِ، قولي لي.. كيف تثبتين حبك له عز وجل ؟!

استطردت عُلا القول:

- الحب بين العبد و ربه في القلب..
و لا أعتقد أنه من الضروري فعل واجبات و نسك كي نثبت حبنا له.. إن الله ليس بحاجة إلى حركات نؤديها كل يوم خمس مرات.. أو أن نقمع أنفسنا بأردية تعوق حركتنا وتضيق تنفسنا.

- أتعلمين ما حب الله؟!
هو شعور يلامس شغاف قلبك فجأة بحب نقي صافٍ.. يسري بكل عروقك..
يجعلك هائمة و ذائبة لأبعد مدى و لكن بذات الوقت ثابتة وواثقة..
تعرفين كيف تسيرين و أين تذهبين.. ليس كمخدر الحب الاعتيادي بين البشر الذي يعصب العينين ويخدع كثيرين.. هنا الحب مختلف.. حب يجعلك عذبة مشرقة.. حب ليس كمثله حب.
يجعلك لاهثة تبحثين عن فعل كل ما يحب..
الطاعة و الخضوع و الالتزام بالنسك و الواجبات التي يريدها منك..
و بمثل ما تقومين به يرزقك السعادة و الأمل.. و يكون معك..
عونك و سندك في كل أمور حياتك... أخبريني.. هل وصلتِ مراتب الحب التي ذكرتها ؟!

عقدت عُلا حاجبيها برهة ثم لانت ملامحها بعد ذلك:

- لا أعتقد ذلك.. صراحة.. لم يساورني ذلك الشعور مطلقاً..
و لكن لم جعل الله محبته صعبة هكذا! لم فرض الكثير من الواجبات على عباده كي يفوزوا بحبه؟!

ردت ريحانة:

-إن الله ربُنا وإلهُنا الذي خلقنا وأحبنا و أراد لنا الحياة الكريمة السعيدة،
والتي لن تتمثل إلا إن التزمنا بالمنهج الذي أمرنا باتباعه وهو القرآن الكريم،
ولأنه يحبنا لا يريد لنا أن نتوه في هذه الحياة متشعبة الطرقات الإيجابية والسلبية،
فأوجد لنا هذا المنهاج الحياتي المتكامل لنسير عليه كي لا نضل أو نشقى..
فالقرآن جسر محصن لحماية من يتبعه..
تسيرين عبره نحو غايتك دون أن تخافي من أية أخطار ومتاهات تشوشك.. لماذا ؟!
لأن خريطة السير الصحيحة معك.. تتجهين إليها كلما روادك تساؤل ما..
و بالطبع سيدلك و يوجهك أحسن توجيه!

- القرآن منهاج و خريطة.. أمر مثير للاهتمام، و لكن حقاً.. لما المسلمون في حالة تخلف و تأخر؟!
إن كان لديهم مثل هذا الدليل المثالي للسير عبره في هذه الدنيا؟! فعلاً
أستغرب من هذه النقطة دائماً..

- معك حق.. لا ألومك، أنظري إلي! أنا و غيري آلاف الناس لم نُسلم بسبب معاملاتنا مع المسلمين..
أو الإعجاب بهم لدرجة الدخول في ملتهم!

وجهت ريحانة نظراتها المتأسفة تجاه هديل و رشا و الحاضرات.. و أردفت:

- سامحنني على صراحتي هذه.. فأنا حقاً أحمد الله أني عرفت الإسلام قبل أن أتعرف على المسلمين..
باستثنائكن طبعاً.

قالت هالة في تفهم:

- هذا أمر مخزٍ
للغاية كيف أن المسلمين لديهم مشاكل كثيرة و لا يلجأون لحلها بقرآنهم الذي باتوا يجهلونه و يهجرونه.. نحن نعرف معضلتنا هذه حق المعرفة.. تابعي أرجوك.

استطردت ريحانة القول منتقلة لنقطة أخرى في نقاشها:

- إن الدنيا مخيفة جداً و فيها الكثير من الأشياء المروعة.. سواء كانت تلك الأشياء شرار الناس، أو ربما مصادفات و حوادث مباغتة تقصمهم من أظهرهم..
هل تساورك مخاوف على ما سيحصل لك مستقبلاً أحياناً؟!

قالت عُلا و هي تزم شفتيها:

- أحيانٌ كثيرة تساورني مثل تلك الشكوك.. و لا أظن أن ذلك غريباً.
الكثير من الناس يصابون بتلك المخاوف أحياناً، و الحل
الأمثل ممارسة الهوايات و الرياضة و شغل العقول بما هو مفيد حتى لا نتيه و نقتل أنفسنا بمثل تل ك الأفكار الهدامة..

- هذه أشياء مفيدة و ضرورية.. و لكنها لن تفيد كثيراً.. فالشر موجود فعلاً و الحوادث واردة دوماً..
بوسعنا حماية أنفسنا بالإيمان بالله وحصنه الوثيق فنمتثل له أحسن تمثيل..
نوكل كل شؤوننا لله ولن يخيب حسن ظنوننا به، لن يخذلنا أبدا .
مثل هذه الفئة يعيشون في هذه الدنيا كأنها رحلة عابرة سيغادرونها يوماً..
و ينتقلون بعدها حيث يطيب عيشهم بحق.. في الجنة مع الله.

- الإيمان! سمعت أنه سلاح فتاك..

وما ذكرتِ درجة عالية من الحب والولاء، كيف يستطيع المرء بلوغها! غريب حقاً أمرك أيها المؤمن!

- إنها مسألة طردية، فكلما تعرفنا على الله تأملاً وإخلاصاً وحباً،
سنتعرف على صفاته العُلا واسمائه الحُسنى..
يتجلى اسم الله الرحمن في قصص كثيرة تموج حولك، الله أرحم الراحمين، الرزاق، التواب، الكريم.. ويعكس صفاته على مخلوقاته.

- إن الله تعالى أسس عالمنا بالرحمة و العطف..
لكنا البشر من يغير فطرة الكون و جوهره فتنقلب الموازين.. و يأكل القوي منا الضعيف.

هزت ريحانة رأسها مؤيدة لتقول:

- فعلاً يا عُلا..
لذا ألا ينبغي لنا أن نحب إلهنا الذي يرحمنا ويهتم بنا ويسمع دعاءنا واستغاثتنا في كل وقتٍ وحين!

السميع البصير.. مجيب الدعوات وهو أقرب إلينا من حبل الوريد.. قال تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

لن نحتاج إلى وسيط أو إلى لغة منمقة بألفاظ متناسقة ومسجوعة كي يسمع ربنا دعائنا..
ندعوه بسجيتنا البسيطة و حسب!

قالت عُلا و قد لانت تعابيرها متأثرة:

- ما أعذب كلامك.. تابعي أرجوكِ..

ابتسمت ريحانة :

- حسناً، التفكر في مخلوقاته متناهية الإبداع والجمال والتي تدل بالمقابل على جمال خالقها.. لما لا نغمض أعيننا جميعاً لأسرد لكن قصة!

تفاجأ الجميع للطلب، وكانت الأنظار تحدق في ريحانة التي بادرت هي الأولى تغمض عينيها، أطبقن أهدابهن جميعاً وبدأت ريحانة تسترسل في خيالاتها:

- استعدن يافتيات! سنسافر في أرجاء أجمل بقاع الأرض.. نحن الآن نتجول عبر زورق صغير.. هيا لنستنشق بعمق هواء البحر!!

شعور رائع.. الهواء العليل المالح يملأ رئاتنا!

لنزفر الآن، ونطرد الاكتئاب، الحسد، الكُره.. لنطرد أمراض القلوب كلها.. سماء زرقاء فوقنا وبحر أشد زرقة من تحتنا! ياله من شعور!!

لنجدف حتى منتصف البحر.. انظرن! الدلافين تتقافز وتتسابق بأداء بديع منظم وكأنها تعزف نوتات بنمط سريع متناسق على آلة البيانو...
قوارب الصيادين تعج بالأسماك الوافرة.. حسن، لنجدف حتى اليابسة..
طائر النورس يبشرنا بقربنا نحو اليابسة.. وها نحن نصل...

لنمشي قليلا.. نحن الآن في حقل أزهار.. ما أبهاها! ألوانها وأنواعها كثيرة.. صفراء كعباد الشمس.. ألوان زهر التوليب المثيرة.. البنفسج.. القرنفل.. الفل.. الياسمين... يا الله!

الفراشات الجميلة بكل لون وشكل تطير من حولنا لتلقح الأزهار..
هيا لنواصل مشينا حتى نعتلي تلك الهضبة..
لنتفرج الآن على سباق قطعان الغزلان ذات القرون الطويلة والمنحنية بدقة هندسية متناهية..
ياه كم هذا المنظر آسر لقلوبنا وعيوننا.. جمال رباني لمسناه..
قلوبنا تشهق وأحاسيسنا ترفرف حتى أقصى درجاتها... لنتنفس الآن بعمق من جديد ولنتعجب بـ سبحانك ربي ما أجملك!

لنفتح أعيننا الآن!!

فتحت الفتيات أعينهن متأثرات، مشاعر تتلعثم بالبوح.. روح سلام تدور وتنفث أريجها المُصفى، العبرات تتدحرج.. تبتسم ريحانة لتردف بالآية الكريمة :

((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)..
لحقت تفسيرها مباشرة بالإنجليزية..

HAS NOT THE TIME ARRIVED FOR THE BELIEVERS THAT THEIR HEARTS IN ALL HUMILITY SHOULD) ENGAGE THE REMEMBRANCE OF ALLAH AND OF THE TRUTH WHICH HAS BEEN REVEALED (TO THEM)

تتفجر ينابيع الدمع في مُقلتي عُلا.. تغطي وجهها بكفيها المرتجفين.. تنتحب بشدة..
وتحاول استجماع صوتها من جديد، تهمس و هي تشهق بجهد بالإنجليزية:

YES, THE TIME HAS ARRIVED-

(بلى ، لقد آن الأوان).. أشهدُ ألّا إله إلا الله وأشهدُ أن محمداً رسول الله..

خطت ريحانه نحوها، عانقتها بسرور وهمست:

- أهلاً بكِ يا أختي إلى دين الإسلام.. أسأل الله العظيم أن يبارك فيكِ ويثبتكِ على هُداه!

اتجهت إليها هالة بدموعها المسكوبة لتهنئتها.. رافقتها كثيراً.. و قضت معظم أيامها معها..
دعت الله بأن يهدي هذه الفتاة المهذبة رقيقة المشاعر..
لطالما أخبرت هديل بأن عُلا لا ينقصها شيء سوى الإسلام، وها قد تحقق حُلمها أخيراً.
عُلا أصبحت صبية مسلمة..
هرعت هديل لجلب المصحف المترجم للإنجليزية الذي اشترته هالة لعُلا ولم تحن الفرصة لإهدائه ا إياه سابقاً.. ناولت هالة المندهشة كون هديل لم تهدها إياه بعد..
بينما تهنئ الفتيات عُلا واحدة تلو الأخرى..

همست هديل بأذنها:

- إهدها إياه الآن.. حان الوقت لفعل ذلك أخيراً!

أخفت هالة تفسير القرآن المترجم وراء ظهرها.. تحدثت متجهة صوب عُلا :

- عُلا، كم انتظرت وتمنيت هذه اللحظات لإهدائك هديتي هذه..

مدت يديها وأمسكت عُلا بالتفسير وفتحته.. تدفقت عبراتها من جديد:

- أحببتها كثيراً، أغلى هدية على قلبي كلام الله، شكراً جزيلاً عزيزتي..

مسحت الأكُف الضباب العالق بزجاج القلوب فانبلج ضوء الحب الروحي الخالص،
ابتسمت الأرواح بصفاء، ونفحات سلام عبرت مجتازة حواجز الاختلافات مهما كانت.. جميعهن سعيدات.. حتى خاردا ويولاند تأثرتا كثيراً..
وصرحتا بأنهما لأول مرة يستمعان لمحاضرة عن الإسلام وقد
صححت لهما مفاهيم مغلوطة جمة.. فالإسلام جمال أتى من رب جميل، وهو جوهرة، نقاء، حب وبساطة!

****

عبقُ التأريـخ.. هي صنعاء الحالمة..

رونقها ليس ببهرجتها و بذاختها..

بل ببساطتها و عمق أزمانها..

رائحتها الأثرية تعيدك للوراء، لحقبة بعيدة جداً..
تتموج بظلال حضارة عريقة منذ ثلاثة آلاف عام لا تزال قائمة حتى اليوم..
أي شموخ اعتليته يا صنعاء القوية ؟!

أتتحدين الرياح العاتية و الوحوش الكاسرة بإبائك و عزتك !

ما تزالين في ريعان صباكِ ولم تهرمي بعد.. زهرة شبابك..

بيوتك المتراصة جنباً إلى جنب في غُلو.. تكاد تتلاصق بكل زواياها..
و كأن كل بيت يستمد الحماية من جاره الملاصق له..

عنوان للتلاحم و الإخاء..
شوارعها الضيقة مُترامية على جوانب بساتينها الخلابة و حماماتها البخارية العتيقة..
أسوارها القديمة تحتضن المدينة و تضمها في حنان الأم..

آسرة لكل الأحاسيس..

آسرة للجمال!

بعد يومين اتصلت ريحانة لهديل وسألتها إن كان بإمكانها المجيء
معها بجولة إلى دار الحجر الذي يقع في قرية (القابل)، لكن هديل اعتذرت..
أخبرتها بأنها ستزور جدتها نور آية التي تقطن بحارة طلحة التي تبعد مسافة عشر دقائق مشياً
على الأقدام عن فندق دار السلام الذي تقيم فيه ريحانة في صنعاء القديمة،
سألتها أن تأتي معها لتتعرف عليها، فهي مخزون تراث والحوار معها شيقٌ جداً..
فالجدة تتحفها دوماً بحكاياها وأغانيها القديمة.. بالتأكيد وافقت ريحانة شرط المجيء معها يوم غدٍ
إلى دار الحجر الذي تتشوق كثيراً
لرؤية بناءه العظيم فوق صخرة عملاقة منذ عهد الأسطورة سيف بن ذي يزن.

هكذا قام والد هديل بإيصالها إلى الفندق حيث التقت بريحانة، اتفقتا أولاً
بعمل جولة سياحية بسيطة للتعرف على السوق القديم (سوق الملح).

تجولتا في الشوارع القديمة الضيقة..
تُعرِّف هديل ريحانة على الأنماط المعمارية التراثية المعمورة من اللِبن أو الياجور الأحمر طوال الط
ريق، تنبهر ريحانة لكل جمال يصادفهما. تمرا بجانب جوامع أثرية.. جامع الإمام علي، جامع داوود،
الشهيدين.. أعجبتها القباب الدائرية البيضاء الكبيرة محترفة البناء.. الصوامع العالية.. المآذن..
عمرها التاريخي من ٣٠٠ و حتى ٥٠٠ سنة.. تُصر على هديل بالدخول.. تلجان..
سجاد أحمر بسيط يفترش أفق المسجد شبه الفارغ إلا من شيوخ بعمائم و أثواب بيضاء
و قليل من طلبة عِلم يعتمرون أركانها المتفرقة.. يرتلون آي القرآن، و يتعلمون علومه..
خرجتا لتواصلا المشي حتى بَلغَتا ساحة واسعة قالت هديل بأنه السوق المرجو..

بدا سوق الملح مقسماً لعدة أقسام حسب نوع البضاعة، كل جزء فيه يبيع بضاعة محددة،
سوق البَز خاص بالأقمشة المتنوعة، سوق

المنجارة خاص بأعمال النجارة يُباع فيه نوافذ وأبواب وهراوات خشبية،سوق المحدادة
يختص بالحديد، سوق الزبيب يختص ببيع أنواع المكسرات كالزبيب واللوز البلدي،
سوق المعطارة و يبيعون فيه أنواع من العودة والعطور والبخور والعلاجات الطبية المُستخرجة من
الأعشاب الطبيعية المستوردة و المحلية كالنباتات النادرة الموجودة في
جزيرة سقطرة كشجرة دم الأخوين.. وكذلك بيع البُن والقشر اليمني ذات النكهة النفاذة والمميزة.

وغيره الكثير من الأسواق كالعِسوَب والجنابي* والفضة والذهب ..

تقوم هديل بدور الدليل السياحي وتشرح كل شيء يصادفهما في الطريق.. بدا على ريحانة الاستمتاع
بجولتها في أنحاء القديمة.. أذهلها السوق.. البيوت العتيقة.. الشوارع.. العادات.. اللباس التقليدي..

***العسيب والجنبية/ حزام تراثي منقوش بزخرفات بواسطة خيط يسمى السيم..**
والذي يتوسطه خنجر مصنوع من قرن غزال أو وحيد قرن باهظ الثمن،
و يوجد العديد من النقشات والتي يطغى عليها اللون الذهبي.. يعتز اليمانيون به، و يلبس غالباً
أيام الجمعة والمناسبات كالأعراس والعزاء ، كما تتفاوت أسعاره من ٣٠٠٠ - ٣ ملايين ريال يمني فأكثر
أي ما يقارب حوالي ١٣٣٠٠$ فما فوق.

خرجن أخيراً إلى بُقعة مفتوحة جداً؛ باب اليمن الشهير الذي يمتد منه سور صنعاء، اشترت هديل تفاح وبرتقال وعصائر لجدتها، بينما اقتنت ريحانة لنفسها عقد مرجان تراثي أحمر وخاتم مصنوع من العقيق اليماني و بيوت تراثية مصغرة مصنوعة من الجص. استقلن تاكسي بعدها وتوجهن إلى بيت الجدة (نور آية).

رحبت بهما ابنة عمها (فاطمة) ذات الثمانية عشرة ربيعاً، فتاة بشوشة و عفوية.. لها وجه دائري محبب وعينين رمليتين واسعتين.. و شعر بني مجعد.. اصطحبتهما نحو غرفة الضيوف. دخلت الجدة بِطلتها المميزة التي تحاكي تأريخ صنعاء الزاخر و تنسجم معه.. و كأنها إحدى بطلات الحكايات و الأساطير المتداولة بثوبها العربي من القطيفة ذو اللون البني الغا مق مع نقشات ورود زيتونية، و تضع فوق رأسها وشاح أسود قطني أطرافه مليئة بالذبائل الصغيرة، تلفه حول وجهها بطريقة اللثام الصنعاني القديم.. رحبت بهما و هي تقترب نحوهما في خُطىً واهنة.. وثبت هديل بسرعة من مجلسها.. أحنت رأسها كي تُقبل ركبتها لكن الجدة أبت بقولها " قلت لك مراراً حرام هذه العادة" ضحكت هديل وسلمت على جدتها واقفة، عانقتها وقبلت خدها ورأسها.

بعد دقائق ارتفع صوت الجدة:

- فاطمة.. قربي طعام الغداء.

استأذنت هديل ريحانة غيابها لدقائق كي تساعد فاطمة بتجهيز السفرة، تتسع عينا هديل دهشة لما تريانه:

- فاطمة.. لم كل هذا! لقد تكلفتم وأتعبتم أنفسكم كثيراً.. كنتُ راضية بطبق واحد فقط.. أتمنى لو لم أعلمكم بقدومنا!

ابتسمت فاطمة ببشاشة :

- تعبكم راحة عزيزتي.. فعلت أنا كل هذا، أردت إكرام الضيفة القادمة من بريطانيا.. فقد أحببتها قبل أن أراها، أتمنى أن تستمتع بالوجبات اليمنية.

- إذن هذا ليس لأجلي.. كشفتك يا ماكرة..

- لا لا ، إنه لأجلك أيضاً هاها..

بعد التقديم، اقتربت ريحانة من السفرة تحاول أن تقرفص كما الباقيات.. لكنها وكزت إبريق الماء بمرفقها دون أن تشعر حتى انسكب كله.. نهضت مرتبكة تمسح البلل"آسفة".. ضحكت الجدة قائلة:

- الماء خيرٌ يا ابنتي.. "ورزقك مليان".

تناولن الغداء المتألف من شفوت، بنت الصحن، سلتة، محشي... وكانت ريحانة تستفسر وتجيبها فاطمة عن كل أسئلتها.

* الشفوت / خبز خاص يصنع من الذُرة (لحوح) يوضع بصينية و يُرش فوقه لبنٌ مُتَبل.

** بنت الصحن / رقائق عجين تُرص فوق بعضها.. تؤكل مع العسل بعد إخراجها من التنور

بدا الجميع مستمتعاً بالأكل وبالقهوة الصنعانية الممزوجة بتوابل مخصصة لها.. وبعد مضي نحو تسعين دقيقة أي عند الرابعة عصراً؛ اجتمعن جميعاً بأعلى غرفة في المنزل في الطابق الخامس (المَفرَج *) الذي يحوي مجالس تراثية و نوافذ كبيرة مطلة على بيوت صنعاء القديمة وبساتينها الزاهية.. سألت هديل وريحانة الجدة أن تحكي لهما حكاوي القدماء..**

هتفت فاطمة:

- جدتي، غني لنا توصية العروس بصوتك الجميل!

تلتفت لهديل و ريحانة قائلة:

هذه أغانيّ المفضلة.

حدقتها هديل بمكر وردت:

- أهذا لأنكِ ستتزوجين في العطلة القادمة، تودين حفظ تلك التوصيات ؟!

هتفت ريحانة:

-أوه، مبارك عزيزتي.. أتمنى لكِ حياة سعيدة، لكن مازلت صغيرة!

فاطمة بوجنتين محمرتين:

- لا يا هديل، أنا فقط أحبها دون سبب.. ريحانة، لستُ صغيرة سأصبح في التاسعة عشرة قريباً.

هتفت هديل:

- هاها ، لا تزالين (طفلة) إذن استمعي جيداً للوصايا!

أراحت الجدة ركبتيها.. دلكتهما قليلاً ثم مدتهما على وسائد صغيرة.. فقد أصبحت تعاني من احتكاك الركب مؤخراً.. لكنها لم تُشعر أحد بألمها بل تحدثت الجدة في مرح و فكاهة:

- تزوجتُ حينما كنت في الثانية عشرةً فقط، فاطمة تصبح عانساً بذلك الزمن.. يا لدلع بنات هذه الأيام بالكاد يقبلن بالرجال المساكين!

ردت فاطمة بمرح:

- بالطبع جدتي لا تقصدني فأنا قَبِلتُ بالرجل المسكين، لست من فريق هديل وهالة..

- هذا صحيح يا ابنتي يجب على هديل وهالة أخذ الأمور على محمل الجدّ، هذه سنة الحياة والعمر يمضي.

رمقت ريحانة هديل بنظرة ماكرة قائلة:

- لا تقلقي يا جدتي.. ستسمعين أخباراً تسرك قريباً!

***** المفرج / المنظر : جرت العادة بين أهالي صنعاء جعل أعلى غُرفة في المنزل للمُتكآت و المجالس مع الأصحاب و الضيوف.. النوافذ كثيرة و كبيرة الحجم حتى ترسل الشمس أشعتها فتملأ الغُرفة بهجة، و للتفرج على المدينة و بساتينها من فوقها.. سُميت بهذا الاسم اشتقاقاً من تَفَرَجَ / نَظَرَ.**

اغتاظت هديل فأومأت لريحانة بألا تقول قصة أخو رشا، هتفت متلافية للأمر:

- لا لا يا جدتي ليس الأمر هكذا، نحن ننتظر قدوم الأشخاص المناسبين وحينها سنوافق بالتأكيد.

- إذن قولي لي.. لمَ لم تقبل هالة بابن خالتها الضابط! ما الذي ينقصه؟!

- آه، دائماً نعود لنفس الموضوع.. كل شيء قسمة ونصيب يا جدتي، لا أحد يعلم أين يختبئ نصيب كل واحدة منا.. أنتِ تعلمين ذلك أكثر منا.

- حسناً، هذا أمر أكيد..

ضحكت الفتيات، و استطردت الجدة القول:

- سأغني أغان العروس.. استمعن للنصائح جيداً يا بنات.

وبدأت الجدة بالغناء بصوت هادئ وجميل باللحن الصنعاني القديم:

. مدي يدش لنقشش

عادة أمش والخوات

قُصَتش قُصَة غزيرة تِشتي القذالتين

هتفت ريحانة وعلامات الاستفهام واضحة عليها:

- غناء جميل جداً يا جدتي، لكن هلّا شرحت لنا المعنى!

- القصد هي العروس عندما تتخضب بالنقش الأسود، وهذه عادة منذ قديم الزمان.. أي أن أم العروس وأختها قد فعلن ذلك قبلها، والقُصة هي قُصة الشعر الطويلة التي يجب أن تُقص بالقذالتين أي المقص.

ردت هديل مندهشة:

- أُقسم أنني لم أفهم أيضاً إلا عندما شرحت، هذه المصطلحات لم تعد متداولة.

ربتت الجدة على زهرة الريحان* التي تعلو لثامها فوق رأسها لتعيد وضعيتها السابقة.. مرفوعة للأمام بطريقة شبه عمودية.. و قالت:

- حسناً.. سأكمل :

واسمعي يا ذا المليحة

واسمعي ما بينقل

* عادة وضع زهور الريحان على رؤوس العجائز في صنعاء..

واحذرش قالت وقلتي

واحذرش قيل المقال

واحذرش طلعة جباهم

وتقطفي ريحانهم

واحذرش سناب على الباب لو تقع غارة بكيل

واحذرش قومه بباكر لا يقل بنت الذليل

واخبزي خبزة كبيرة لا يقل بنت البخيل

فاطمة مُطربة:

- ما أجمل غناءك يا جدتي.. سأشرح أنا هذه المرة.. تحذرين مجالس الغيبة والنميمة مع النساء "قالت وقلتي "، وتحذرين الصعود إلى السطح وقطف ريحان بيت أهل الزوج.. أي الوشوشة و إخراج

أسرار بيتهم للغير، وتحذرين الوقوف على الباب كي تتجنب غارة بكيل على حاشد.. في ذلك الزمان جرت معارك بين أوساط القبيلتين (حاشد ، بكيل). وتحذرين التأخر في النوم حتى شروق الشمس، بذاك الزمان يكون متأخراً وحتى لا يقال بأنها ابنة ذليل يخاف الظلمة والوحدة.. وتوصينها بخبز رغيف كبير كي لا يقولوا بأنها ابنة بخيل.

قالت ريحانة وهديل:

= رائع جداً، واصلي.

أكثر من ثمانون عاماً هو عمر الجدة، تعود الدقائق والثوان في حضرتها للوراء.. يلتف العالم بطريقة عجيبة من حولهن حتى تلاشت معالم الحداثة المعتادة.. حديثها وأغانيها يشبه دندنات جواري السلاطين في أزمنة غابرة، يكأن قهوتها نبيذ يُرضخ الأذهان فتغرق ثملة، آلة زمن حقيقية مجتمعة بعناصر مكتملة.. بشرية ومكانية، ولحظية.

تواصل الجدة حديثها:

كنا زمان ننهض فجراً لنرش البذور على التربة أيام الصيف، وكل بيت لديه أرض وبقرة ودواجن وبئر.. أساسيات عيشنا نعتمدها في بيوتنا دون الحاجة إلى أحد.. وكنت أغني مع رفيقاتي:

و احنا طرحنا الصيب وعلى الله النصيب

يا نود يا شرقي علومش والخبر

قالت علومي خير وتبشير بالمطر

و اتروحي واضوي ويا سود النخر

قالت ريحانة منتشية بكل هذا الجمال:

- الله.. ما أجمل وقع هذه الأغاني التراثية على مسامعنا! أشعر بأني عدت بآلة الزمن سبعون سنة إلى الوراء على الرغم من أنني لم أفهم شيئاً سوى كلمة المطر.

قهقهت الجدة لتقول :

- سأشرح كل شيء، حتى ابنتيّ لم يعدن يفهمن بعض الكلمات القديمة المندثرة.. أي نحن بذرنا البذور على التربة وتوكلنا على الله كي ينزل المطر، ثم نسأل الرياح الشرقية عن أخبارها فترد بأن أخبارها كلها خير وتبشر بالمطر. ولتهرب وتعود لمنزلك أيها الثور ذو الأنف الأسود خشية أن تمطر!

أردفت ريحانه:

- كم استمتعت لسماعك يا جدتي، جلستك لا تُمل أبداً!

****

يومين آخرين.

حانت لحظات الوداع مخلفة صوراً جميلة لا يسعها ألبومات كثيرة.. ستظل مختزلة في ذاكرة القلب، فهي حتماً مكان آمن . ودعت هديل وباقي الفتيات ريحانة التي ستتجه إلى مدينة عدن أولاً لقضاء أربعة أيام فيها ثم العودة إلى ديارها.. وداع حار وحزين لفراقها، تبادلن هدايا تذكارية، تعانقن وانطلقت ريحانة للطائرة.

لطالما تشوقت ريحانة لزيارة مدينة عدن والتي يُحكى من قبل البريطانيين القدماء بأنها سميت باسمها الحالي اشتقاقاً من " جنات عدن " والتي تكاد تشبه الجنة لجمالها وسحر طبيعتها الأخاذة التي يجتمع فيها جمال ونقاء البحر وهيبة جبالها المتناثرة على أرضها.

عرفت بأن الملكة البريطانية (إليزابيث) أيام الاحتلال قد اختارت قضاء شهر العسل فيها من بين مدن الأرض. استقبلتها زهور التي سافرت براً مع أبويها قبل يومين.. فزارتا أماكن كثيرة. استمتعتا بجمال الساحل الذهبي الصاف، وهوائه العليل الذي تهب نسماته الدافئة بسلاسة ولذة.

سبحتا فيه ولعبتا مع فتيات أخريات ألعابا كثيرة بالكرة.. فأعددن خطة للاستمتاع يومياً، تسلقن جبل قلعة صيره الحصينة وأكلن السمك الطازج.. ذهبتا للصهاريج الأثرية.. وقامتا بجولة بالزورق حول جبل الفيل وميناء السفن.. ركبتا (الترايفل) واستمتعا بمشاهدة البحر والجبال والمتنزهات تحتهما، وبينما يتفرجن المدينة من الأعلى تنهدت ريحانة في أسى وهتفت :

- آه، لكم تمنيت وجودك يا هديل بيننا!

ردت زهور و قد عبست ملامحها أيضاً:

- لا ينقص رحلتنا الممتعة إلا هي.

أردفت زهور:

أتعلمين!

- ماذا !

قالت زهور وابتسامة مشرقة ترتسم على ثغرها:

- كنا نقضي أوقاتاً سعيدة مع هديل وعائلتها أيام العيدين.. الفطر والأضحى.. علمتها السباحة والغوص في البحر.. و تنافسنا كثيراً على حبس أنفاسنا تحت الماء أقصى مدة ممكنة، كانت أياماً غاية في المتعة.

صمتت ريحانة قليلاً لتقول و هي تتنهد:

للأسف هذه ليست أيام عيد.. وإلا لكانت هديل معنا الآن.. قولي لي منذ متى تعرفان بعضكما؟!

- همم، منذ زمن طويل حين كنا بالابتدائية.. في الصف الثالث تحديداً.. مازلت أتذكرها و شعرها مسرح كذيل حصان.. كانت فتاة خجولة وضعيفة بعض الشيء، وبعض الفتيات القاسيات كن يؤذينها ويأخذن سندويشها ومصروفها اليومي هاها، لكنها مذ تعرفت علي وتعمقت صداقتنا كنت أقوم بالدفاع عنها والأخذ بثأرها.. كبرنا وكبرت صداقتنا حتى اليوم والحمد لله.

أردفت زهور بصوت عميق ينبع من خلجات قلبها:

- ولدنا أيام الوحدة اليمنية.. وبالتالي لا بد لصنعاء وعدن بالالتحام والصداقة، نحن الاثنتين وغيرنا آلاف الصداقات بين أبناء وبنات المدينتين نجسد هذا المعنى العظيم.. ريحانة مندهشة :

- هذا مذهل.. اسأل الله أن يديم هذه العلاقة الواحدة والأخوية العظيمة. وأن يبعد عنكم كل الفتن و التعصبات التي تفكك المجتمعات.

كانت هذه آخر محطة لرحلة ريحانة في اليمن.. قامت زهور ووالدها بإيصالها اليوم التالي لمطار عدن لتقوم برحلتها إلى مطار صنعاء أولاً ثم تغادر متجهة إلى موطنها بريطانيا الذي بات الحنين والشوق إليه يراودها، ودعت من فوق الطائرة البحر الشاسع ومن بعده اليابسة بما حوت من بيوت باتت كأحجار متراصة صغيرة جداً من الأعلى، ودعت شخصيات ومواقف ودودة لن تنساها ما حييت.. تذكرت هديل بابتسامتها البشوشة، وعُلا الفتاة رقيقة المشاعر وموقفهما يوم أسلمت.. لكم فرحت بحقيقة أنها أصبحت تدعو إلى دين الله الإسلام، ابتسمت للمفارقة اللطيفة التي قدرها الله لها (فتاة يمنية نصرانية تُسلم على يد فتاة بريطانية حديثة العهد بالإسلام). تذكرت هالة وزهور وفاطمة والجدة نور آية، ودعتهن جميعاً، وودعت أرض اليمن ككل.

*****

فبراير ٢٠١٠

قررت هديل التفكير بموضوع أخو رشا بجدية أكبر بسبب إلحاحها الدائم لها بسرعة القبول والتفكير.. في الجامعة، عبر الهاتف أو حتى بزيارات لمنزلها.. تفعل رشا كل ذلك كي تقنعها بالخطبة.. جلست على مكتبها الدراسي واضعة إحدى يديها على خدها بينما الأخرى مسندة على المكتب تمسك بصورة (محمد) بلا مبالاة.. حاولت التفكير بعقلٍ صافٍ لكنها لم تقدر، تزاحمت أفكارها المشوشة ما بين إرضاء صديقتها على حساب قلبها فتختار القبول تارة فتباغتها مشاعر قلبها البائس الذي بات يحلم بفارس مجهول بعيد المنال فتراجع قرارها و تتحيز للرفض تارة أخرى، ينتابها إحساس بالراحة للحظات فتراودها صورة رشا المنزعجة التي لن يعجبها ذلك القرار وقد تُصدم أو تشعر بخيبة أمل كبيرة، وربما يؤول ذلك لفتور صداقتهما التي أصبحت راسخة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فتعدل عن قرارها بالقبول من جديد.

-

+قلبٌ حائر.. بات مُتعلقاً به..

ذلك الوهميُ! سرق جُل تفكيرها.. لا تدرِ متى أو كيف تسلل شعورها الجديد..

كان جميلاً.. تتمنى لو تتابع حُلمها حتى النهاية..

في هذه الفترة؛ لم تعد تستجديها متعة للأكل مهما لذ طعمه..

تشعر بالشبع بسرعة.. بل صارت لا تأكل سوى لتسد جوع معدتها لتسكتها..

تسرح كثيراً و ابتسامة ترتسم على ثغرها.. و لا تعرف أقلبها على صوابٍ أم لا..

تشد وجنتيها بأصابعها بقسوة حتى تفيق من أحلامها الوردية.

" أصحي يا هديل، لا وقت للأحلام الآن.. لستِ مُراهقة لقد كبرتِ.. كبرتِ! "

دعت الله بأن يلهمها ويساعدها لتوجه قلبها الحائر أي الطرق أكثر راحة وأماناً. شعرت بسكينة تغمرها.. فتحت درج المكتب السفلي، وضعت الصورة وأخرجت منه كراستها وألوانها المائية التي غطت عليها طبقات من الغبار لعدم استخدامها لسنين طويلة.. التقطت قلم الرصاص وبدأت ترسم بلا خطة لرسم شيء محدد.. خطوط متوازية ولولبية وأخرى منحنية بنفس دقة المسافة و الأداء فيما بينها، يتوسطها وجه حزين لفتاة غير واضحة الملامح.. دق باب غرفتها دقة خفيفة لم تسمعها لانشغالها وشرود بالها.

أتاها صوت فوق رأسها فجأة:

- رسمك حلو جداً.. و لكن لم الفتاة غامضة وغير مكتملة الملامح؟!

انتفضت فزعة.. رفعت رأسها ثم أخفضته مبتسمة:

- آه يا مصطفى أرعبتني، سامحك الله.. إنها فقط.. فتاة حائرة!

باغتها وانتزع منها الكراسة بخفة وبدأ بتصفحها..

- انظري ما أجمل رسوماتك! الغروب، الأشجار الكثة الخضراء والجبال الثلجية.. يظهر خيالك الواسع وكأنك زرتِ جبال الألب من قبل، متى زرتيها ! ها ؟! هاهه..

- ليس لي مزاج للطرافة الآن، زرتها في الأحلام.. أعد إلي كراستي.

لم يكترث مصطفى لمزاجها المعكر، وواصل تصفح الكراسة:

- وهذا الببغاء الملون بالأصفر والأرجواني، والكوخ متصاعد الدخان، وهذه الفتاة متطايرة الشعر، وهذا الطفل الظريف.. كم اشتقت لأختي التي لم يكن من الممكن لها قضاء يوم واحد دون أن ترسم.

ردت في اقتضاب:

- لا تحاول إقناعي.

- و لم؟!

- انكسر قلبي مع موهبتي منذ ذلك اليوم حينما كنت في الصف العاشر..

أعاد مصطفى كراستها إليها وشبك يديه خلف رأسه بلا مبالاة و هتف ساخراً:

- لا أريد إقناعك، تذكرين مشاجراتنا الدائمة بسبب اختفاء ألواني الشمعية وأقلام الرصاص الخاصة بدراستي آنذاك.. لا أرغب بتكرار ذات المأساة الآن وقد صرت مهندساً معمارياً مرموقاً.

- يا لك من حقود، ما تزال تتذكر حتى الآن.. سأُعلم سارة بأن تعدل تفكيرها بالزواج من شخص حقود مثلك!

ضرب مصطفى كفه المقبوضة بكفه الأخرى المرتخية بقوة:

- أوف من يقدر عليكِ؟! حسن.. لم قررتِ ذلك ! لم تحكِ لي قصة الصف العاشر بعد.

- سأخبرك.. إن اعتذرت!

- آهٍ منك، أعتذر.

ابتسمت بمكر وقالت:

- فتىً جيد.

حصل ذلك في حصة مادة الإسلاميات، لا زلت أتذكر عيني الأستاذ سعيد ذاتا الألوان المتباينة، إحداهما خضراء والأخرى بُنية، كما أتذكر لحيته الكثة وغير المهذبة إطلاقاً، حينها كان يقرأ الدرس وتستمع الطالبات إليه، و كنت أنا أرسمه على طاولتي الخشبية في ملل ولم أردد شيئاً، فجأة ناداني بصوت عالٍ منزعج وهو يشير بسبابته نحوي: " أنتِ يا أُم الحجاب الأبيض! ماذا تفعلين؟!"، اقترب مني وشاهد الرسم الذي قالت لي زميلتي لاحقاً بأنه إبداعي و يشبه الأستاذ ولكن بنسخة أجمل وقد جعلته مبتسماً، المهم تفجر كالحمم البركانية في وجهي.. كان يصيح في حدة كمن فَعَلتَ جُرماً لا أخلاقياً.. صرخ موبخاً بأنني أفعل شيئاً مُحرماً وهو التصوير بجانب قلة الأدب بالانشغال عن الدرس وعدم الإنصات إليه، ذكر بأن الله سيبعث كل ما أرسمه من مخلوقات ويبث فيها الروح يوم القيامة فيعاقبني بها ويجعلها تؤذيني وتعذبني.. ومنذ ذلك اليوم لم أعد أرسم لاتقائي للشبهات ولو لم أقتنع كُلياً بكلامه!

دُهش مصطفى من القصة.. كانت تعابيره المُزدرية تتشكل و تتلوى على من تحكي.. زمجر منفعلاً:

- كان عليكِ الانتباه للشرح، حقاً كان ذلك تصرفاً غير لائقٍ البتة!

زفرت هديل بضيق:

- لكني أمل من الحفظ دون أن أفهم.. أنت تعرفني جيداً يا مصطفى!

- آه بالفعل أختي..هذا ممل للغاية.. لكن، لا أستوعب كيف تحطمين موهبتك التي وهبك الله إياها لسماعك جاهل مثله؟! وما معنى الموهبة والفن! إنها عطية من الله.. يهب لنا هوايات ومواهب كي ننفس بها عن أرواحنا، أو كي نسقي الآخرين عذبها وجميلها، الإنسان مفطور على حب الفنون البديعة.

لا يمكن أن يخلق الله صوت إنسان جميل عبثاً، أو يد رسام مبدعة دون مغزىً لذلك التميز، الموسيقى حرام والرسم حرام ولعب كرة القدم والسلة والطائرة حرام، أيخلق الله مواهب للناس ليحرمها؟! تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً!

لم يكن بود هديل أن تجاريه، لكن كلام أخيها الجاد أبهرها حقاً.. استطرد مصطفى حديثه وهو لا يزال يتلوع بحركاته في غضب:

إن الله خلق هذا كله ليربينا على عذوبة النفس وصفائها، وحاجتها لتتذوق ما هو جميل ومباح بنفس الوقت، إنها الروح المؤمنة بالسلام الداخلي مع ذاتها ومع من حولها.. بالطبع نعلم أن ثمة مواهب لها وجه سلبي سيئ. يبعث للاشمئزاز ووجه آخر نير إيجابي يبث الهدوء والراحة لأصحابها وهو بالتأكيد ما أتحدث عنه.

وكوننا مسلمين نعلم حدودنا التي لا ينبغي علينا أبداً تجاوزها يجعل منا موهوبين مفيدين لمجتمعاتنا وديننا فنعكس صورة الإسلام السمحة؛ دين السلام والمحبة الذي يشجع كل ما هو جميل وإبداعي بنفس الوقت.

ردت هديل بشيء من البرود، ليس لأنها لم تقتنع.. بالعكس كان كلامه منطقياً وواقعياً جداً.. و لكن لانشغال بالها بموضوعها الذي شلّ كل تفكيرها هذه الفترة بكلمات بسيطة لتتجاوز الموقف:

- شكراً أخي، أتفق معك بكل كلمة قلتها.. سأفكر بموضوع الرسم بشكل جدي.

دار مصطفى بخفة للخلف في مرح وبدأ يخطو مغادراً غرفتها:

- هذه هي أختي هديل التي لا تستسلم!

اتبعي قلبك دائما حينما تتحيرين بأي موضوع كثرت فيه الأقوال والاختلافات.. فهو سيدلك على الصواب حتماً!

صوت الباب يُغلق، تنهدت وأرجعت كراستها وألوانها للدرج... اتجهت لسريرها، وأراحت ظهرها على الوسادة في إرهاق.. حاولت النوم ولم تستطع، قامت بجذب حاسوبها المحمول الذي أهداها إياه والدها مؤخراً لتشجيعها على الدراسة.. كان الوقت متأخراً حيث شارف حلول منتصف الليل.. فتحت موقعها المعتاد

لتبدأ المحادثة:

📣 السلام عليكم .. هل يوجد أحد هناك ؟!

🔔أيها الكسالى انهضوا.. سوزان ! ريحانة ! ترو بيليفر .

جوزيف / وعليكم السلام.. إنه وقت الظهيرة هنا وعمر في المسجد الآن.. تعلمين إنها الجمعة😕

بارادايس / أوه!

هنا دخلنا منذ دقائق في يوم السبت في بلدنا.. حسن، لا مشكلة سأنتظر الجميع.

جوزيف / لم لا تنامين وحسب؟!

بارادايس / أمم ،لا أشعر بالنعاس.. استيقظت متأخرة اليوم قرابة الظهيرة.. كنت مرهقة البارحة.

سوزان / وعليكم السلام.. أهلاً هديل الكسولة.. إذن فاتتك صلاة الفجر!

بارادايس / لا لا سوزان المشاكسة.. أنا أصلي الفجر بوقته وأوقظ أخي ووالديّ أيضاً.. كلهم يعتمدون عليّ بهذه المهمة.

جوزيف / ما شاء الله، أتمنى أن أصبح مسلماً منضبطاً بأوقات الصلاة.😊

سوزان / أوه.. هذا رائع هديل!

جوزيف ستصبح منضبطاً في الصلاة لو كان إيمانك قوياً.

🤯تأخر عمر عن الدرس! أصبحت نعسة كثيراً إنه الفجر هنا.. تصبحون على خير اعزائي.

بارادايس / كوني بخير أختي، تغطي جيداً!

جوزيف! إذن قررت أن تصير مسلماً ؟!

جوزيف / أجل، قررت ذلك بنسبة ١٠٠% ..الحمد لله اقتنعت، سأذهب 😊العصر لإلقاء الشهادتين في المسجد .

بارادايس / هيي مرحى، خبرٌ مُفرحٌ جداً.. أهلاً بك أخاً في الإسلام😊 ، هل تعلم متى سيحضر ترو حتى يُلقي الدرس !

لحظات وبدأت رسائل عمر بالتوافد مهنئة جوزيف..

ترو بيليفر / أنا سعيد ملء الكون لأجلك صديقي..😊

جوزيف / منذ اليوم نادوني (يوسف)، نحن ننتظر الدرس منذ وقت طويل عمر، ما بالك تأخرت!😁

بارادايس / أهلاً بك ترو، متى يبدأ الدرس؟

ترو بيليفر / آسف على تأخري، اضطررت للذهاب للشركة لأنهي عمل طارئ، واجه فريقي بعض المعضلات في غرفة التطوير والبحث، فنحن نعمل منذ أكثر من عام على تطوير دواء للسرطان، لكم نتمنى أنا وأصدقائي تحقيق نجاحات ونتائج مُرضية وفعّالة.

جوزيف / إنه مرض خطير وفتاك، لا يوجد أي علاج حقيقي، كلنا نعلم بأن الكيماوي لا يقتلع المشكلة من جذورها إنما يقوم فقط بتمديد عمر المريض أشهراً قلة من المعاناة والألم لا غير، قلت لك مراراً ألا تضيع وقتك بهذا الموضوع المفروغ منه..😶

بارادايس / فعلاً، كلام يوسف صحيح، لا أؤمن بعلاج الكيماوي للسرطان!

تروبيليفر / لا لا يا جماعة لم تفهموني جيداً، إنه مستخلص من أعشاب طبيعية، مجرد حقن وأقراص دورية تستأصل الأورام وتعزز دفاعات الجسم ضده شيئاً فشيئاً.. سيكون أمد العلاج طويلاً نسبياً، على أية حال ما يزال قيد الاختبار والتجربة.

بارادايس / هذا رهيب.. أرجو لكم التوفيق لصنع الدواء الفعّال..😊

تروبيليفر / شكراً😊

جوزيف / آمل أن ينتظر مرض العم عبد القادر حتى تنتهوا منه.

تروبيليفر / هذا ما دفعني للعمل ليل نهار، ما يزال مرض والدي ببداياته وربما نستطيع تلافي الأمر.😉

بارادايس / أوه، والدك إذن ! اللهم البسه ثوب الصحة والعافية.

تروبيليفر / اللهم آمين، حسن، فلنبدأ الدرس..

👍👍بارادايس / فكرة حسنة.

جوزيف / بسم الله.😉

تروبيليفر /بسم الله خالق الأكوان، من وصف نفسه بالرحمن الغفار، وصلاته وسلامه على من اصطفاه بالمحبة والرسالة سيد الأنام سيدنا محمد وصحبه وأزواجه الأطهار.. ها هي جلستنا لليوم تبتدي درسنا اليوم عن أهم عنصر في الإيمان وعقيدة المسلم الذي تؤكده سورة الإخلاص وهو التوحيد.. من يعرف معنى التوحيد!!

جوزيف / الإيمان بوحدانية و تفريد الألوهية لله عز وجل، ربّ كل شيء وإله كل الأكوان و موجد كل الموجودات..

ترو بيليفر / أحسنت، إن التوحيد بشموليته وظلاله يتسع ليقود الحياة بكل جوانبها، حتى يكون قيام الإنسان ونومه وحركته وسكونه، بل حتى موته في التوحيد ولأجل التوحيد.. فالتوحيد لغةً معناه جعل الشيء واحداً!

حسن.. ما أقسامه!!

😕جوزيف / همم، لم أقرأ عن أقسامه..

بارادايس / لقد درستها في المدرسة أعواماً كثيرة.. توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية..

ترو بيليفر / فعلاً، هذا صحيح، بقي واحد.

بارادايس / تذكرته، توحيد الأسماء والصفات.

👍ترو بيليفر / ممتاز بارا.. سأشرح هذه الأقسام.

أولاً : توحيد الربوبية وهو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والملك والتدبير.. قال تعالى (الحمد لله ربِّ العالمين) أي خالقهم ومدبر شؤونهم.. ولم يكن لدى المشركين آنذاك مشكلة بهذا النوع من العبودية، قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون)العنكبوت.

ثانياً : توحيد الألوهية وهو إفراده تعالى بالعبادة وذلك بأن يعبد الله وحده ولا يشرك بعبادته أحد وأن يعبد بما شرع لا بالأهواء والبدع قال تعالى (قل إن صلاتي و نسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين) الأنعام .

وقد كان خلاف المشركين بهذا النوع من العبودية ولذلك بعث الله إليهم الرسل.

ثالثاً : توحيد الأسماء والصفات وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو ما أثبته رسوله الكريم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمكين ونفي ما أنفاه الله عن نفسه ونفي ما نفاه الرسول الكريم، قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، فلله عز وجل القوة المطلقة والعزة المطلقة، ومثال النفي في الصفات قوله صل الله عليه وسلم (إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام) وما يؤكده من القرآن الكريم (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة، فموقف المسلم من هذه الصفة نفي النوم عنه جل في علاه مع اعتقاد كمال الضد، أي أنه دليل على كمال حياته.. وللمزيد من التوضيحات حول هذا الجانب أنصحكم بقراءة (منهج السلف في إثبات أسماء الله وصفاته).

جوزيف / بارك الله فيك عمر، استفدت كثيراً.. هل أنهيت!

ترو بيليفر / وإياك يوسف، ما زالت لدينا الشروط.. يبدو أنك في عجلة من أمرك!

جوزيف / أجل عليَّ الذهاب للمسجد للنطق بالشهادتين.. لكم أتمنى حضورك !

ترو بيليڤر / أجل عزيزي، كنت أخطط لذلك قبلك، سأنهي الدرس وأذهب في الحال.

جوزيف / حسن، أراك إذن.

بارادايس / في حفظ الله "يوسف".. ترو، أتذكر هذه الدروس في المدرسة، تلقيناها لسنين عدة.

تروبيليڤر / هذا رائع فلتحمدي الله على هذه النعمة.. لقد كان والدي يحرص على أخذي يومي الأحد والخميس من كل أسبوع لمدرسة تعلم اللغة العربية والقرآن والإسلاميات.

بارادايس / و لقد أثمرت جهود والدك كل تلك السنوات.. فأصبحت تعلم الناس أمور دينهم، أمر مذهل حقاً، فلتكمل.

ترو بيليڤر / حسن، سأكمل..

شروط التوحيد مهمة للغاية.. إن التوحيد ليس كلمة تقال باللسان دون اعتقاد وعمل، بل هو قول باللسان وعمل بالجوارح والأركان، قيل للحسن البصري رحمه الله أن أناساً تقول أنه (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال من قال لا إله إلا الله فأدى فرضها وحقها دخل الجنة) فلا يكفي أن يرددها الإنسان دون علم معناها ليدخل الجنة فقد قال الله عز وجل لنبيه (فاعلم أنه لا إله إلا الله)..

تعمق ترو في الدرس وانسجمت معه بارا حتى أنهياه..

بارادايس / شكرا لك.. لقد كان درسٌ قيمٌ ومهمٌ جداً.. لأول مرة أتطرق لجوانب التوحيد الأخرى التي ذكرتها، لم أتوسع قبلاً عن أهم موضوع في عقيدة المسلم!

ترو بيليڤر / بالفعل هذه أمور عقائدية مهمة ينبغي على المسلم الإلمام بها حتى يكتمل إيمانه.

بارادايس / اممم.. هنالك أمور أتسائل عنها.. كيف لك بجمع هذا الكمّ الهائل من المعلومات الدينية، وباللغتين ما شاء الله!

ترو بيليڤر / أوه أنا لا شيء، ثمة علماء نوابغ، و أنا مجرد تلميذ عندهم.. يصيبني الذهول دائماً كلما حدثتهم.. كما أن لدي اهتمام كبير باللغات.. أحب تعلمها كهواية، أتعلمها بسرعة و بكل متعة.

بارادايس / أوه.. وكم من اللغات تجيد ؟!

ترو بيليڤر / بجانب اللغتين.. أجيد الألمانية و الفرنسية.. و 😊 حالياً أتعلم اليابانية.

بارادايس / واو.. كثير جداً.. معلوماتك تشعرني بأنك في الخمسينيات من العمر!

ترو بيليڤر / أوه، لا لا عقلي تشوش أهذا إطراء أم ذم!

بارادايس / حسناً، إنه ذم.. سمّه ما شئت.

ترو بيليڤر / إنني امزح، شكراً على رفع المعنويات يامن توقظين أهلك للصلاة 😉

****

تتناول الطعام مع والدتها.. بالكاد تمضغ لُقمتها.. تسند رأسها بيد و تشرد كثيراً في عالمها الآخر.. يأتيها صوت والدتها:

- هديل..

هديل.. هدييييل!

تنتبه أخيراً، تلتفت في بلاهة بعد نداءآت أمها الثلاثة:

- أجل ؟! أمي!

أمها وقد انتابها القلق:

- مابك ! تسرحين كثيراً ؟! أين تذهبين ! هل من خطبٌ يشغلك ؟!

تربكها كلماتها.. تتلعثم قائلة:

- أوه، إنها فـ فقط.. صـ صديقتي.

- أهي رشا ! ما بها !

- لالا، لا تعرفينها، اسمها.. اسمها...

تلوح بنظراتها المكان.. طناجر.. أواعي.. مكنسة.. تقرأ اسماً على إحدى الجرائد المعلقة بكيس على باب المطبخ:

اسمها نجلاء..

ردت الأم بحيرة و صبرها يكاد ينفد:

- و مابها نجلاء هذه ؟!

- صديقتها تخطبها لأخيها.. وو لكن!

تقاطعها الأم.. تهتف مبتسمة:

- جميل.. جمييل.. أسأل الله لها التوفيق.

- لا لا أمي.. هي لا تريده.. هي في الواقع.. تحب شخصاً آخر!

ترد والدتها في استياء:

- ماذا ماذا ؟! تحب آخر.. يا للهول!

هديل محاولة جس نبض والدتها:

- لم أمي؟! و هل الحب عيب!!

تثور أمها و هي تسمع هلوسات ابنتها.. تجيبها في عصبية:

- أكيد يا ابنتي.. الحب عيب و عيب وعيب.. بل هو جريمة لا تغتفر.. آخ من بنات هذا الزمن!

وعِّي صديقتك المجنونة بأن مجتمعنا لا يقبل هذه الأفكار.. كلميها بأن تتزوج من الذي خطبها.. الله يسترها بس.. حب ماذا و زفت ماذا!!

- و~ و لكن أمي! هي لن تستطيع الزواج بغيره.. و ستظلم أخو صديقتها إذا ما تزوجته و هي لا تحبه.

تصرخ والدتها موبخة لها:

- الحب يأتي بعد الزواج.. بعد الزواااج.. قولي لها لا ضرورة لأن تحبه الآن.. لا أحد يتزوج عن حب عندنا.. مجتمعنا مُسلم.. مُسلم افهمي أرجوكِ!

تجيب هديل في عناد و استفزاز:

- و هل المسلمون لا يملكون مشاعر ولا يحبون!

هو يصلي و يصوم و يفهم كل شيء عن الإسلام.. كل شيء.. حبهما طاهر لا يشوبه شيء!

- لا لا، لا يُعقل أن هذا الكلام يخرج من فمك! الحب كُله مُلوث.. ليس ثمة من حب نقي و آخر شائك بالشوك.. كُله سواء.. ثم يجب عليها أن تأخذ بعين الاعتبار مستواه المادي و الطبقي أيضاً.. تعرفين العادات.. ليس الزواج لعبة.. يجب أن ينسجما من كل النواحي.. و إلا ستكون مثيرة للسخرية من قبل المجتمع.. و لن تفلت من الثرثارات!

- آآخ من هذه التقاليد، أجل أمي.. أعرفها و إن كانت صديقتي من آل البيت المطهر مثلنا عليها الزواج من سيدٍ أيضاً.

- هذا أكيد.. فلا بد من صفاء الدم الذي ستنقله لأبنائها!

- صفاء الدم ؟! و هل من تتزوج من آخر يلوث دمها!

تتلعثم الأم وهي تهز يديها بحركة عصبية:

-لا لا، لم أقصد ذلك، عليها فقط حسن الاختيار بمن يناسبها من كل الجوانب.. تفهمين قصدي..

تغمض هديل عيناها بقوة.. تتضايق لكمية الجهل التي لا تزال مختزلة بوالدتها و بعقليات جمة في مجتمعها.. تفتحهما و قد تذكرت شيئاً:

- أجل أمي فهمتك.. فهمتك!

" الناس سواسية كأسنان المشط"

"لا فرق بين عربي أو أعجمي أو أبيض أو أسود إلا بالتقوى "

" إن أكرمكم عند الله أتقاكم "

سننسف بهذه الأحاديث والآيات القرآنية لأجل العادات و التقاليد.. التي لا يجوز البتّ فيها أبداً مهما عارضتها!

تتضايق الأم لكلامها.. تهتف منفعلة:

- أنتِ لا تفهمين.. لا تفهمين مهما شرحتُ لك..

تَهمُ والدتها بالمغادرة.. تنهض وسيل من التحذيرات ينساب من فاها من الوقوع مثل صديقتها بهكذا فخ.. تفيدها ابنتها بأنها بعيدة كل البعد عن التفكير بالحب والزواج حالياً و أنها ستنصح صاحبتها بالعدول عن تفكيرها الأعوج.

ترتاح الأم و تمضي كل واحدة لوجهتها.

" حُبي لك عيب.. جنون.. لعنة.. هل تسمع أيها الوهمي ؟!

هل تسمع! خفقان قلبي لحضور اسمك يعتبر جرماً..

أنّى لمجتمعنا معاقبة نبضي الولِه بك؟

هل سيسجنونه عنك؟! أم سيوئدونه في التراب لفضيحته؟

لا.. لا أكترث حقاً لذلك.. دعني أهيم فيك الآن..

يا ترى كيف هو شكلك! ما لون عينيك؟!

سمين أم رشيق ؟ لا بد و أنك وسيمٌ.. ووسيمٌ جداً.. "

****

يواصل عمر دروسه الدينية لأسبوع كامل، جميلٌ هو أسلوبه و سرده لمعلومات قيمة تنساب للعقول بسلاسة دون أية صعوبات.

في ذات مساء، تظهر هديل تطلب المساعدة بشكل طارئ:

بارادايس / HELLOO .. هل من أحدٍ هُنا ! أطلب المساندة المعلوماتية.. من يُنجدني ؟

سليمان / ما المشكلة بارا؟ سنبذل ما بوسعنا لمساعدتك بالتأكيد.

بارادايس / شكراً سليمان، في الحقيقة ظهر اسمي أخيراً لمناقشة موضوعي بمادة المحادثات والاستماع الأحد القادم أي بعد خمسة أيام إن شاء الله، عليّ الصعود لمنصة الشرح في قاعة المحاضرات في الكُلية وتقديم موضوعي الذي ينبغي له أن يكون مثيراً للاهتمام والجدل أمام الطلاب والبروفيسورة.

سليمان / تحتاجين موضوعاً إذن!

بارادايس / عليّ الاستعداد المعلوماتي والنفسي أيضاً.. يجب أن أحصل على الثقة العالية بالنفس للتحدث أمام سبعين طالباً بالإضافة للبروفيسورة، كما علي 😰التحدث باللغة الإنجليزية بطلاقة.. يا إلهي ساعدني!

ترو بيليفر / أهلاً بارا... سنساعدك بالتأكيد، إنه أمر سهل.. فقط ثقي بنفسك وبمعلوماتك؟!

بارادايس / شكراً ترو.. ولكن لن يُسمح لنا بجلب قصاصة ورق واحدة للتذكير بالنقاط المهمة إلى المنصة.. لهذا أشعر بالرعب، ماذا لو نسيت !!

ترو بيليفر / لم أظن قط بأنك ضعيفة هكذا، أتخافين المقصلة أم ماذا!! إنهم بشر مثلي ومثلك ولا يوجد مبرر لارتكاب الأخطاء والتلعثم كالصغار😛.

بارادايس / لست كذلك أبداً ترو 😷سأدرس وأستعد بكل طاقتي إن شاء الله.

🤓💪ترو بيليفر / أحسنت، هكذا اعتدناكِ .. قوية و مقاتلة.

سليمان / مارأيك بموضوع (عمالة الأطفال في اليمن).. موضوع مثير للجدل!

بارادايس / تمت مناقشته قبل يومين من قبل أحد الطلاب، كانت مناقشة حادة وحصل بالفعل على علامة كاملة.

😊سليمان / أوه، حسن.. ماذا عن (التكنولوجيا سلاح ذو حدين) !!

ترو بيليفر / راق لي كثيراً ♡

👍👍بارادايس / وأنا أيضاً، أعجبني، موضوع ذائع الصيت.

سليمان / بقي لنا جمع المعلومات اللازمة عن هذا الموضوع.

ترو بيليفر / سأقوم بجمع بعض المعلومات المهمة وإرسالها إليك.

😊بارادايس / شكراً لكما، سأجمع ما أستطيع أيضاً.

دقائق قليلة حتى انظمت ريحانة مباغتة ومقاطعة للحوار:

😊ريحانة / السلام عليكم، كيف حالكم جميعاً!!

جوزيف / وعليكم السلام، أوه ريحانة جاءت تحمل بشرى سارة.

بارادايس / أوه ريحانتي.. أتوق لسماعها!

ريحانة / (*^_^*)

TRUE_BELIEVER CHANGES THE NAME OF THE GROUP

(CONGRATULATIONBASHEER&RIHANNA)

😊😊ترو بيليفر / مبارك بشير مبارك ريحانة.

بارادايس / (؟ _ ؟) مبارك!! ما المناسبة! أهو عيد ميلادها أم ماذا ؟ أنا مثل الأطرش في الزفة حقاً.. ما الذي يجري!!

تروبيليفر / بل... عيد الشجرة، ألا تدرين! إذن لن أقول حتى تقول ريحانة بنفسها، ظننتكما صديقتين مقربتين!!

ريحانة / نحن بالفعل صديقتان مقربتان، أردتها مفاجأة فقط.. حسن هديل.. لقد تزوجت، أنا حالياً في مصر مع عائلة بشير.. كم هم لطفاء!

بارادايس / لحظة لحظة، لا أستوعب شيئاً مما قلته... تزوجت!! بشير صديق...!

ريحانة / أجل عزيزتي.. حدث الأمر بسرعة صدقيني.. في الحقيقة لقد ارتحت له وأحببته.. قبلت فوراً حينما عرض عليّ ذلك.. تعلمين أنه (النصيب) وحسب كما تقول الجدة نور آية هاها!

بارادايس / بهذه السهولة.. تقبلين! ماذا لو كان يخدعك؟! ماذا لو حصل لكِ أي مكروه! أحد الأشخاص هنا عرض علي ذات الطلب فرفضت فوراً لأني لا أؤمن أبداً بنجاح زواج بهذا الشكل، كما أن اختلاف الثقافات والبلدان قد يؤثر على العلاقة حتى لو كان مسلماً.. لا.. لا يمكن لعقلي استيعاب شيء كهذا.. ثم إنك حينما زرتِ اليمن لم تقولي لي شيئاً!

ترو بيليفر / لا يمكن لبشير أن يكون مخادعاً.. تلك هي مشكلة بعض الفتيات " الشكوك الزائدة "..😒

ريحانة / لم يكن كل شيء واضحاً في تلك الفترة، حتى أنا لم أعلم مالذي ستؤله لنا الأيام مستقبلاً هديل..😇

بارادايس / ترو تعلم بحرصنا على أنفسنا، العالم مليئ بالمخادعين على أرض الواقع.. فما بالك عبر عالم الإنترنت؟! يجب أن نصبح صعبات المنال وقويات المراس وألا نخضع للحمقى... ريحانة والعرس!!

ريحانة / كتبنا كتابنا اليوم زوجاً وزوجة عند المأذون.. كما رتبنا لحفلة 😊😅صغيرة هنا غداً إن شاء الله، لن نحتاج للبذخ والمفاخرات باهظة الثمن.. لست من محبي حفلات الزفاف الصاخبة الخرقاء التي يمكن اختصارها لأدنى حد.

ترو بيليفر / هديل؛ أنا أُدرك كل شيء.. بالنسبة لي يشهد الله بأن ما أرضاه لأختي أرضاه لكِ ولغيرك، وما لا أرضاه لأختي لا أرضاه لكِ ولا لغيرك من الفتيات!

ثم إن ريحانة بريطانية مسلمة وبشير عربي مسلم يشهد له الناس خُلقه الحسن، يجب أن تحمدي الله أنه قد جمع بينهما بالحلال، وأنه يسر لهما كل سبل اللقاء!

ريحانة / شكراً ترو.. هذا ما أردت قوله فعلاً.. بشير هو الشخص الوحيد الذي أحسست بأنه يناسبني ويفهمني، فهو سيعلمني أمور ديني و يشجعني ويؤازرني بكل المحن التي قد تواجهني.. خصوصاً لأني مسلمة وحيدة

😉بعائلتي!

بارادايس / حسناً ريحانة، أخيراً وجدت نصفك الآخر رغم أني لم أقتنع بالفكرة.. و لكن طالما أردتِ ذلك فأنا أهنئك من قلبي.. سأسعد كثيراً لأجلك إن وجدتك سعيدة في حياتك مستقبلاً، بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما على خير 😊😘 ريحانتي الجميلة.

😘 ريحانة / هذه هي صديقتي هديل الطيبة، اللهم آمين، و العقبى لك قريباً جداً.

😛 بارادايس / لا.. لا أفكر بذلك الآن، لست متأهبة لتحمل المسؤولية بعد.

😁 ريحانة / كما قُلتِ للجدة نور آية (إنها مسألة الشخص المناسب وحسب)!

😒 بارادايس / آهٍ منكِ، لا تقدرين على بقاء (فوله) بحلقك!

ريحانة / أووبس، آسفة.

بارادايس / المهم.. ترو، سليمان.. لا تنسوا جمع المعلومات التي طلبت 👍

سليمان / إن شاء الله، لا داعي للقلق.

وهكذا بدأ ثلاثتهم بالعمل، عمر يجمع المعلومات ذاتياً ومن سليمان ثم يرسلها عبر بريد هديل الإلكتروني.

****

رحلة الألف ميل تستحق أن تُبذل حتى تصل لمن ملك قلبك..

لا تتردد ، ثابر.. سِر و سَتُذلل لك كل الصعاب.

أغلق عُمر حاسوبه المحمول آخذاً بالتفكير بضعة دقائق وهو يقلب أوراق عمله، أجرى بعض الاتصالات المهمة للعمل ثم للسفارة وشركة الطيران.. يتصل لجوزيف أخيراً..

رن الهاتف طويلاً ليجيب الرد الآلي:

- مرحباً، قد أكون مشغولاً بعمل ما.. تحدث برسالتك الصوتية بعد سماعك "بيب" وسأتصل بك لاحقاً.

زمجر.. حاول من جديد دون جدوى، أرسل رسالة صوتية بصوت خفت من الحماس الذي بدا عليه آنفاً:

- السلام عليكم، أين أنت يا رجل! أصبحت عملة صعبة بعد إسلامك.. أردت إخبارك بأني عائدٌ إلى اليمن؛ قلت لنفسي ماذا إن جلبتك معي لتتعرف أكثر على بلدٍ مسلم وكي ترافقني لإتمام بعض الأمور.. اتصل بي إن كنت مهتماً.

وفي اليوم التالي اتجه لشركة الصيدلة لأخذ الإذن من مديره بالعمل للحصول على إجازة مدتها شهر لأمر ضروري للغاية، و بالرغم من محاولة بعض الموظفين الذين يكنون له الكره والعداء دون سبب وجيه (فقط لكونه مسلم)فضلاً عن محاولة إيقاعه بالمشاكل وتلمس الأخطاء غير الواضحة للعيان وتأويلها كي يتم طرده من الشركة، إلا أن هنالك آخرون من أعضاء الشركة من يحبه لروحه المرحة وخلقه العالي قد قبل بتغطية عمله أثناء غيابه بصدر رحب!

بعد زيارته للشركة.. ذهب للتسوق، انشغل بشراء بعض الملابس والأحذية الطبية والرياضية وبعض الهدايا التذكارية لأهله وأصدقائه الذين يقطنون في اليمن.. وبينما يتفحص بعض القمصان و بناطيل الجينز بمتجر الملابس إذا بهمهمات يعرفها تُطرق مسامعه مع صاحب المحل، يلتفت بسرعة لمصدر الصوت.. ينادي بصوت مسموع:

- خالتي كاثرين!

امرأة خمسينية ترتدي فستاناً كلاسيكياً أزرقاً ووشاحاً أبيضاً تغطي به رأسها.. تجاعيد بدأت بخوض رحلتها الطويلة بمسام بشرتها الوردية لتبهت بعضاً من جمال عينيها الخضراوين.. تفرح لوجوده.. تقترب نحوه هاتفة بصوت عال:

- أهلاً عمر.. مرحباً بك.. لم أتوقع وجودك هنا.

تقدم عمر نحوها و هو يقول بنبرة مُشاكسة:

- هاها، أنا الذي لم أتوقع ذلك، ما الذي تفعله امرأة في عمرك بمتجر للملابس الرجالية! هذا مضحك جداً.

- آه يا ولد لا تسخر مني لازلت صبية في عمر الورد!

التفتت الخالة يميناً ويساراً وهمست بصوت منخفض:

- أريد عمل مفاجأة لوالدك، أود شراء هدية مناسبة.

ضحك عمر يهتف:

- يا للرومانسية.. هدية لأبي! صدقيني هو لا يحتاج للهدايا كي تثبتي حبك له.

زمجرت كاثرين من جديد:

- ظننتك ستساعدني بانتقاء هدية مناسبة.. اغرب عن وجهي وامضِ بطريقك!

- أتغضب الخالة مني أنا! ولدك الذي اعتنيت به وربيته منذ موت أمه عندما كان في الرابعة فقط!

- أوه يا بني، تعلم أنني لا يمكن أن أغضب منك.

- إذن اسمعي الصفقة.. سأساعدك باختيار هدية لوالدي ذو الذوق الصعب، وتساعدينني باختيار هدية مميزة مخصصة لفتاة!

- ماذا ماذا! فتاة! من هي.. وكيف هي؟!

- ستتعرفين إليها قريباً، بمقدورك القول بأنها حب فوق العادة.. هل سمعتِ عن حب ولم نره ؟؟

ردت كاثرين في حيرة:

- يعني أنك لم تجدها بعد!

- حسن.. بوسعك القول أنني وجدتها لكن لدي ترتيبات علي أن أقوم بها.. سأعود لليمن، الجمعة رحلتي إن شاء الله.. و هناك سأقرر..

- أوه، كنا نتحدث أنا ووالدك عن هذا الموضوع فقد أصبحت في السادسة والعشرين.. يبحث لك أبوك عن فتاة مناسبة من عائلتك، سأخبره بالتعجل بهذا الموضوع!

- لا لا داعي لذلك أرجوكما. سأجد الفتاة المناسبة وأدعو والدي فوراً لخطبتها إن شاء الله.. دعوني أجدها بنفسي وحسب!

- حسناً، إن كان هذا يسرك.. أسأل الله لك التوفيق بفتاة جميلة تسعدك.

- اللهم آمين، الآن دعينا نصعد للطابق الثاني سأريك أشياء مميزة.

تجول عمر مع كاثرين من متجرٍ لآخر حتى حلول الليل، و عادا للمنزل محملين بمشتريات وأغراض كثيرة.. وحين وصولهما كان والده عبد القادر ينتظرهما بالقرب من ردهة الباب شابكاً يداه في حركة عصبية و إحدى رجليه مرفوعة يسندها عرض الحائط، استقبلهما بتعابير غاضبة و عدم رضا:

- أهلاً وسهلاً.. لا يزال الوقت مبكراً!! إذن تتسكعان سوية من متجر لآخر ولم تشعرا بالوقت!!

فوجئ عمر و كاثرين بالاستقبال الغاضب.. قال عمر محاولاً تبرير ما حدث:

- يا والدي اتصلت بك ولم ترد لأخبرك بأن الخالة معي فقمت بإرسال رسالة، احتاجت بعض الأغراض الضرورية فقمت بإيصالها إلى كل مكان تريده.

قال عبد القادر و هو يشيح بناظريه تجاه الأرضية الرخامية:

- لم أقرأها.. في الواقع.. هاتفي انكسر، سقط في الماء حينما كنت بالحمام.. قلقت كثيراً عليها وفكرت بأنها... أنها قد تعرضت لمكروهٍ لا سمح الله!

صمت الأب برهة و قد كسا الحزن ملامحه ثم أردف قائلاً:

يبدو أنها لا تُكّن لي ما أُكِن لها من مشاعر، يظهر أنها لا تبالي بقلقي عليها.. و أنا الأحمق الذي يظل مشغول البال كل هذه المدة.

لم تستطع كاثرين تحمل كلمات موجعة أكثر من تلك.. تجمعت العبرات بعينيها.. وهمست بما يختلج فؤادها و قد أخذت دموعها تشق طريقها على وجنتيها:

- و هل أجازي الشخص الذي لطالما ساعدني بحياتي القصيرة هذه بغير الإحسان! مازلت أستعذب العودة بذاكرتي إلى ذلك اليوم.. كيف دافعت عني لأول مرة منذ اثنتين وعشرين سنة مضت، حين اقتحم مجرم يحمل مُسدساً متجر بيع الورد الخاص بي و بأمي المسنة.. هددني بالسلاح كي أُخرج له جُملة المال الذي جمعته بصعوبة لنا من محل بيع الورد.

لم يتجرأ أحد عليه خوفاً من إطلاقه للنار.. و ظللت أنا ووالدتي نعيش ذلك الكابوس المرعب للحظات باتت سنيناً طوالاً.. خوف و فزع لم أشهد مثيله في حياتي، حتى أتى عبد القادر.. لم أستطع فهم كيف وصل إليه بتلك الخفة.. باغته بركلة سريعة من الخلف لم يتوقعها المجرم ثم انقض عليه كالأسد وأحكم على رقبته بمرفقه بقوة وأخذ منه المسدس، كل الناس كانت تصفق له هاتفين (..HERO..HERO)، منذ ذلك اليوم غيرت رأيي عن المسلمين وبدأت أقرأ أكثر عن دينهم حتى أسلمت.

اقترب عبد القادر من كاثرين و ربت على كتفيها في حنان.. هتف بنبرة واهنة كأنها تعتذر عن الشكوك التي دارت برأسه آنفاً و قادته نحو الجنون:

- أمازلتِ تتذكرين ذلك عزيزتي! حدث ذلك بعد موت صبرية رحمها الله بسبعة أشهر، كنت حينها يائساً وحزيناً بفقدان أم ولدي وكنت أبحث عن عمل جديد.. و حين مروري بمحل الورد بعد مدة لفت نظري حجابك فسألتك عن السبب وأجبتني، سرقتِ قلبي منذ تلك اللحظة وطلبت يدك دون تردد!

تحتضن كاثرين كفي عبد القادر لجوار قلبها لتتابع ما يجول بخاطرها من مشاعر فياضة:

- يا للذكريات البعيدة! تعلما بأنكما عائلتي، فلم يشأ الله أن أرزق بأبناء وعمر كان وما يزال ولدي الوحيد الذي ربيته وأخاف عليه من كل مكروه..

تتطلع بنظراتها اللامعة نحو عينيه:

أما أبوه فهو يعلم مقدار ما أُكنّ له من حُب واحترام وتقدير.

هتف عمر مبتهجاً و هو يحك رأسه:

- يا لحظي الجميل، ماتت أمي التي ولدتني واستبدلها الله بأم جديدة ربتني جيداً وحرصت علي.. أحمدك يا من تستحق الثناء والمجد!

أضاف عمر وهو متجه لسلم الدرج بمرح:

- حسناً يا روميو وجولييت، سأصعد لغرفتي لترتيب أشيائي للسفر، متعب جداً.. بسبب خالتي صعبة الاقتناع.. تريد شراء هدية رجالية فجعلتني أوصلها لمتاجر كثيرة، أنا حقاً مرهق..

صرخت كاثرين في غضب :

- يا لك من مشاغب، كنت أريدها مفاجأة.. خربتها!

يُصدر ضحكة مشاكسة، و يرتقي الدرجات بسرعة هارباً منها.

هاهي الطائرة تهبط على الأراضي اليمنية..

تنفس عمر بعمق حتى امتلأت رئتيه بالهواء وأخرج زفيراً طويلاً:

- ياه، ما أعذب هوائك يا موطني!

فعلاً (لا بد من صنعاء وإن طال السفر).

ضحك جوزيف وقال ساخراً بعد أن فسر له عمر معنى المثل الشهير بالإنجليزية:

- زرتها قبل ستة عشر شهراً فقط.. لا تبالغ، أصبحت أمريكا موطنك الأصلي!

هز عمر رأسه و سبابته نافياً:

- كأنها مائة عام صدقني.. أمريكا لا يمكن لها أن تكون موطني الأصلي.

- و لكن، لا تنسى بأنك فيها ولدت، و عليها تربيت، و بمدارسها و مؤسساتها الأكاديمية تعلمت، أمريكا منحتك الطموح لتحقيق أهدافك و غاياتك المهنية.

- أنا لا أنكر احتضانها لنا ولباقي الجنسيات.. تعلمنا فيها العلوم، و حصلنا على المهن اللائقة، طبعاً بمجهودنا الذاتي الذي كافحنا كثيراً لأجله، لكن الفرق بين اليمن وأمريكا كما هو الفرق بين الأم والحبيبة.. أمريكا جميلة ثرية، فاتنة تدهش حواسنا فتأخذنا بين ذراعيها لننسى الدنيا هائمين بعطرها.. وتدعمك رصيد خبراتك لتتعلم وتنجز.

واليمن كأم بسيطة مكافحة.. عروقٍ تنبض منها، وجلدي مُشيد من ترابها.. أمي اليمن.. تظل سيدة عرش قلبي و كياني؛ عِز القبيلي بلاده ولو تجرع وباها.. لن يغريني مكان في الدنيا بأكملها كما تفعل اليمن.

قال يوسف مصدوماً:

- و لكن أمريكا بلد الحريات و الديمقراطية، الكثير من الديانات تتربع على أرضها.. كلٌ يمارس طقوسه وعباداته كيفما شاء.. و يرتدي ملابس أياً شاء.. على عكس اليمن؛ التي تحتم على السائحات توشيحهن بالسواد و تغطية رؤوسهن!

- أعارضك بهذه النقطة بشدة، لم أذكر لك عدد المرات التي استوقفني رجال الشرطة على متن الحافلة العامة و خلق جو من الذعر و الخوف بقلوب الركاب المدنيين، كل هذا فقط لأني أُطيل لحيتي قليلاً، و هيئتي التي تدل على أنني مسلم.. سأسألك سؤالاً و أرجو أن ترد عليه بصراحة تامة.. أنت مواطن أمريكي مسلمٌ الآن.. هل بإمكانك أداء الصلاة بإحدى الشوارع العامة هناك؟!

- همم، بالطبع لن أستطيع؛ بسبب صورة الإسلام المشوهة هذه الفترة من قبل الإرهابيين.. فأصبح كل من يمارس صلاتهم محط أنظار الشبهة فوراً.. لنعتبر هذا التصرف وقاية أمنية و حسب.

- وقاية أمنية هه ها.. أضحكتني حقاً، ماذا عن الوقاية الأخلاقية للشعب الأمريكي؟! ألا يهتمون لأمرها؟ ممارسة المنكرات علناً في الشوارع أمام المارة كباراً كانوا أم صغاراً أمرٌ عاديٍ جداً و لا يُغضب الشرطة، بينما أداء الصلاة تهيج غضبهم.

- بهذه النقطة؛ معك حق.. مستقبلاً؛ أخشى على أبنائي من الانحراف.

- هاها، لا تقلق سنبذل قصارى جهدنا سوية لغرس مبادئ قوية غير متزعزعة فيهم، عليهم استغلال طاقة العلم و تكريس حياتهم لخدمة البشرية وليكن هدفهم رضا الله تعالى.

- أتمنى ذلك حقاً، حسناً.. لم تقل لي ! ما هو برنامجنا هنا ؟! سنذهب إلى مدينة إب.. صحيح!!

- سنذهب إليها بالتأكيد، ولكن ليس الآن.. سنبقى في العاصمة بضعة أسابيع، أعرف فندقاً ممتازاً.

- ظننتك ستأخذني لأرى المناظر الطبيعية الآسرة للعُدين و بعدان و يريم!

- أتمنى أن يتبقى لدينا الوقت الكافي كي نقوم برحلة إلى هناك..

نزلا بفندق " الفرسان " في شارع الخمسين، حجزا جناح صغير بالطابق الثالث مدة ثلاثة أسابيع، جر نادل الغرف الحقائب واتجه للمصعد معهما ليريهما الجناح.. غرفتان متوسطتان مع رواق صغير و صالة تلفاز و حمام.. ارتاحا فيه.. وسرعان ما غطّا بنومٍ عميق من إعياء السفر.

إنه صباح يوم سبت يبعث للنشاط.. ارتدى عمر ملابسه بسرعة وهتف بحماس:

- فلتسرع، سنذهب بجولة إلى الجامعة!

صرخ جوزيف متفاجأً بصوت مغموم وهو يفرش أسنانه:

- الجامعة!! ألن نذهب لزيارة الآثار ؟!

- بلى، لاحقاً.. أسرع أرجوك..

- حسن..

خرجا إلى الشارع مرتديا نظارات شمسية و قبعات واقية من الشمس و قمصان صيفية ملونة.. استقلا سيارة أجرة لتقلهما لوجهتهما. وبينما عمر وجوزيف يتحدثان، إذ بصوت السائق الذي بدا عليه الأناقة واللباقة:

- هل أنت مرشد سياحي!

- أوه، لا هذا يوسف.. صديق أمريكي مسلم، جاء للتعرف على بلدنا وثقافتنا.

- آه.. أمرٌ جميل، هلّا أخبرتني ماذا تريدان من الجامعة! تخرجت منها السنة الفائتة.. ربما أستطيع مساعدتكما.

- حقاً.. هذا ما نبحث عنه، ماذا كان تخصصك!!

- درست في كُلية الزراعة أربع سنوات.. لكن كما ترى لم أجد عملاً بعد، وكان علي أن أعيل زوجتي وطفلي.

- أها، لذا أنت تشتغل بالتاكسي!!

- أجل، في الواقع أخذت قرضاً من البنك لشراء هذه السيارة.. علي تسديد ٥٠٠٠ ريال أي حوالي ١٠$ كل يوم مدة عامين حتى لا تزيد الأرباح كثيراً، وإن تأخرت، سيتضاعف المبلغ أكثر وأكثر..

يجيب عُمر مصدوماً:

- ماذا ! أرباح ؟! أهو قرضٌ ربويٌ أم ماذا !

- أجل هو قرض ربوي، ماذا كان عليّ أن أفعل حتى أنقذ أسرتي من الجوع والفقر ! لم أجد أحداً ليقرضني هذا المبلغ فكل معارفي ميسوري الحال.

- آه كم أتمنى لو كان هنالك بنوك للقروض الميسرة دون أرباح، وتكون نواياهم وجه الله لا غير.. قال تعالى (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

- صدق الله العظيم .. أتمنى لو كان ذلك متاحاً، الحياة صعبة وعلينا تحديها لذا لم يكن الخيار بيدي، أعرف شباباً كثر حالهم كحالي.. أصبح قرض التاكسي خيار الكثيرين للنجاة من الفقر.

- هذا أمرٌ صعبٌ للغاية، هذا بلدٌ مسلم ولا يجب السماح لهؤلاء الجشعين إمساك الناس من البقعة الحساسة التي تؤلمهم.. إن حالكم كحال من يستنجد من الرمضاء بالنار.

- هذه الأرباح تعود لهؤلاء الجشعين الذين يودعون أموالهم ويوظفونها بحسب قولهم!

زفر عمر بضيق:

- ألا يوجد بنوك تساهم في رفع الأرباح بطريقة شريفة؟! لم يقصم شيء أظهر الناس في النظام الرأسمالي في العالم المتقدم شيء أعظم من الربا!

- يوجد بنوك فعلاً توظف المال في أسهم لمشاريـع ضخمة.. و لا تحدد نسباً في الأرباح، أي كل شهر بما كُتب له من ربح، أرباحها قليلة نوعاً ما، أما البنوك الربوية فتحدد نسباً عالية شهرية وثابتة من الأرباح.

وبعد حوار طويل.. يهتف السائق:

وصلنا.. أي كُلية تريدون!

- كُلية اللغات.. لو سمحت!

أوصلهم السائق إلى حيث يريدون، ترجل من سيارته بالقرب من الكُلية ليقول:

- أتريدون شخصاً بعينه !

عمر بلهفة:

- نريد إدارة الكُلية..

لم يكن من الصعب عليهم إيجاد الإدارة وأستاذة مادة المحادثات والاستماع لطلاب السنة الثانية، شكرا سائق التاكسي وانصرفا.. استأذنا بالدخول وقابلتهم البروفيسورة هويدا، حدثها عمر بالعربية:

- السلام عليكم دكتورة.. جئت أنا وصديقي (يوسف) أمريكي الجنسية لليمن لغرض السياحة، ففكرنا بزيارة كلية اللغات في الجامعة لمساعدة الطلاب على تحسين مهاراتهم اللغوية.

- أوه.. على الرحب والسعة، في الحقيقة هذا ما نبحث عنه (NATIVE SPEAKERS) * . إن أردت لدي محاضرة بعد نصف ساعة لطلاب السنة الأولى.

- لكم وددت ذلك، لكنا تأخرنا اليوم كثيراً، ما رأيك بالبدء من يوم غدٍ الأحد !!

***متحدثين قوميين**

- أجل أجل، غداً الأحد، في التاسعة صباحاً في القاعة رقم ٢١.

- اتفقنا إذن، سنذهب الآن ونلتقي غداً بعون الله.

اليوم التالي .. رحب مندوب الدفعة (عامر) بعمر ويوسف في القاعة.. وجههم نحو مقاعدهم بالصف

الثالث لجهة الطلاب، أخذوا يرحبون بهم ويشكرونهم على زيارتهم التي ستساعدهم على تطوير لغتهم الإنجليزية، وبعد لحظات تدخل البروفيسورة هويدا ليعود كلٌ لمكانه ويسود الصمت والاحترام لسماعها.. تصعد لمنصة الشرح بثقة وتتحدث:

- مرحباً بكم، أتمنى أن تكونوا جميعاً بصحة وعافية..

تهتف وهي تُشير بالأنظار تجاه عمر و جوزيف:

أقدم لكم ضيفينا عمر وجوزيف اللذين جاءآ من أمريكا، أرجو لكما قضاء وقت طيب معنا.. سنخصص وقت لكما، لأسئلة الطلاب الكثيرة.. حسناً؟!

و الآن نستكمل تقديم المواضيع.. سأقرأ الاسم التالي (كمال)..

يصعد كمال ويلقي موضوعه الذي أثار تساؤلات كثيرة من الطلاب وعمر ويوسف أيضاً (لغز الأهرامات)، يعتقد كمال أن من بنى تلك الحضارة لا يمكن أن يكون بشرياً كونه عملاً خارقاً يفوق قدرات البشر، ويرجح قيام مخلوقات فضائية ببنائها.. و ربما حصل هنالك تواصل فيما بينهم آنذاك مع الفراعنة.

تحدث عن استخدامهم لتقنية التحنيط والليزر، حيث يفترض بأنهما لم يكتشفا بعد بذلك الزمان، و من المؤكد أن مخلوقات ذكية جداً توصلت لتلك العلوم التي لم يعرفها الإنسان آنذاك، و ما تلك المخلوقات سوى فضائيون من الكواكب المجاروة.. قد يكون المريخ.. أو ربما الزهرة "أخت الأرض".. أو ربما من مجرة بعيدة جداً غير درب التبانة.. اختصروا طريقهم عبر الثقب الدودي الأسود حتى وصلوا إلى الأرض و نقلوا بعضاً من حضارتهم المتقدمة جداً لكوكبنا..

وبالطبع أحدث الموضوع جلبة كبيرة في القاعة، الجميع يريد التحدث و إلقاء وجهة نظره عنها.. ارتفعت الأيادي الكثيرة و من بينها عمر، أشار كمال إليه ليتحدث، فقال بنبرة فيها عدم اقتناع:

- لا أؤمن بوجود فضائيون، ببساطة لأن القرآن لم يذكر وجودهم.. أتفق معك بنقطة أن تلك الأهرامات عمل خارق لقدرات البشر وأن مخلوقات ما ساعدتهم ربما تكون (الجن) .. لأن الله تعالى قد ذكرهم بالقرآن الكريم (و ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

يجيب كمال في إصرار:

- أجل.. ولكن الله تعالى قال أيضاً في قرآنه (و يخلق مالا تعلمون)، أي أن من المستحيل الإلمام بجميع مخلوقاته التي خلقها، لا يعلمها أحد إلا الله عز وجل.. لهذا من المرجح كثيراً أن من بناها كائنات فضائية!

- هذا أمر أكيد بالنسبة للمخلوقات غير العاقلة كالحيوانات والنباتات والمجرات وكل شيء.. إنما أتحدث عن المخلوقات العاقلة التي سيحاسبها الله على أعمالها الخيرة والشريرة، لم يخلق الله غير الإنس والجن والملائكة طبعاً، ومن بنى الأهرامات لابد وان يكون مخلوقاً عاقلاً ومحاسباًيدل ذلك، وهذا أمر ملموس من طريقة تفكيره واكتشافاته المبهرة.

يهتف طالب آخر:

- ربما تشاهد أفلاما أمريكية كثيرة، كثرة مشاهدتها تولد اندماجاً رهيباً مع الأفكار التي تحويها مع الوقت بالعقل الباطن، لابد لنا التنبه لما نشاهده والأخذ بالاعتبار بأن ما نراه محض سينما ترفيهية لا أكثر.

يقاطع المناقشة صوت دق الباب، فتاتان تستأذنا بالدخول، تومئ لهما البروفيسورة بالموافقة، تقترب إحداهما منها و تهمس بكلمات.. تهز الدكتورة رأسها بالنفي.. تفرح الفتاة.. و يمضيان للجلوس.

يُنهي كمال موضوعه، صفق له التلاميذ بحرارة.. تُثني عليه البروفيسورة.. تنادي بعدها بصوت عالٍ:

- هديل عادل.. دورك!

يشعر بقلبه يتوقف.. مُتلهف هو لسماع هذا الاسم.. يستنشق أعابيره.. فينساب سلسبيلاً بخفقاته.. آلاف الكيلومترات لم تعقه.. قارتان بعيدتان لم يُثنياه.. سفر غير واضح المعالم لم يستطع تبريره جيداً.. ذاك التعلُق بذيل الحب، جعله يأمل كثيراً.. لحظات كالحلم.. تمر بمشي الفتاة نحو منصة الدرس.. خطواتها خجلة متلعثمة.. تُحسن في حجابها و مظهرها.. عيناها واسعتان جميلتان تتناسقان مع استطالة وجهها الحنطي.. و حشمة و حياء تغلفانها كأجمل زهرة نَديَّة.

يلكزه جوزيف بخفة راسماً على ثغره ابتسامة ماكرة.. يتصنع عمر التضايق.. و يتابع من ملأت أساريره فرحاً بظهورها أخيراً.

تتحدث هديل عن موضوعها مرتبكة.. صوتها لم يكن مسموعاً جيداً، مشاغبات وضجيج تعم القاعة.. و بينما تشرح لنفسها موضوعها إذ برشا تومئ لها بالتقدم إليها للمساعدة، التفتت هديل للبروفيسورة إذا ما كانت موافقة لتومئ البروفيسورة بالإيجاب.. صعدت رشا بجانبها.. تمتمت بأذنها بكلمات ثم قالت بصوت عالٍ بالإنجليزية حتى جذبت الأنظار إليهما من جديد:

- مرحباً جميعاً ! موضوع زميلتي هديل اليوم شيقٌ للغاية، إنه عن أشياء بتنا لا نتحمل العيش بدونها.. كماليات أصبحت ضرورات كالماء والطعام..

التفتت رشا نحو هديل وحدقتها بنظرة صارمة برهة من الزمن، وكأنها تقول"أنت قوية، وستتابعين ذلك بكل ثقة.."

تتغير نظرات هديل الخائفة والخجولة لتحل محلها فتاة واثقة بنفسها وقدراتها.. تتابع بصوت مسموع وواضح للكل:

- وهذه الكماليات التي حولناها إلى ضرورات للعيش ولا أبالغ إن قلت بأنها أصبحت كالهواء الذي نتنفسه هي.. التكنولوجيا، عندما ينكسر أو يخرب أي من أجهزتنا التي تعودنا على استخدامها يومياً نشعر بأننا فقدنا صديقاً عزيزاً علينا، ونبادر بإصلاح الخلل بأقصى سرعة ممكنة وإن لم نستطع، نجمع المال ونقترض لشراء غيره، فنشعر بالسكينة والراحة حينما يعود جهازنا إلينا من جديد.. موضوعي اليوم يتحدث عن (التكنولوجيا الحديثة.. سلاحٌ ذو حدين)!

تحدثت هديل بطلاقة، الأنظار كلها نحوها يستمعون إليها بشغف.. عمر يراقبها في اهتمام فائق وابتسامة خفية تعلو شفتيه تعبر عن فرحته.

وحين انتهائها من فقرتها الأولى سألت الطلاب والطالبات إن كان لديهم أي سؤال، وبالطبع بادر عمر برفع يده دون التفكير بسؤال.. تمنى لو تختاره هو لأن الأيادي المرفوعة كثيرة، إلا أنها اختارت طالبة.. هتفت هذه الأخيرة:

- أنتِ تبالغين بردة فعل من يستخدمون التكنولوجيا، سأخبرك عن تجربتي الشخصية، كان لدي هاتف وبأحد الأيام سُرق مني.. والآن مضى عليّ نحو أربعة أشهر ومازلت لا أهتم بشراء غيره.

ترد هديل بذات الثقة:

- حسناً، أنا أتكلم عن الناس الذين أصبحوا مدمنين على أجهزتهم الإلكترونية.. الذين يستخدمون أجهزتهم أكثر من أربعين ساعة أسبوعياً، كالحواسيب والتلفاز والهواتف والألعاب الإلكترونية وغيرها، ربما لستِ من هذا النوع المدمن، ستكونين فريدة من نوعك إن قاومتي رغبتك بشراء غيره !

رفع الطلاب أياديهم مرة أخرى.. وهديل ما تزال تنظر ناحية الفتيات.. نادت البروفيسورة:

- مروان.. ما هو سؤالك!!

كان مروان جالساً أمام عمر وجوزيف، توجهت هديل تنظر ناحيته منتظرة سؤاله.. تحدث قائلاً:

- و ما هي برأيك إيجابيات التكنولوجيا !!

وسرعان ما ردت هديل بثقة لم تتزعزع:

- التكنولوجيا يسرت للناس أموراً جمة، أصبح العالم كله قرية صغيرة.. يتواصلون بسهولة من الشرق للغرب والشمال والجنوب بسرعة خيالية، ثوانٍ معدودة وتصل الرسالة.. كما أن خدمات الاتصال (المجانية) خففت كثيراً من المصاريف الخاصة بالاتصالات.. ويسرت البحوث العلمية في شتى مجالاتها، مثلاً.. حينما نود البحث والاستفسار عن معلومة طبية نتجه مباشرة لنسأل صديقنا جوجل، و غالباً ما أجد حلولاً وأدوية تناسبني وتخفف مرضي.. مازلنا لا نستطيع نكران حسنات التكنولوجيا الكثيرة.

وبينما تحاور هديل مروان إذا بشخص خلفه يرفع يده.. تلمحه وتقول:

- تفضل..

تأكد عمر بنفسه أنها تشير إليه، حانت الفرصة لسؤالها أخيراً.. يبحث عن سؤال ما بمخيلته.. يرتجل واحداً يجمع ما بين احتوائه على معلومات تفيده لشخصه و معلومات تخص الموضوع للتمويه.. بادر القول:

- أود القول، لا ينبغي عليكِ تصديق كل ما يقوله جوجل بخصوص الأدوية وطرق العلاج، إن كان الأمر مجرد وعكة صحية فلا بأس؛ كالأنفلونزا العادية ونزلات البرد، أما إذا كان المرض أكبر من ذلك فيجب استشارة الطبيب واعتماد الدواء الذي سيخصصه.

ردت هديل:

- بالنسبة لي أنا وعائلتي؛ الذهاب للطبيب يكون آخر الحلول، جميعنا يكره الذهاب للمستشفيات، ببساطة لأننا لا نثق كامل الثقة بالأطباء هنا، ثم إن تعاطي الأدوية في كل وعكة نواجهها تضعف مناعة الجسم، العلاج الطبيعي كشرب مغلي الثوم، زيت الزيتون المبارك و العسل البلدي يقوي دفاعات الجسم ويهزم الامراض.. على كلٍ لم نواجه أمراضٍ مستعصية في أسرتي.. أحمد الله من كل قلبي على هذه النعمة.

هتف عمر و هو يرفع حاجبيه مندهشاً:

- الحمد لله؛ الصحة تاج على رؤوس الأصحاء فعلاً، أسأل الله أن يديم هذه النعمة عليكِ و على أسرتك.

ينتهز الفرصة.. يواصل أسئلته في ارتباك خفي:

من باب آخر لنعد لموضوع التكنولوجيا، لدي سؤال حول التعارف الإلكتروني.

شبكت هديل ذراعيها وقالت بهدوء:

- أكيد، تفضل يا صديقي بالسؤال.

قال عمر مباشرة:

- شكراً لك.. ما هو رأيك حول الزواج الإلكتروني!

بالطبع كان السؤال صدمة للجميع بادئ الأمر، ولكنهم لم يكترثوا كثيراً لأمره فهو شخص قادم من أمريكا بلاد الانفتاح والجرأة.. ارتبكت هديل قليلاً لخجلها من الموضوع، لكنها تداركت نفسها واستجمعت ثقتها، ظنت به كما ظن زملاؤها مظهره ولهجته واضحة بأنه عاش في أمريكا لوقت طويل.. تذكرت لوهلة الشخصية الافتراضية التي صارت تزورها بأحلام يقظتها، و التي تتمنى خوض مغامرة الحياة معها، نفضت أفكارها بسرعة لترد بإجابة عقلانية:

- لا أظنها فكرة سديدة، بل أعتقد أنه سيكون زواجاً فاشلاً، أعلم أنكم في أمريكا تظنون بأن ذلك قد يكون زواجاً مثالياً لسهولة الحياة هناك ربما.. إلا أن النظرة الشرقية هنا تقول"لا يمكن لشيء كهذا الاستمرار.."

هتفت البروفيسورة بنبرة ضاحكة:

- ألديك سؤالاً آخر عمر! لم تعتقد بأن زواجاً عبر الإنترنت قد ينجح ! إنه مجرد عالم افتراضي واسع.

حين سماع هديل اسم عمر شعرت بخفقان قلبها بشدة.. حدثها بأعماقها:

- أيمكن بأنه.. هذا المجنون.. عبر كل هذه المسافة لأجلكِ.. هذه حقيقة ترينها بعينيكِ، ليس حلماً يا هديل!

حاولت أن تهدئ من روعها بالتفكير المنطقي، ليصيح صوت عقلها موبخاً، يا لكِ من غبية ! تشابه أسماء.. أهو الوحيد بالعالم من يحمل اسم (عمر) ! لم أصبحتِ هكذا ؟ حكمي العقل دوماً، فالقلب يخذل المحبين.

يومئ عمر بالرفض.. سألت مرة أخرى:

- جوزيف.. ألديك سؤالاً حيال هذا الموضوع ؟!

صرخ قلبها بقوة معنفاً العقل.. و يوسف أيضاً ! تشابه أسماء!

أجاب يوسف:

- امم أجل في الواقع أردت قول شيء.. أعتقد بأن هديل مخطئة، في بعض الحالات تنجح العلاقة بل وتستمر ليكون زواجاً سعيداً، أعرف صديقاً لي اسمه بشير، مصري الجنسية، قرر الزواج من فتاة بريطانية مُسلمة، حيث التقيا بغرفة المحادثات.

أكدت كلمات يوسف الصادمة لهديل التي حبست عنها الكلام دقائق محدقة به وبعمر في ذهول ودهشة كبيرين بأن ما كانت تخافه وتحلم به بآنٍ واحد قد حدث بالفعل... هتفت البروفيسورة:

- هديل، فلتكملي موضوعك.

ردت بكلمات متلعثمة:

- أذ أنهيته، هل لي بالمغادرة!

- أوه، حسناً.. تفضلي.

غادرت مسرعة دون توديع صديقاتها حتى.. استقلت الحافلة لا تصدق ما حدث.. لقد كانا هما فعلاً.. لم يكن محض تشابه أسماء.. لقد انتصر قلبها للمرة الأولى على عقلها.. تشوشت أفكارها فوق الحافلة:

- أهذه طريقة عمر لخطبة فتاة! أم له قصدٌ آخر بالمجيء إلى هنا! أم أنها محض صدفة خير من ألف ميعاد ؟!

عادت لمنزلها.. هرولت نحو غرفتها، لم تكترث لكل من استوقفها لسؤالها عن الدراسة أو عن أي شيء آخر.. أغلقت باب غرفتها و جلست بهدوء للحظات ثم بدأت بنوبات ضحك هستيرية.. يرن هاتفها، تتفحصه..إنها رشا.

- آلو رشا..

- أين ذهبتِ، ما بالك! لم غادرتِ هكذا.. ما يزال لدينا محاضرتين! هل جننتي!

- اسمعي.. أأنتِ وحدك!

- أجل.. أنتظر البروفيسور خارج الكلية.

- هل ما يزال عمر وجوزيف موجودان!

- غادرا قبل برهة، حدثانا عن أموراً مثيرة للاهتمام، فاتك نصف عمرك حقاً، حسناً.. لما تسألين!

- هه ها أمرٌ مضحك حقاً.. سأروي لكِ حكايتهما، هل تتذكرين الموقع الذي أتحاور عبره عن الأديان؟! حصل ذات يوم....

- أمرٌ لا يصدق.. فعلاً من عاش كثيراً شاف العجب..

- أجل، مصادفة ظريفة..

- أها مُصادفة!!.. أود سؤالك! لم سألك عن رأيك عن زواج الإنترنت؟! لم يكن سؤالاً عابراً، لن أنخدع بسهولة..

- صدقيني تعجبت مثلك، لا أدري ماذا أقول.. دعيني أتفرج ما الذي سوف يحصل حتى النهاية..

- ماذا! حسناً، أعرف صديقتي أكثر من نفسها، هذا هو السبب الذي أخرك كل هذه المدة لإعطاء رد على موضوع محمد.. أنتِ تريدينه صحيح!

- لا لا، أنا في الواقع مشوشة لا أعرف ما الذي أريده.. فقط دعينا ننتظر للأخير .

- اسمعي! مهما كان اختيارك، سأبقى صديقتك التي تحبك وتتمنى لك الخير حيث كان.

- أوه يا رشا، أقسم بأن صداقتنا هي أغلى ما أملك.. أفكر فيكِ دوماً وأخاف فراقنا لا قدر الله.

- ماذا ! نفترق لأجل أمر سخيف، لا.. لست ساذجة إلى هذا الحد.

- آه، حمداً لله!

شكراً لك عزيزتي.. أرحتني كثيراً.

أغلقت هديل هاتفها، أخذت تفكر عميقاً عن سبب مجيئهما لكليتها، أقفلت عينيها.. تنفست بعمق.. أخرجت خمس زفرات متقطعة محاولة الاسترخاء وإفراغ الأفكار المتزاحمة بعقلها المشوش، انتظرت بفارغ الصبر حلول اليوم التالي علّه يبعث لها بالإجابات.. حاولت الخلود للنوم.. تقلبت يمنة و يسرة و مضت الساعة تلو الساعة و ما تزال مستيقظة.. بالٌ مشوش وأفكار هائمة.. قلبٌ لا يكف عن الخفقان.. و أوصال ترتجف.

يحل الصباح الجميل.. الكُلية زاهية كغير عادتها.. ليست مملة ككل يوم.. تتوق حقاً إليها مذ غادرتها البارحة.. تتفقد نظراتها الداخلين للقاعة.. دخل كثيرون.. طلاب.. البروفيسورة ثم.. ها هما أخيراً.. عمر و جوزيف يتفقدا مقعدين لهما.. تحاول تأمل تفاصيله البارزة و البشوشة.. إشراقة وجهه.. شعره السبط و لحيته الصغيرة و قامته الطويلة.. تبتسم و قلبها يطير من مكانه فرحاً.. يُرحب بهما الطلاب ويفسحا لهما مكاناً بالصفوف الأولى، وكزت رشا هديل لتلاحظ ذلك أيضاً، هتفت و هي تحتضن وجهها بكفها المُسندة على المنضدة:

- فاتك حديثهما يوم أمس يا بلهاء.. لكنتهما أمريكية كممثلي هوليوود.. آآه.. يا لروعتها! يتحدثا بطلاقة.. بطلاقة !

ضحكت هديل كثيراً، وقالت ساخرة:

- يحسب الله أنها بلدهم التي ولدا ونشآ فيها.. أنسيتِ ؟! و لكن كوننا عربيتان أفضل كثيراً.. يوسف مثلاً يغبطنا لإجادتنا اللغة العربية، لغة القرآن الكريم.. قال لي ذلك يوماً.

زمت رشا شفتيها في استياء.. وقالت:

- آه.. حسناً بدأنا.. أعلم ذلك، نحن في نعمة حقاً، حمدلله أننا نجيد العربية ونفهم كلام الله.. على كلٍ، ستسمعينهما اليوم و سترين، سترميهما بعين الحسد!

أخرجت جزء من لسانها و هي تقول جملتها الأخيرة تجاه هديل..

بعد لحظات دخلت البرفيسورة، حيت الطلاب والضيفين الأمريكيين . وبدأت تشرح الدرس الجديد الصوتيات الكلامية PHONETICS بإسلوبها السلس والممتع، المزود بأدوات تدعم الشرح يجذب انتباه الجميع ويجعل تلقيهم للمعلومات مرناً و سهلاً، كان عمر يتسائل ما إذا كانت هديل قد حضرت، فلم يلحظ وجودها في تلك القاعة المكتظة.

وبعد حوالي ساعة سألت الدكتورة الطلاب إن كان هنالك أي استفسار عن الدرس، شكت هديل لصديقتها عدم قدرتها على التفريق بين صوتي ʒɜ و /ɖʒ/

فأشارت بيدها ولحظتها .

- هديل، ماهو سؤالك ؟!

- كيف لنا التفريق بين صوتي ʒɜ و /ɖʒ/

إنهما متشابهان، هذا صعب جداً..

- حسن، لاحظي نُطقي لهذه الكلمات ؟!

..JOKE..JOY.. JUDGE.. JUG.. ..ETC

هل ترين الفرق؟

- اممم..؟!

- هذه الأصوات تنتج من الحنك (الحنك الصلب + اللسان)...

- أجل ثمة نوع من القطع في الصوت.. لقد فهمت الآن.

سألت البروفيسورة ما إن كان هنالك أي استفسار.. ليجيب الجميع بالنفي، ينبعث صوت أحد الطلاب من الجهة الوسطى.. و يهتف بصوت عالٍ:

- دعي عمر ويوسف يتحدثا كما الأمس، مواضيعهما كانت حماسية وممتعة للغاية..

أشارت البروفيسورة لعمر و يوسف وسألتهما إن كانا يرغبا بالتحدث على منصة الشرح كالبارحة، فرحبا بالفكرة.. اقترح يوسف الحديث عن قصة التقائه بعمر، جلسا على مقعدين بالمنصة، وبدآ بسرد تفاصيل حكايتهما منذ التقيا، كان الجميع يستمع بشغف وتأثر عميقين، حتى هديل.. فهذه هي المرة الأولى التي تعرف قصتهما، حكى يوسف عن شجاعة عمر وبشير حينما ساعداه، وعن مايكل ووالدته...

وحينما حلّ جوٌ من الصمت للحظات رفع أحد الطلاب يده مستفسراً عن كيفية تحملهم للعيش ببلاد الكفر والفسق وو...، نظرا لبعضهما لوهلة وابتسما، قال يوسف:

- أمريكا فيها أعيش وترعرعت انا ووالديّ وأجدادي.. درست واجتهدت وحققت طموحاتي.. وكانت هي سندي الكبير بعد الله، هناك يشجعوننا على بذل قصارى جهودنا لتحسين كفاءتنا العلمية والعملية، وبغض النظر عما يجري من فساد أخلاقي لا محدود، فإني أود العيش هناك لأني ببساطة لا أصاب بالملل، يتوفر هنالك أماكن كثيرة للتسلية والنوادي والألعاب و أنا أحبها، فلو كانت اليمن تملك برامجاً للترفيه كالتي هناك لفضلت البقاء هنا، البلد المسلم المدني الحديث هو النموذج الذي أتطلع للعيش فيه.

رمق عمر يوسف بنظرات تعجب و قال مبتسماً:

- بالنسبة إلي.. لا يوجد تربة على وجه الأرض تملأ كياني حباً وشغفاً مثل تربة موطني اليمن، أحب كل شيء فيها.. سهولها وهضابها، جبالها وبحارها، أناسها وبسطائها الطيبين، هوائها وجوها العليل.. لكم أرجو الله أن أقدم لوطني شيئاً قيماً، وأن أساهم في انتشاله من وحل الجهل ليرتقي للعلياء والأمجاد والحضارة.. تراثنا عريق ولكن حاضرنا عكس ذلك، علينا الاستفادة من برامج الدول الحديثة التنموية والفكرية والعلمية وتطبيقها هنا، و ليس فسادهم الأخلاقي و تقليد ملابسهم كما أرى البعض حريص على فعل ذلك هنا.

كان بعض الطلاب يرفع يده لسؤالهما، ومن بينهم هديل التي ألحت عليها رشا عمل ذلك.. وبينما تدور عينا عمر لاختيار إحدى الأيادي لمح هديل ترفع يدها في جهة اليسار بقسم الطالبات، قال مباشرة:

- تفضلي... هديل.

أجابت بصوت مرتبك قليلاً:

- ثمة أمر أود سؤالكما عنه.. لما قررتما زيارة اليمن؟!

لم يتوقع عمر سؤالها، ارتبك ونظر ليوسف الذي بدا أنه مستعد لإعطاء إجابة:

- في الواقع، إن هذه الرحلة لأجلي.. أراد لي أن أتعرف على بيئة مسلمة، وزيارة تراث صنعاء الزاخر، ثم السفر إلى إب حيث تنتظرنا الطبيعة الخلابة الخضراء والعيون والينابيع بوديانها الرائعة.

ردت هديل مبتسمة:

- هذا رائع جداً، إب الخضراء جميلة جداً..

لم يرض عمر عن تلك الإجابة، بل رأى الفرصة سانحة له لإعطائها تلميح على الأقل.. هتف مباغتاً:

- كما جئنا هنا لمساعدة الطلاب بممارسة اللغة الإنكليزية..

همم، ألا تحبين وجودنا هنا؟!

ردت هديل بهدوء:

- بلى، وجودكما هنا جيد، شكراً لمساعدتكما لنا.. أرجو لكما قضاء وقت ممتع.

- شكراً هديل..

سأل أحد الطلاب عمر قائلاً:

- ماذا تعمل هناك وهل أنهيت دراستك؟! نرجو أن تكون سفيراً جيداً لبلدنا في أمريكا.. أعرف البعض ممن سافروا إلى هناك تغيروا جذرياً للأسوأ، ضيعوا هوياتهم وأضحوا نسخاً مكررة عنهم للأسف..

أجاب عمر:

- أعمل على تطوير أدوية لمرض مستعصٍ " اللوكيمياء" في إحدى شركات الصيدلة الدوائية هناك..

وبالنسبة لموضوع العيش في أمريكا فهو صعب على كل من يريد أن يحافظ على هويته ودينه؛ ولذا العض على ديننا و مبادئنا بالنواجذ هو الحل.. نحن لا نذهب أبداً لأماكن مريبة، نحاول غض البصر دائماً عن المحرمات، و نجتمع برفاق يشبهوننا.

لا أنكر أنني أحمل هموماً عن كيفية تربية أولادي في المستقبل في هذا البلد على الدين والأخلاق الحميدة، وكيف عليّ إبعادهم عن أصدقاء السوء، إنها مهمة صعبة جداً.. ولكنها ليست مستحيلة فوالدي رباني قبلاً على الالتزام والأخلاق.. و مع هذا، أنا لا أزكي نفسي.. فلي هفواتي الكثيرة في سنواتي المبكرة التي رميتها لتلتهمها أمواج البحر في جوف النسيان.. فـ الله غفور رحيم لمن تاب وعمل صالحاً ثم أناب.

اتجهت نظراته نحوها هنيهة و صرفها تجاه الطلاب من جديد وقال:

وبالطبع هذه المهمة العظيمة يتطلبها زوجة مميزة ذات خُلق ودين..

احمرت وجنتاها خجلاً وأطرقت بعينيها الأرض.. وكزتها رشا التي لاحظت تلك النظرة من عمر تجاهها.. وهمست لها:

- إنه يقصدك، أنا متأكدة أنه سيطلب يدك!

وخزتها هديل بإصبعيها و قالت مصطنعة التذمر:

- لا يقصدني، لقد قال كلاماً عاماً.. افهمي جيداً..

علت أصوات تصفيق الطلاب و البروفيسورة يمطرونهم بعبارات المدح و الثناء..

انتهت المحاضرات وغادر الجميع الكلية.. غادرت تلك التي وصفت يومها بـ السعيد أيضاً، ابتسامة لا تفارق ثغرها، وصلت لمنزلها، تُسلم على الجميع وتحييهم وتلبي طلباتهم بسرعة ونشاط وحيوية، تهذي بأغنيات حُب ملونة.. تتمتم مع نفسها.. ترتطم كلمات أخيها الذي جاء بعدها بنصف ساعة لتكسر موجتها.. " حضري لي بطاطس مقلية و اخلطي لي فاكهة المانجو* الطازجة لتحضير عصير بارد لا مثيل له.

في العادة، تجري مناوشات ومحاولات كثيرة عند طلبه إياها عمل خدمة له، ولم تكن لتطيعه بسرعة.. مثلاً يطلب منها تلبية غرض ما لأجله وتتذمر مباشرة ولا تفعله إلا بعد مضي عدة ساعات من المجادلات والمفاوضات وتبادل الصفقات.. هذه المرة أجابته بكلمة واحدة :

- حاضر..

و مع ذلك؛ لم يترك لها مصطفى حالها، وظل يسخر بكلماته و حركاته الجنونية:

- لا، لم أسمع جيداً.. أعيدي ما قلته أرجوك ! أذناي لم يتحملا الصدمة بعد.. قلتي حاضر دون أن أكرر طلبي مرة أخرى و أنتِ مبتسمة !!

ردت عليه بهدوء و قد بدأت بتقشير البطاطا:

- اذهب.. لا أريد تعكير صفو مزاجي اليوم، قررتُ ذلك منذ الصباح.

- يا للعجب، حسناً لن أعكر مزاجك، المهم اجعلي طعمه ممتازاً وأكثري الملح والفلفل الحار..

- لكي يزيد ضغط دمك! لا لن أفعل.. اذهب الآن وإلا سأترك كل شيء..

- لا تستطيعين، بيننا اتفاق.. أنسيتِ! من سيوصلك لمنزل صديقتكِ رشا يوم الخميس؟! ها؟! أجيبي!

- أوف، إذن قررت تعكير يومي السعيد، اذهب وحسب.. لا أستطيع الطبخ و أحد ما يراقبني..

ابتسم مصطفى بسخرية ومضى لخارج المطبخ قائلاً:

- حسناً، سأفعل، المهم السرعة و الكفاءة.

أفرغت من أعمالها كلها بسرعة.. مُتلهفة هي لحاسوبها الذي يخبئ سراً ما تجهله.. سراً سيفعل فعلته.. و يُلخبط في كيميائيتها المتضاربة لأقصى مداها.. فتحته.. لتجد رسالته..

" السلام عليكم، أرجو ألا يكون وجودي يزعجك.. أردت سؤالكِ.. هل لكِ أن تعيدي سؤالك الذي سألتنيه في المحاضرة ؟! "

يُعيقها خفقانها المضطرب عن التفكير.. أو حتى عن تمييز تلك الحالة الواقعة فيها.. أهو وقوع حقاً ؟ بالحب ؟! و هل.. الحب وقوع أصلاً أم أنه ارتقاء في سماوات الصفاء العذبة!! تتنفس بعمق محاولة كتابة رسالة مختصرة ذات تعابير واضحة وجادة، تطبع و تشطب ثم تكتب من جديد.. وبعد الكثير من التعديلات والتردد.. أصبحت هكذا..

" وعليكم السلام، حسناً، لك ما أردت.. هل لي بسؤالك ما السبب الذي جعلك تزور كليتنا و محاضرة المحادثات تحديداً ؟!"

أرسلتها وانتظرت قليلاً عله يرد دونما جدوى.. أغلقت حاسوبها.. ذهبت إلى أمها لتساعدها بترتيب أطباق الشاي والبسكويت لوالدها و لجدتها نور آيه التي وافقت أخيراً المكوث عندهم بضعة أسابيع، حاولت التركيز والانتباه لمواضيع الأسرة بصعوبة، كانت أفكارها و مشاعرها تجلجل خائفة.. مُترقبة المجهول.. وعند حلول الليل فتحت إيميلها من جديد.. توتر و حماس ممزوجان يغزوانها كأجمل عاصفة قد تكون، هنالك رد منه..

فتحت الرسالة.

سيرة تعريفية كاملة عنه و عن أسرته و قبيلته التي ينتمي إليها.. مُردفاً:

" جلبت لي ريحانة معلومات كثيرة عنكم - في الواقع - لي الشرف أن أتقدم لخطبتك يا هديل عادل.. هل تقبلين ؟!"

ذهول ومفاجأة تجتاحان ذراتها.. هرمون السعادة يسرع مهرولاً بشراييها.. أيمكن حصول هذا ! أصبح يعرف كل شيء عنها فقط عبر ريحانة، بينما هي لا تعرف عنه غير معلومات قليلة جداً، يفترض بها الرد على الرسالة.. لكنها قررت التواصل مع رشا وإخبارها بكل شيء، علها تبعث لها بنصيحة قيمة.. أو تردعها عن هذا الحلم الافتراضي المزيف وتجعلها تصحو لتعود لعالمها الملموس...

- رشا.. ما الذي أفعله! أصبح عمر يعرف كل شيء عني وعن أسرتي..

- ماذا! أهو يهددك!!

- يهددني! هاها أضحكتني ليس لدي شيء ليهددني به.. فقط طلب يدي للزواج !

- ماذا ماذا! طلب يدك !

هذا يدل على أنه شخص صادق ويريدك فعلاً.. هل صدقتني الآن!!

- هو ينتظر إجابتيً.. ماذا أقول برأيك؟!

- أنتِ موافقة أعلم ذلك يا هديل لا تنكري.. قولي له " تعال من الباب.. وستجد ردي " ..

- ذكية يا رشا، لم أفكر بذلك.. أنا مُحرجة حقاً.. سأنسخ كلماتك وأرسلها كما هي.

نسخ، لصق لكلمات رشا.. و ماهي إلا ثوانٍ.. ليبعث برسالته فور تلقيها:

" حسن، سأفعل ما طلبتِ.. أنا جاد بهذا الأمر، أريدك فقط إعطائي مهلة قد تكون أسابيعاً أو ربما أكثر حتى يأتي والدي و يطلبك رسمياً كما هي التقاليد.. هو مشغول هذه الفترة بمرضه.. تعلمين.. "

هديل:

" أوه، خذ راحتك.. لست مستعجلة، أريد إكمال دراستي على أية حال و بالي مرتاح.."

عمر:

" كلامك هذا يبعث لي السعادة و السرور.. يعني أنكِ موافقة .."

ردت هديل:

" لا لا قد لا يعني ذلك.. لا يعلم ما في القلوب إلا الله"

عمر :

" يالك من فتاة! تجيدين اللعب بكلماتك و تخرجين نفسك من المآزق.. لك ما طلبت.. أرجو أن يصبح والدي جاهزاً بأسرع ما يمكن.."

هديل:

" أرجو ذلك.."

طبع عمر:

" هل لي بسؤال أخير لو سمحت ! "

هديل:

" أجل، أسأل "

عمر:

" شكراً، قولي لي.. من هو الشخص الذي طلب يدك من إسلام_ لايف غيري ؟؟"

طبعت هديل:

" أوه، مازلت تتذكر! حسناً، عدني بأنك لن تقول له شيئا "

رد عمر:

" أعدك "

طبعت هديل:

" إنه سليمان.. قبل مدة.. أخبرني بأنه يريد فتاة مسلمة وعربية كي تعلمه القرآن واللغة العربية.. عرض علي ذلك كونه وجدني مناسبة له بالأفكار و العمر، و بالطبع رفضته لأني لم أؤمن بنجاح هذا الزواج لأسباب كثيرة.. الطريقة، اختلاف اللغة والثقافة، البعد عن الأهل والمصير المجهول.. أشياء كثيرة لا تدخل رأسي.. "

أرسل عمر:

" سليمان إذن، إنه شخص طيب جداً، كما أنه قد أحسن إسلامه.. ربما اعتقد بأنه سيجدك ممن تتقبلين الموضوع ببساطة دون تعقيدها كصديقتك، على كلٍ إنه النصيب، و أرجو أن أكون ذاك هو "

هديل:

" وجه خجول "

رد عمر:

" خجولة، هاها حسن لن أحرجك.. أشكرك على إخباري، كوني بخير.. استأذنك "

ردت هديل:

" كن بخير أيضاً، في رعاية الله "

حماس و مغامرة يُدفئان نسائمها.. فرحة جداً.. لكم أرادت البوح بمكنونات قلبها لأحد، شخص يفهمها.. يقرأها .. يغوص بأخلجاته.. ويعرف أسراره وبمقدوره مساعدتها.. يمضي بجانبها بكل خطوة تطمح إليها.. ويرفع معنوياتها ويؤازرها بكل المحن.. علّه هذا الـ عمر يكون فارسها الخفي الذي لطالما تحكي لنفسها عنه.. علّه يصبح منقذها من مخاطر هذا العالم الواسع الملئ بالمخادعين و مغتالي الضحكات.

كلها أحلام وردية لفتاة في العشرين من عمرها ..أحلام بريئة بالحب الصادق.. والعيش بسعادة مع من تحب.. إنها مؤمنة إيماناً عميقاً بحق كل إنسان على وجه هذه الأرض بالحياة الحرة الكريمة كيفما يبتغي طالما أنه لا يتعدى على حريات الآخرين و يعبث بحيواتهم.

لكنها لم تخض تجارب ملتويه مع من حولها بعد، ولم تفكر يوماً بمجريات الحياة الخفية ومتغيرات دواخل المجتمعات الذين تختلط بهم.. رؤيتها لكل شيء محض رؤية مجردة ظاهرية لا تتعدى ما تراه عيناها لتقوم بالحكم المباشر على الأشخاص، فمعظمهم طيبون، صالحون وعلى نياتهم!

ولكن لا يعلم أحد ما قد كتبه القدر له، وكيف يكون الحال إذا حدث ما يرنو إليه.. فالزواج غالباً ما يكون مغامرة وحكم قاطع أبدي، إما بالإعدام.. و إما بابتداء حياة!

صباح ندي.. تتراشق قطراته على أجسام الزجاج.. استيقظت والتفاؤل يحوطها من كل صوب.. ليس هنالك شرخ واحد ليتسرب التشاؤم لعالمها.. فتحت نافذتها واستمعت لزقزقة العصافير و حفيف الأشجار المتراقص على لحن الرياح من البستان المجاور المتناغم ربما مع إيقاع خفقانها.. فتحت الماسنجر.. وجدته متاحاً.. ترددت كثيراً ثم أرسلت :

😊 هديل / صباح الخير.

عمر / صباح النور.. أهلاً هديل.. كيف حالك ؟!

هديل /الحمدلله، و أنت ؟!

عمر / الحمدلله دائماً.. بخير أيضاً..

أشكرك من أعماقي..

هديل / على ماذا ؟!

عمر / لأنك ستبدأين يومي بالتصبيح عليك، يا لأشراقة نهاري الجميل!!

هديل / وجه خجول..

عمر / أتعلمين !

هديل / ماذا ؟!

عمر / أنت أجمل صدفة قابلتها في حياتي.. أتذكر دائما أول يوم عرفتك فيها.. كنت تشعين بالحماس للنقاش عن الأديان..

هديل / ما تزال تتذكر، كم كنت محرجة من موقفي.. تسرعت كثيراً و كان القدر أن أصب كل انفعالي عليك.. آسفة حقاً؛ اقبلها و لو متأخرة.

عمر / هه ها، ذاك أحلى ما قد يصب علي.. حتى قرر القدر لقائنا من جديد.

كنتِ مميزة و عرفت أنك ستدخلين قلبي دون استئذان..

هديل / حقاً، هذا رائع جداً.. لا أعلم ماذا أقول هاها..

عمر / تكفيني ضحكتك السعيدة أجمل رد.. قولي لي.. هل ستذهبين للكلية ؟!

هديل / لا.. لدينا إجازة اليوم.. في الواقع سأخرج بعد قليل للقاء صديقتي.. لدينا بعض الأعمال الضرورية لنقوم بها..

عمر / أوه، أرجو أنني لم أؤخرك!

هديل / لا لا.. فقد وددت رؤيتك قبل الذهاب أيضاً.. سعيدة بلقائك هنا..

عمر / أنا الأسعد منك.. أرجوك انتبهي لنفسك..

هديل / حسناً، كن بخير .. مع السلامة..

عمر / في حفظ الله..

أغلقت حاسوبها.. أغمضت عينيها و هي تحتضن كفيها لجوار قلبها... فتحتمها ووثبت في نشاط غير معتاد لتلبس عباءتها وحجابها وخرجت لتلقى صديقتها زهور، حيث أن الأخيرة أخبرتها البارحة بالخروج صباحاً معها لعمل جولة تفقدية لحال أسرٍ فقيرة كي تكتب عن حالهم وتحاول جمع مساعدات لهم من خلال عمل بازار للأطعمة والحلويات والتحف والأشغال اليدوية والرسم في ساحة الجامعة، فتعود كل أرباحه لعمل مشاريع صغيرة لتلك الأسر كشراء ماكينات خياطة أو فتح بقالات صغيرة..

انطلقت زهور وهديل نحو الحي الفقير، حيث تقطن صفاء ذات الخمسة عشرة ربيعاً ووالدتها المريضة وإخوتها الخمسة بأحد منازله، بيوت مهترئه من صفيح لا تكاد تقي من الشمس أوتحمي من البرد.. بيئة غير نظيفة.. بواليع و مُخلفات آدمية.. قمائم منتشرة في كل صوب.. روائح لا تُطاق.. تعاسة و بؤس.. عبوس لا يكاد يفارق قسمات وجوه أصحاب الحي.. هموم ثقيلة تشق عقولهم و أرديتهم.. و مع هذا كله، لا تزالان تسمعان قهقهات الصبيان و هم يلعبون بكرة صنعوها من كراتين العصير الفارغة.

ولجتا المنزل الذي يحتوي على غرفة واحدة، جزء للطبخ، و آخر للنوم والجلوس.. ليس ثمة من أغطية أو فُرُش كافية بالنسبة لعددهم الكبير، معدات ضئيلة لا تصلح للعيش.. رحبت صفاء بضيفتيها فرحة.. وجهتهما لزيارة أمها المريضة.. شحوب واصفرار يلون وجهها ويداها وجسمها.. السقم يحفر آثاره عليها بسرعة جنونية، لم تعد تستطيع الكلام أو الأكل إلا بصعوبة بالغة.. تعاني من جرثومة خطيرة في الكبد، ولم يعد العلاج ينفع..

سألت زهور صفاء:

- هل جربتم أخذها لمستشفى حكومي!!

ألقت صفاء نظرة عابسة نحوهما، زمت شفتيها في حزن وأجابت:

- بالطبع، قبل مدة طويلة.. أما الآن فليس لدينا طعام جيد لها، ساءت أحوالنا منذ موت والدنا، فاضطررتُ للعمل بتنظيف المنازل، يعطونني أجر وبعض الطعام الفائض، وما أتقاضاه من مال زهيد أشتري به الدواء لأمي.

أجاب أخوها الصغير كرم ذو الخمس سنوات مب

تسماً ببرائة:

- إنني أرسل يومياً دعواتي إلى الله بأن يشفيها، انتظروا قليلاً وسترون!!

نظرت زهور وهديل إلى بعضهما لوهلة، أخفضتا رأسيهما للأرض والدموع تترقرق في مقلتيهما.. لا أحد يشعر بما تعانيه هذه الفئة المغلوبة على أمرها من الناس، ربما يساعدان الفقراء بطعام أو ملابس زائدة أو نقود.. ولكن إمضاء نهار مع هذه الأسر شيء آخر تماماً.. الإحساس بمعاناتهم، مرضهم، أحزانهم.. حتى فرحتهم وسعادتهم بالحصول على أشياء بسيطة لا تعني شيئاً في بيوت الأغنياء.

ملابسهم الرثة وشعرهم غير المنظم وبيتهم الذي لا يوجد فيه ما يصلحه للسكن، كل هذه الأمور الموجعة هي ما تجذب أنظار الآخرين لتثير الشفقة في قلوبهم، تقترب فتاة في العاشرة عاقدة حاجبيها باستياء واضح.. حدقت هديل وزهور بنظرات غاضبة كاللهب وهتفت بعنف:

- نحن لا نحتاج الشفقة من أحد!

الأغنياء يلهون بأموالهم الكثيرة وينفقونها باللهو واللعب بينما نحن نتضور جوعاً، ونمرض من البرد.

اقتربت زهور منها ومسحت على رأسها في حنان وقالت برفق :

- نحن يا صغيرتي جئنا كي نرى حالكم وحال أسرتين أخريين، نريد المساعدة لا الشماتة.. قولي لي ما اسمك و هل تدرسين !!

أجابت الصغيرة بانفعال:

- جميعكم تأتون إلى هنا بغية التفرج لمآسي الآخرين كي تتحدثوا عنها لاحقاً مع أصدقائكم.. تريدون مواضيعاً مستجدة للحديث ونيل الشهرة بأنكم محسنون.

قالت هديل :

- ليس كل الناس متشابهون، ربما صادفت نماذج شريرة وغير مبالية بمعاناتكم.. أعدك بأننا جئنا اليوم كي نثبت العكس، وستدركينه مع الأيام!

أجابت الفتاة وقد لانت قليلاً :

- أتمنى أنك لا تكذبين..

التفتت لزهور و تابعت:

اسمي آية، وأنا في الصف الرابع .. أعلم أن الناس مختلفون، ولكني لم أحب قط أولئك الأشرار..

هتفت هديل :

- سأهديك نصيحة طفلتي الغالية.. حينما تواجهينهم تجاهليهم وحسب. وكوني أقوى منهم ومن الظروف القاسية، اجتهدي بدراستك.. وستنالين ما تستحقينه بالدرجات العلى، ولن يضيع الله عملك سُدى!

تسألها زهور مباغتة:

- أنتِ بالصف الرابع .. ما شاء الله يا آية، وكيف علاماتك!!

قالت صفاء بحماس :

- علاماتها مرتفعة، ودائما ما تحوز على الترتيب الأول..

زهور فرحة :

- ما شاء الله أنت ذكية يا آية، أتمنى لكِ كل التوفيق والنجاح..

أضافت زهور:

- وأنتِ يا صفاء! هل تدرسين!!

عبست صفاء قليلاً وردت بحزن:

- توقفت منذ موت والدي، كان علي أن أجد عملاً لأجلنا ولأجل أمي المقعدة منذ شهور عدة.

هديل:

- لا تقلقي، الله أكرم و أكرم، فلتكن ثقتكم بالله أكبر من كل المصائب، ولتعملي بجد و لن يُضيع أجركم.

ابتسمت صفاء بإشراق وقالت:

- نحن متوكلون على ربنا، فهو يعلم بأنا قد لا نملك قوت يومنا أو قوت يوم غدٍ إلا أنه لم يخيبنا قط، هنالك أيادٍ بيضاء كثيرة.. يرسلون إلينا موادٍ غذائية كل فترة ويتفقدون أحوالنا والحمد لله.

أخرجت زهور كيساً ممتلئاً بالعصائر والبسكويت وبعضاً من الفاكهة، اقتربت نحو الأم الممدة على ظهرها وطبعت قبلة على جبينها ووضعت الكيس بجانبها.. همست بلطف :

- أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيكِ.. إنه قريب سميع مجيب الدعوات.

رسمت الأم بعينيها الشاحبتين والمرهقتين نظرات امتنان واصطنعت ابتسامة باهتة على ثغرها تعبر عن جميل صنعهما.

أمضت الفتاتان زمناً مع الأسرة بالتحدث مع صفاء واللعب مع الصغار وتسليتهم ببعض الألعاب البسيطة حتى حان وقت مغادرتهما، ودعتهما صفاء وإخوتها وسيل عبارات الثناء والشكر يتدفق من أفواههم مرات ومرات.

غادرتا نحو المنزل الآخر الذي يبعد مسافة ثلاثة أميال عن بيت صفاء وإخوتها.. و أثناء مشيهما هتفت هديل:

- منذ متى يا زهور وأنتِ تقومين بهذه الأعمال، من رأى مظهرك الأنيق والمرتب دائماً يقول بأنكِ لا تبالين بهذه الأمور.

- تقصدين لأنني عدنية ؟! تعرفين بأن الأناقة روتين عادي بالنسبة إلينا، في الواقع؛ لم أكن أهتم كثيراً بقصص الناس إلا عندما انضممت لكلية الاجتماع وبدأ أساتذتنا بتكليفنا بالقيام برحلات ميدانية نحو هذه الأماكن والمستشفيات، و حتى السجون، لغرض البحث ودراسة المجتمعات والأفراد. يجب علينا إن كنا إنسانيين بحق أن نهتم بشؤون وأحوال الضعفاء وأن نساعدهم قدر المستطاع.

- ألهذا قمتِ أنت وزملاؤك بالجامعة بعمل أعمال خيرية لتحسين مستويات هذه الأُسر المادية !! جزاكم الله الجنة على أعمالكم هذه.. من جانبٍ آخر، فهمت للتو شيء كان يشغل بالي ولم أفهمه منذ مدة طويلة..

التفتت زهور إليها وضحكت بعفوية:

- هاها، أنا ؟! جعلتك تفهمين هذا الشيء!!

- أجل، أقصد ما قمنا به اليوم من زيارتنا لهذه الأسر.. قرأت مرة للدكتور الرائع أحمد خيري العمري عن الإسلام بطريقة مختلفة " الصلاة التي يريدها الله منا تكون في كل الأوقات.. ليست فقط الخمس الصلوات المفروضة، بل الله يريد منا أن نصلي ونحن نمشي و نحن قاعدون ونحن نتحدث، فلنفهم الصلاة بمفهومها الواسع لا الضيق " ..

- همم ، لم أفهم .. ما العلاقة بين ما قمنا به والصلاة !!

- كان مفهوم أعظم وأجلّ صلاة بالنسبة لي هي الصلاة الخاشعة، التي نتفكر ونمتزج بكل كلمة نرددها ونجاهد أنفسنا بألا نسهو ونحن نؤديها، وهذه فعلاً أعظم صلاة.. ولكن يجب ألا يقتصر مفهومنا للصلاة عند التسليم وحسب، يمكننا الصلة بربنا والصلاة بأعمالنا بعدها.. بالقيام بما يحبه الله.. بأن نتعب و نتعرق ونجاهد ونحن نقوم بأعمال الخير الكثيرة التي يحبها ويرضاها الله عز وجل.. فالصلاة تعني الصلة بالله بأي وقت وحين.. قال الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩)

- هذا مفهوم جديد، حسن، سأنوي بكل خطوة أقوم بها لله.. ولتكن ،،، صلاة ،،،

ابتسمت هديل لبرهة:

أحسنت !

تزمجر بعدها و هي تمسك معدتها:

عصافير بطني تزقزق.. لنشتري ساندويتشات فلافل من أي مكان.

- أوه، لم تتناولي شيئاً أيتها الكسولة! أعرف كافتيريا قريبة تبيع الشاورما.

فلنمشي قليلاً بعد..

- الشمس حارقة .. كم بقي حتى نصل!!

- بقي القليل.. فلو أنكِ استيقظتِ أبكر قليلاً لجهزت شيئاً لمعدتكِ المسكينة.

- آخخ اسكتي!

وهكذا قضت الفتاتان يومهما بزيارة ثلاث أسرٍ فقيرة حتى غروب الشمس، كل أسرة تحمل هموماً مختلفة عن الأخرى إلى جانب الفقر، دونت زهور بدفتر ملاحظاتها معاناة كل أسرة وتفاصيل حياة الشقاء التي تصارعها يومياً، و لم تكن حياة أي منها أفضل حالاً من الأخرى، خبأت دفترها في حقيبتها لتحكي لزملائها وزميلاتها لاحقاً عن أحوالهم والسرعة لجمع المساعدات.. كما جمعت معلومات كافية لأطروحة تخرجها الذي بات وشيكاً.

وصلت هديل لمنزلها مرهقة، إلا أن تعبها ذاك لم يمنعها من سرد كل أحداث يومها الشيق لوالديها اللذين اهتما كثيراً بموضوعها وأصغيا إليها جيداً

.. أكد أبوها بوجوب عمل خطوة جادة لمساعدة المحتاجين لوجه الله، لكم هم بحاجة لمغفرة الذنوب ورضوان الله عليهم، وهذا هو الطريق الذي يحبه الله عز وجل ويمحو به السيئات ويضاعف ما قدموه أضعافا كثيرة.

قالت والدتها سعاد:

- ما رأيكم بوضع حصالة عند باب الصالة، نحرص يومياً على إدخال المال فيها.. وبنهاية كل أسبوع نتصدق به كله.. لوجه الله تعالى.

هتفت هديل بحماس :

- فكرة رائعة.. جارِ التنفيذ!

اتجهت هديل مع والدها للمخزن ليبحث عن صندوق خشبي قديم كان يحتفظ به بين الخردوات التي كان يحب جمعها ولم يطاوعه قلبه على رميها منذ المرحلة الثانوية، و لم يكن يسمح لوالدته وأخواته قديماً ولا لزوجته أو أي من ابنتيه لاحقاً برمي أي منها لقوله بأنها أشياء مهمة وقد يُستفاد منها بأحد الأيام.. وها قد جاء اليوم الموعود.. بحث طويلاً مع هديل بين أكوام الخردوات المُغبرة.. و بعد كثير من العطاس و ضيق النفس وجداه أخيراً.

أحكم إغلاقه ببعض الغراء، وصنع ثقباً مستطيلاً أعلاه ووضع مبلغ ٥٠٠٠ ريال، و قال بحماس:

- اليوم استلمت راتبي، وهذه زكاته لهذا الشهر.

وصل مصطفى بينما الأسرة منهمكة بالحديث، حكوا له قصة الصندوق، تحمس للموضوع ووضع مبلغ صغير.. وكذلك فعلت الأم وهديل.

يتحدث الجميع فيما بينهم، تراءى شبح عمر وجوزيف بخاطر هديل لوهلة في قاعة المحاضرات، ابتسمت وهي سارحة بخيلاتها.. ذكرت نفسها بزيارة مجموعة إسلام لايف لاحقاً كي ترى إن كان هنالك أي جديد، اعتذرت من والديها وذهبت لغرفتها لإتمام أمورها وتناول ساندويتشات الشاورما التي اشتهتا مع زهور.. و ماهي إلا دقائق لتتفاجأ بوالدتها.. ابتسمت هديل فرحة:

- أهلاً ماما الغالية.. نورتِ الحِتة .

تضحك الأم و تجلس بطرف سريرها.. بدت كمن يريد شيئاً.. هتفت بعد الكثير من الحوارات الجانبية:

- أود سؤالك ..

ترفع هديل رأسها و تزدرد غصة بحلقها.. تدعو بسرها ألا تكون قد لاحظت سعادتها المفاجئة هذه الفترة.. تستطرد أمها:

عذ نجلاء ..

أجل هذا ما توقعته.. تحدث هديل نفسها.. تستنشق الهواء بقوة.. و كأنها تستعد لمعركة :

- نجلاء أجل.. أجل.

في الواقع تقدم لخطبتها ذاك الذي تحبه أخيراً..

- أخو رفيقتها ؟

- لا أمي.. الآخر .

تهز والدتها رأسها بعدم رضا.. تردف هديل:

هي هاشمية مثلنا.. بينما هو قبلي.. لكنه شخص ناجح في حياته و ذو أخلاق ودين أيضاً.

صرخت الأم و هي تلف رأسها:

- لا.. ماذا تقولين يا ابنتي.. لا يجوز ..لا ينفع.. كيف لعائلتها القبول.. لا أفهم حقاً..

ابتسمت هديل بمكر قائلة:

- عائلتها منفتحة جداً و قد قبلت به، فهم لم يروا أفضل منه زوجاً لابنتهم .

- و~ و لكن.. الدم سيختلط.. هراء حقاً!

اقتربت هديل نحو أمها تهمس لها:

- هو سُني مُلتزم و لديه لُحية جميلة..

تغتاظ الأم.. تهتف مُعنفة:

- ياابنتي لم لا تفهمين.. شرحت لك مراراً.. صدقيني ستكون حديث الناس و مسخرتهم.. العادات يابنتي أحياناً كثيرة لا ينفع التعدي عليها.. لا ينفع..

- و لكن يا أمي.. أنا حقاً وجدت أناساً مثلنا؛ يزوجون بناتهم لذو خُلق و دين أياً كان انتماؤه.. و أياً كان مذهبه.. الناس أدركت الصواب وصار الأمر عادي.. عادي جداً.

- لا أفهم حقاً كيف لهم فعل ذلك.. لكنا لسنا منهم .. نريد أن يكون الدم صافٍ و نقي ١٠٠٪ .. مع احترامي لمن ذكرت .. إلا أن نسل آل البيت المطهر يجب أن يحفظ ماءه الطاهر دون خلط!

تستاء كثيراً.. تدرك بأن أمامها معرقلات كبيرة حتى يتم زواجهما كما ينبغي.. تتذكر ريحانة.. آهٍ كم حياتها سهلة و مرنة.. تم زواجها من بشير دون أية تعثرات ساذجة.. آخخ من هذه العادات.. لم خُلقت هكذا! أود أن أكون عادية فقط.. كي أتزوج من أريد.. تسرح كثيراً و تتغمغم قسماتها و تخربش شعرها.

يفاجؤها صوت أمها:

- هديل.. أرجو أن تكوني بعيدة كل البعد عن هذه الأفكار و هذه القصص.. لا نود مشاكل.. حين تأتين بعريس يليق بعائلتنا العريقة سنقبل بالتأكيد.. أعدك حينها عمل عُرس ضخم تسعدين به.. أرجوك ابنتي.. اعقلي!

تزم شفتيها و ترد :

- آآه يا أمي.. سأُعنس قبل أن يأتي هذا العريس الموقر.. أتريدين أن أُعنس ؟!

تشبك والدتها يديها على صدرها في عصبية:

- فلتُعنسي إذن.. على أن تتزوجي من أي شخص.. هذا الأمر مفروغ منه.. لا تحاولي!

مهمتها صعبة.. عرفت بطبع والدتها الصلد.. لا يقبل اللين.. لا تدرِ عن والدها.. هل هو بذات العِنّد أيضاً ! تتذكر حديثها معه في الماضي.. كان يمقت ذوي اللُحى و انتمائاتهم.. تتكثف همومها لتشكل ضباباً يعيق مسيرتها.. تجربتها الأولى في الحب.. تبحث عن مخرج دونما فائدة.. التقاليد عندنا ترتقي درجات فوق الدين الذي يوصي .. " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " أتقاكم ..ليس أقربكم نسباً و لا حسباً.. ليس أكثركم مالاً.. فقط لمن هو تقي بحق!

مرت الأيام و توطدت علاقة طلاب اللغات بعمر و يوسف، كما فعلت هديل و رشا، لطالما ناقشوا قضايا تخص البلد و أبناءه بقاعة الدروس أو حتى عبر مجموعة الدراسة في الفيس بوك.. و حينما أتى موعد رحيل عمر و يوسف إلى أمريكا، أقيمت حفلة وداع لهما، حضّر الطلاب و الطالبات احتفالاً رائعاً، كما أعدوا كلمات شعرية و أغانٍ.. وزعت الطالبات من بينهن رشا و هديل وجبات سريعة و عصائر كن قد جهزنها آنفاً.

تبادلا نظرات خاطفة.. ابتسامات خجل و امتنان.. اقترب عمر منها في ارتباك قائلاً:

- سأعود قريباً.. كوني بخير حتى ذلك اليوم..

ردت بكلمات متلعثمة.. و قلبها يقفز مستوطناً بالفرح لرؤيته:

- سأكون .. لأجلك..

كن بخير أيضاً..

حدق مُبحراً في سماء عينيها العسليتين برهة ثم صرف ناظريه تجاه السماء:

- سأشتاق إليك حتماً.. أرجو أن أعود في أسرع وقت.

ضحكت بهدوء وقد احمرت خجلاً:

- أنا أيضاً..

- أنت ماذا أيضاً!

ضحكت و لم تجب..

قال بعدها:

- حقاً ماذا!! سأغادر اليوم.. اجعلي يومي يموج بالسعادة .

ضحكت وأجابت بعد جهد:

- سأشتاق إليك.

ابتهج وكأن كلماتها خدر.. سهام الحب اخترقت روحيهما أخيراً.. انصرف كل واحد لوجهته و ما يزال شريط اللقاء يتكرر لحظة لحظة.. و الاثنان معاً قررا المضي قدماً، علهما يصلا لبغيتهما قريباً.

ناولت رشا يوسف حصته و شكرها.. و بعد وهلة.. صعدت على المنصة و هتفت بصوتٍ عالٍ:

- كي تكتمل فرحتنا لا بد لنا من أن نرضي ربنا الآن بجمعنا هذا.. أرجو منكم جمع تبرعات لمشاريع صغيرة لرعاية الأيتام كنا قد تابعنا أحوالهم قبل مدة أنا و صديقتي هديل و صديقات أخريات بكلية الآداب.. و الله يضاعف لكم الحسنات في الفردوس الأعلى إن شاء الله.. أرجو منكم التقدم لهذا الصندوق ووضع أي مبلغ تقدرون عليه.. تذكروا قول حبيبنا و نبينا محمد عليه الصلاة و السلام " أنا و كافل اليتيم في الجنة كهاتين".

توجه الجميع نحو الصندوق و تبرعوا بما استطاعوا، حتى أتى يوسف ووضع مبلغ صغير بفئة الدولار و هتف محدثاً رشا:

- أرجو أن تجمعوا مبلغاً كبيراً لتعيلوا هؤلاء الأيتام، و فكرة المشاريع رائعة جداً.. بدل أن تقدموا لهم صدقة تكفيهم أياماً، تقدمون لهم عملاً وأملاً.

أجابت رشا بثقتها المعهودة:

- أجل، فنحن ننوي فتح مشاريع صغيرة لهم، تضيء في قلوبهم الأمل من جديد.. و تدفعهم لتنمية مشاريعهم لتكبر مستقبلاً.. في الواقع وجدت طفلاً بينهم موهوب للغاية.. إنه فتىً نابغة و أتوقع له مستقبلاً زاهراً!

ضم يوسف يديه حول صدره قال باهتمام:

- جميل جداً، بأي شيء هو نابغ فيه؟

- الرياضيات.. إنه يحل مسائل و معادلات صعبة تفوق عمره كثيراً.. تخيل! ما يزال في الثالثة عشرة فقط!

- واو، أمر لا يصدق.. إذن اليمن تحوي مواهب أيضاً..

- أكيد.. و أكثر مما تتصور، لدينا فنانون و مخترعون و شعراء و محاسبون فوق العادة.. أقصد أنهم خارقون بقدراتهم عن الناس العاديين.

- لم يخطر ببالي وجود أشخاص كهؤلاء هنا ضمن وجود هذه الإمكانيات المحدودة.

- أها.. إذن تظن بنا كما يظن الكثيرون غيرك، إذا أتيحت لك فرصة بالمجيء مرة أخرى أعدك بأن أبهرك بمواهب النوابغ اليمنيين، وأولهم "حسن" فتى الأرقام الخارق!

- أوه، لمَ لم تعرضي علي هذا الأمر مسبقاً! وددت كثيراً رؤيتهم و التعرف إليهم.. "مواهب يمنية".. أمر مثير للاهتمام حقاً.

و بعد الحفل.. غادر الجميع و من بينهم عمر و يوسف الذي جلس يحدث عمر عن حديثه مع رشا، فقال عنها بأنها فتاة جريئة وواثقة.. تعلم ما تريد و كيف تحققه و الأهم من هذا و ذاك أن أهدافها كلها نبيلة و سامية.

رمقه عمر بنظرة ماكرة و قال وهو يغمز إحدى عينيه:

- هل ترانا سنعود المرة القادمة إلى اليمن و نخطب خِطبتين ؟!

أخفض يوسف رأسه في خجل غير معتاد و قال:

- ربما.. لما لا يكون كذلك فعلاً!

ضحك عمر.. و هتف و هو يربت على كتف صديقه:

- إن شاء الله.. لا يحصل لك إلا كل خير.

سأل عمر إن كان بإمكانهما المكوث وقت أطول كي تتاح له الفرصة بالتعرف على هؤلاء النوابغ الذين حدثته عنهم رشا.. إلا أن عمر هز رأسه باستحالة حدوث ذلك مردفاً بأن مديره الأستاذ جيكوب قد اتصل له و حذره بألا مجال لتمديد الإجازة وقت أطول.

في ظل ما حصل من مظاهرات و ثورات ضد الحكومات و الحكام السابقين في تونس و مصر و من

بعدها اليمن التي خرجت فئة كبيرة من الشعب بأطيافه و أعماره و مقاييسه في مظاهرتين كبيرتين؛ الأولى بغية إسقاط نظام الدولة، و الثانية موالية للحكم السابق محاولة بقاء كل شيء على حاله.. بتلك الفترة ظهرت أحزاب سياسية كثيرة، و كلٌ يؤجج البغض و الكراهية ضد الآخر.. شيئاً فشيئاً حتى غسلت أدمغة الشعب مثقفهم و جاهلهم على حد سواء، تفرقت الأسر، تلاشت العلاقات الحميمة المكسوة بالمودة والعطف بأفراد العائلة الواحدة.. تشاجر الابن مع والدة و الأخ مع أخوه.. و الصديق مع صديقه .

و يوماً بعد يوم بدأت المخاطر تشتد على المتظاهرين سلمياً الذين تخللتهم أيادٍ سوداء خفية من القتلة و السفاحين.

أسرة هديل أيدت فكرة النظام السابق لخوفهم من المجهول الذي قد يحصل.. طالما أن الناس حضوا بتلك الفترة بالأمن و الأمان و الاستقرار حسب قول والدها.. لكن تأييدهم ذاك كان صامتاً، بقرارة أنفسهم و حسب.. لطالما خاف الأب عادل على أسرته من الوقوع بشباك السياسة الخطير، على عكس ابنه مصطفى الذي كان شاباً طموحاً مؤيداً بكل ما أوتي من قوة للتغير و إسقاط النظام.. جرت شجارات كثيرة بين الأب و ابنه.. فلم يكن من الابن سوى ترك المنزل و التوجه لخيام المتظاهرين و المكوث فيها.. مصطفى و من مثله من الشباب الطموح الذين لديهم قدرات عظيمة يحلمون بدولة مدنية حديثة توفر لهم الدعم الكافي للإفراج عن تلك القدرات المكبوتة بأقفاص ضئيلة لا تسع آمالهم.. كانوا مندفعين و مملوئين بالحماس.. الكثير من الأطباء و المهندسين و المعلمين و الشعراء الشباب و الكثير من البسطاء أيضاً انظموا لتلك الثورة الشبابية.

كل يوم كان المُنظمون يُلقون بندواتهم الباعثة للحماس و التفاؤل و الكثير من الغِلِّ على حد سواء ضد من يخالفونهم بالرأي و يتبعون النظام السابق.. كما يفعل أولئك أيضاً بمؤيديه.. نام مصطفى تلك الليلة بجوار صديقه بلال الذي زرع فيه تلك الأفكار الطموحة بخيمتهم عند الجامعة، و عند اقتراب الساعة نحو الثالثة صباحاً، شعر مصطفى بحركة فوق يديه و جسمه جعلته يحك حتى أفاق.. حشرة تسللت من الخارج، أزاحها بعيداً.. شعر بحاجته لقضاء الحاجة، نهض و خرج من الخيمة حاملاً هاتفه النقال مستعملاً إياه للضوء.. ظُلمة حالكة و سكون قاتم يخيم على الأرجاء.. تنقل بهدوء متجاوزاً خياماً عدة.. واحدة و ثانية.. وخامسة وسابعة.. و... حتى استوقفه صوت منبعث من إحدى الخيام.. كان الصوت منخفضاً و مريباً للغاية.. مشى مصطفى نحو الخيمة بحذر محاولاً التنصت.. لقد كانوا ثلاثة رجال يخططون لفعل شيء يوم غدٍ الجمعة.. سمع أحدهم يقول:

- لنثير قضية إعلامية أيضاً، سيكون كل شيء بصفنا.. عليكما الحذر و تتبع التعليمات جيداً.

استطاع مصطفى روية ظلالهم و هم يمسحون بنادقهم عالية الكفاءة المحتواة على مناظير صغيرة أعلاها... فزع مصطفى و همَّ بالتراجع.. ارتطمت إحدى رجله بكيس بلاستيكي فأحدث جلبة صغيرة، خرج أحد الرجال فوراً .. قال في ارتياب:

- من هناك؟! هل يوجد أحد؟!

دار حول الخيمة ببطء و سلاحه على أهبة الاستعداد.. لم يجد شيئاً.. أخذ يتفقد الأماكن المجاورة و لم يجد ما يثير ريبته.

استطاع مصطفى الوصول لخيمته بأمان، أسعفته خفته و لياقته البدنية العالية.. هرب بأقصى سرعة و درجة من الهدوء كي لا يجلب أي شكوك أو ضوضاء تجاهه.. تدثر ببطانيته و قلبه يكاد يخرج من شدة الخوف.. لا يدري ما الذي يجب عليه عمله.. أولئك الأشرار لديهم مخططاً قذراً لفعل جريمة بشعة يوم غدٍ.. يوم جمعة الكرامة، لم يدرِ ما الذي يجب عليه عمله.. أيوقظ بلال و يخبره بكل ما رآه أم يضل صامتاً خشية على حياة بلال الذي رأى بأنه مندفعاً لقضايا الحق مهما كانت خطرة عليه.. أخذ يدعو ربه في سره بأن يُعدّي ليلته و الجمعة على خير حتى غلبه النعاس أخيراً.

و يوم الجمعة، بدأت وفود الناس بالتجمع.. شباناً و أطفالاً و نساءاً و عجائز.. تجمع الناس بكثرة.. أدوا صلاة الجمعة على خير، بدأت المظاهرات و الأصوات تعلو ب " الشعب يريد إسقاط النظام.." كان مصطفى بينهم.. عقد بنفسه بأنه سيبذل قصارى جهده للتقصي عن ذاك المخطط و منع الجريمة، لم يجرؤ على فتح الموضوع لأحد، لأنه ببساطة لم يعد يثق بأيَ كان.. فالشرطة مثلاً كانت ما تزال تحت النظام السابق الذي لم يعد يثق به البتة.. و الأشخاص المعتكفين بالساحة لا يعرفهم جميعاً حق المعرفة، بات يشك من كل من حوله و ينظر لعيونهم علّه يجد المجرمين دون فائدة.. نظر للأعلى نحو العمارات المرتفعة و راح يدور رأسه يمنة و يسرة... أحس بلمعان شيء في عينيه.. حاول معرفة المكان الذي صدر منه ذاك اللمعان، أخبر صديقه بلال بما شعر به فربما لديه خبرة عن الأسلحة.. لم يكترث بلال بالأمر و أخبر مصطفى بأنه لا داعي للقلق و أن كل شيء على ما يرام، كما أن حراسة المظاهرة مشددة و لا يمكن لأحد فعل أي مكروه للمتظاهرين.

لم يحتمل مصطفى كلامه.. و كان لا بد له من إخباره عما رآه ليلة البارحة.. شد قميصه بقوه و قال بانفعال:

- لقد رأيتهم.. إنهم قناصون محترفون، سمعتهم يخططون بعمل جريمة قذرة.. إنهم من بيننا لا بد و أننا نثق بهم و لا يمكن لنا الشك حولهم.. أرجوك ساعدني لنصل إليهم قبل أن يفعلوا فعلتهم.

صُعق بلال من كلامه و لكنه قبل أن ينبس بكلمة أتته طلقة من ورائة.. لتهزج السماء بعدها بمطرٍ من رصاص.. انشق من بين المتظاهرين رجالاً بلباس مدني يحملون رشاشات و يطلقون النار بعشوائية دون أدنى رحمة.. ووسط ذهول المتظاهرين الذين يهربون و يتدافعون من تلك الرشاشات الخبيثة، فيسقطوا واحداً تلو الآخر تلو عشرة تلو...

أغرورقت الأرض بالدماء و الضحايا البريئة مرمية بكثرة عليها... أكثر من خمسين نفساً بريئة.. " بأي ذنبٍ قتلت تلك الأنفس ؟ لا جواب يتسع صدمة الجريمة البشعة.. " ستة و خمسون شهيداً من بينهم ثلاثة أطفال و مئات الجرحى.

و بعد نصف ساعة من الهرب و الهلع استطاع مصطفى جر بلال لمنطقة آمنة، الدماء تسيل بقوة إثر الرصاص المخترق قلبه و أضلاعه.. لم يعد يحتمل.. و لن يسعفه الوقت للنجاة.. امتلأت عينا مصطفى بالدموع و هو يرى بلال يحتضر و يلفظ أنفاسه الأخيرة بين أحضانه .. حتى .. رحل عن هذه الدنيا.. رحل للأبد.. بدم بارد.. دون أدنى رحمة.. صاح مصطفى بألم يعتصر قلبه:

- لمااذا ؟! لماذا كل هذا الألم ؟! أرجوكم.. كفى.. لا أستطيع تحمل كل ذلك.

انكفأ عليه يبكيه يصرخ.. كان يلطمه علّه يصحو.. حاول إنعاش قلبه.. دون جدوى.. التهبت شرارة الغضب بعينيه.. ليصمت عن صراخه فجأة.. ترك بلال جانباً، مسح عينيه المشوشتين بكُم قميصه المُصطبغ بدم بلال.. و أخذ يبحث عن شيء لا يدري ماهيته.. بحث في الساحة بحذر.. وجد مسدساً مُلقاً على الأرض كان قد سقط من أحد المرتزقة أثناء تناوشه مع بعض المتظاهرين.. نظر للأعلى.. تلفت من مكان إلى آخر، لفت نظره شبح أسود مر من نافذة بإحدى العمارات المرتفعة... هرول بسرعة متجهاً نحوها.. دخل إليها و بدأ بالصعود في حذر شديد، تجاوز الطابق الأول و الثاني حتى وصل للثالث.. رأى الشيء الأسود يدخل إحدى الشقق و أغلق الباب بإحكام.. فكر بهدوء عن كيفية فتحه.. تذكر الإبرة المعدنية التي يستخدمها كمفتاح لباب منزلهم حينما ينسى مفتاحه الأصلي.. كان بارعاً جداً بذلك.. أخذ يجربه و يلويه حتى فُتح الباب أخيراً.. وجد نفسه وسط صالة كبيرة مؤثثة بأناقة، الغرف من جانبي الصالة مغلقة عدا واحدة مشروخة قليلاً ، أدرك بأنه صاحب الشقة يراقب الأحداث التي تجري في بيته عنوة دون حول منه و لا قوة. مشى ببطء حتى وصل لباب البلكونة.. تطلع من الزجاج بأعلى الباب و رأى ذاك الشبح الملثم الأسود.. قناص يوجه سلاحه القذر تجاه المتظاهرين مرة أخرى، لم يعرف مصطفى لما أُستخدم القناصون بهذا المخطط.. فهم يقتلون بعشوائية لا يميزون بين قوي و ضعيف أو صغير أو كبير.. فتح الباب بهدوء و يده الأخرى موجهة نحو القناص.. التفت القناص إليه فوراً، أطلق النار بسرعة كما قام القناص بذلك أيضاً.. لم يشعر مصطفى بنفسه و هو يطلق النار طلقة تلو طلقة تلو طلقات حتى شهق القناص شهقته الأخيرة و مات.

جثم مصطفى على ركبتيه.. شعر بالدوار.. الدنيا تلف حوله كالكابوس.. رأى بعينيه المشوشتين رجل عجوز ينظر إليه من فوق رأسه.. غاب عن الوعي مباشرة.

هرول عادل و سعاد و ابنتيهم بسرعة في صالة استقبال المستشفى، اتجهوا للمصعد حتى بلغوا الطابق الرابع.. جناح الرقود.. فتشوا عن غرفة مصطفى حتى وجدوها أخيراً.. انطلقوا بسرعة نحوه، كان ما يزال غائباً عن الوعي.. حيوا الرجل العجوز القاعد بالكرسي المجاور لسريره، قال عادل بلهفة:

- أشكرك من صميم قلبي لإنقاذك ولدي.. هل هو بخير ؟!

- أوه، لا تقلق سيكون بخير قريباً.. تعرض لطلقة نارية برجله اليمنى و تم استخراجها و الحمدلله.. سيتعافى عما قريب إن شاء الله.

- أحمدك من أعماقي يا رب.. الحمدلله الحمدلله...

- ولدك شجاع جداً، لقد أنقذنا من أولئك الأشرار..

- أوه، حقاً.. ما الذي فعله ؟!

- دخل أولئك الرجال عنوة إلى شقتي.. و إلى أرجاء العمارة كلها.. هددونا بالسلاح بأن ننفذ طلباتهم طوعاً و إن رفضنا سيتم قتلنا.. استعملت إحدى الغرف للاختباء مع عائلتي.

- هؤلاء المجرمون!! يستحلون البيوت أيضاً!! قاتلهم الله.

- إنهم قناصون محترفون.. خططوا لفعل جريمة اليوم البشعة جداً، أكثر من خمسون شهيداً.. و مئات الجرحى.. من المسئول عن ذلك ؟! أكاد أجن!

و بعد ساعة من الزمن.. فتح مصطفى عينيه و بدأ وعيه يعود إليه شيئاً فشيئاً، سُعاد متشبثة بيديه و تدعو الله بأن يرجع لها ولدها الوحيد سالماً معافىً ، تقبل وجهه و رأسه، و هديل و حنان تحدقان فوق رأسه تنتظران كلماته الأولى.. حملق مصطفى بمن حوله، غشاوة ما تزال على عينيه.. تذكر جريمة البارحة النكراء و بدأ بالصراخ الهستيري:

- بلال.. بلال قتلوك المجرمين... أقسم بأني سأقتص لك.. أعدك بأنك سترتاح في قبرك... آه يا بلال .. كيف سأواصل حياتي بدونك ! كيف !

نشج بالبكاء المرير.. يتنحب مغطياً عينيه بكفيه اللذين لم يكفا عن الارتجاف لحظة واحدة. الجميع يحاول مواساته.. تهدئته.. لم يروا ابنهم بتلك الحالة من الضعف قط.. منظره محزن جداً.. كيف لا و قد فقد لتوه أعز صديق له جُرماً و عدواناً .

هدأ قليلاً.. حيا والديه و أختيه بوجهه المصفر، نظرات الإشفاق ترتسم على وجوه الجميع.. سائلين أنفسهم:

= أهذا هو مصطفى !! الشاب المفعم بالمرح و النشاط و الطموح؟!

بدأ عادل بمحادثته بهدوء و لين:

- بلال صديقك.. لطالما أعجبت بحماسه و ذكائه.. أعزيك بفقدانك إياه ولدي الغالي، و أحمد الله على سلامتك.

اكتفى مصطفى بالقول:

- الحمد لله على قضاء الله و قدره.

قالت هديل مبدية الحماس بنبراتها علها تخرجه قليلاً من حزنه:

- قال لنا صاحب الشقة أنك قتلت أحد رجالهم، لم أتوقع بأنك شجاع إلى هذا الحد.

هتف مصطفى:

- ها ! إذن مات ذاك الرجل ؟! اعتقدت أن ما جرى مجرد حلم كئيب.. إنهم مجرمون لا يحملون ذرة من الإنسانية.. يعملون لصالح جماعات قوية بالبلد، بل توازي قوتها قوة الدولة، يريدون إشعال فتيل الحرب قاتلهم الله.

تدخل الرجل العجوز قائلاً:

- هذا صحيح.. يجب علينا ألا ننتظر إعلان من المسئول عن تلك الجرائم التي تزداد يوماً بعد يوم.. كل تلك المخططات تجري في غرف سرية لشخصيات كبيرة.. و من يدفع الثمن سيكون الشعب لا غير، أما تلك الشخصيات فهي مختبئة جيداً و لن يحدث لها أي مكروه.

قاطع مصطفى العجوز بقوله:

- أثق بقدرة الله عز و جل .. سفكوا الدماء المحرمة، و سينالون جزاءهم منه، جهنم و بئس المصير لهم بإذن الله.

*****

بعد شهرين..

انضم كلٌ من عمر و جوزيف و رشا و هديل لمجموعة الدراسة في الفيس بوك التي اشتعلت مواضيعاً عن ساحة التغيير و شعارات إزالة الحكم السابق و ساحات الاعتصام.

بالطبع عُلقت الدراسة بالجامعات و المدارس شهوراً عدة..

وضع أحد الطلاب منشوراً دينياً و سياسياً عن حق من يواليهم بشرعية السلطة ووجوب إتباع الناس لهم، فذلك أمر من الله بولاء أخير الناس و كانت الفئة التي يواليها بالنسبة إليه أخيرها و أفضلها... أثار الموضوع جدلاً واسعاً ممن يعارضونه كما هي طبيعة الحال مذ بدأت الثورة ، و لكن الجدير بالذكر هو اهتمام "جوزيف " الكبير تجاه قضايا الدول العربية الأخيرة من بينها اليمن، و سوريا و تقصي أحداثها البارزة أولاً بأول..

علق يوسف على ذاك الموضوع قائلاً:

- أنا حقاً لم أعد أدرك شيئاً.. موجات تكفير لبعضكم بعضاً و أنتم جميعاً مسلمون؟! تقتلون بعضكم.. و لا تدرون لماذا... لم أعد أفهمكم ..

علق طالب آخر على يوسف قائلاً:

- استخدمت الأيادي السوداء الدين لغرض الوصول لأهدافهم هذه الفترة.. انقسم علماء الدين و انقسم الشعب، كل فئة تنصف نفسها و تعظمها و توصل للناس بأن لديها الحق بشرعية سلطة البلاد من قبل الله تعالى.

بالطبع تلقى الطالب ردوداً و شتائم لاذعة.

- كيف لك الاعتراض عن مشيئة الله؟

- لدينا الحق بالحكم ألف مرة.

-على كل ستتبين حقيقتك قريباً جداً أيها الجاسوس.

علقت رشا أيضاً:

- يوسف ! أترى صورة بروفايلك !! أتمنى جيشاً جراراً منه.

رد جوزيف قائلاً:

- تريدين جيشاً من الأرانب؟!

ردت رشا:

- أرنبك مسلحٌ جيداً، ليس أرنباً عادياً.. و لدينا حرب هنا.

- و مع من أنتِ؟! من تريدين أن تناصري؟!

- بالطبع حكومتنا السابقة.. نريد الأمن و الأمان.. و من قاموا بالثورة ما هم إلا شرذمة قليلة من كارهيها لا يمثلون الشعب.

رد جوزيف:

- أتعتقدين ذلك ؟!

علق عمر قائلاً:

- أنتِ ضائعة حقاً.. لم أدرك وجود أشخاص بهكذا عقليات.

ردت رشا:

- يوجد الكثير مني .. الكثير الكثير، تقريباً الشعب بأكمله.

رد عمر:

- العكس صحيح، ساحات التغيير من جنوب اليمن إلى شماله و من شرقه إلى غربه تضم معتصمين متظاهرين بالملايين تجاه النظام الزائل لا محالة.

رد جوزيف:

- إذن عمر مع الطرف الآخر من الثورة.. رشا، كيف أصبحت اليمن ؟!

ردت رشا:

- خراب و دمار.. يتقاتل طرفان من الشخصيات البارزة في البلد بالأسلحة الثقيلة.

رد جوزيف:

- و النتيجة ؟!

ردت رشا:

- بيوت مدمرة و قتلى و جرحى مدنيين لا ذنب لهم، كل ما يحصل بسبب أولئك المتظاهرين الأغبياء.

رد عمر:

- سترين قريباً من الذي لديه الحق بالحكم.. و ستبكين كثيراً.

ردت البروفيسورة هويدا:

- كنت بادئ الأمر مع الثورة السلمية قلباً و قالباً، حتى جاء ذلك اليوم الذي فرح فيه المتظاهرون بانضمام شخصيات كبرى في البلد تحوز على أموالٍ هائلة من خيرات اليمن جبرياً و بالقوة، سمعتها سيئة و الناس تعلم بجرائمها.. نسي المتظاهرون ذلك كله و تحولت تلك المظاهرات لصراعات سياسية بحتة بين طرفين على الحكم.. و يظل الشعب الضحية الأولى، غير المستفيد من أية مكاسب سوى الخوف و القتل و الدمار.

رد عمر:

- أولئك من تتحدثين عنهم هم الأصلح لحكم الشعب، و كل الجرائم التي لفقت لهم كذب في كذب.

رد جوزيف:

- لا فائدة من العيش في اليمن لرؤية الحقيقة.. أنتم جميعاً متخبطون و تائهون، التبست عليكم الشبه و الحق من الباطل.. ليس أنتم و حسب بل و سوريا و العراق و و و .. يا إلهي؟! مالذي حلّ عليكم جميعاً فجأة ؟! أهي لعنة الفراعنة أم ماذا ؟!

لم يعلق أحد بعد جوزيف... و لكن يوماً بعد يوم كانت تجري مثل تلك المناقشات... حتى أتى يوم ظهر فيه و قد غير صورة حسابه الشخصي و كتب على صفحته:

" أنا ملحد I'M ATHEIST"

أثار الموضوع جنون الجميع و أولهم عمر.. اتصل به حينما رأى منشوره فوراً، كانت الثانية صباحاً و جوزيف بالتأكيد نائم.. رد جوزيف بصوته الناعس:

- أهلاً عمر.. ماذا دهاك ؟!

صاح عمر في الهاتف:

- ارتددت عن الإسلام ؟! أيها المجنون؟!

- أوه، حدث ذلك منذ أسبوع مضى، أرأيته الآن فقط ؟!

- لو كنت بجانبي لصفعتك.. علك تعود لصوابك.. ماذا هناك! أترتد عن الإسلام ؟ دين الله بعد أن لان قلبك أخيراً و أسلمت ؟!

- دعني أنم الآن سأخبرك لاحقاً عن السبب.. أرجوك.

- إذن أصبحت ملحداً حقاً ! لن أنفك منك حتى تخبرني الآن، و إلا لن أحضرك معي حينما أخطب هديل.

- أنتم المسلمون سبب ارتدادي عن الإسلام، احترت أي طائفة أنضم حتى أضمن الجنة، كل طائفة تكفر أختها و تسبها.. و إن كان لا بد لي من انتهاج منهج ما كي أتبعه فسأضمن الجنة عند تلك الفئة بينما الثانية تكفرني و تحلل دمي.. و إن انضممت للأخرى فسأكون كذلك عند الأولى و هكذا...

ذهل عمر بما قاله، و رد عليه:

- أهذا ما تفكر فيه؟! ثق أنك على صواب ما دمت تلتزم بالقرآن و السنة، جلبت لك كتباً كثيرة حول مذهبنا.. اقرأها كلها أرجوك.

- داخ عقلي و أنا أقرأ، الشيعة كفار عندكم.. و السنة كفار عند الشيعة، و إن كان البعض لا يكفر أحداً فهؤلاء فئة نادرة جداً، لا أعرف أين أجدهم.. جلبتم لي الحيرة و لم أعد أفهمكم.. فكان الأجدر بي بعد كوني مسيحياً أولاً ثم مسلماً أن أكون ملحداً و أرتاح من التفكير و التكفير الكثير.

- أنت من أدخل نفسك بدوامة التفكير و الشك، و قد كنت على المنهج الصحيح.. حسناً الآن، واصل نومك و لنا كلام آخر في الغد إن شاء الله.

عدة أسابيع بعدها..

عند المساء.. انضمت هديل لغرفة إسلام لايف، ظلت تشاهد لوهلة ولم ترد لشعورها بالإرهاق الشديد بعد توزيع حصصاً غذائية للأسر الفقيرة مع رشا و زهور، لقد كان بشير وسوزان يتحدثان:

سوزان / ولكني أحرص على عبادة الله وحده لا شريك له، كما أقوم بأداء الصلاة، الزكاة، الصيام...، فأنا أؤمن بالأنبياء والرسل جميعاً لا أُفرق بين أحدٍ من رسله .. وهذه النقاط هي أساس الدين .

بشير / ولكن علينا التنبه والحرص بأن نكون من الفرقة الناجية من النار من بين اثنتين وسبعين فرقة.. أي يجب عليكِ اختيار مذهبك بسرعة كي تتبعي منهجه وتعاليمه .. يجب أن تكوني سُنية.. أعدل وأحسن المناهج وهو بالتأكيد الفرقة الناجية من النار التي حدثنا عنها رسول الله ﷺ

سوزان / حسن، سأنظر في كلامك أخي .. بالطبع أريد أن أكون من الفرقة الناجية من النار .

بارادايس / السلام عليكم .. كنت أتفرج على مناقشتكم، بشير هل تقصد بأن من لم يكونوا من السنة يدخلون النار !!

بشير / وعليكم السلام، حسب قول الرسولﷺ لن ينجُ من أمته سوى فرقة واحدة من بين اثنتين وسبعين فرقة لأن كلهم في ضلال عدا تلك الفرقة.

بارادايس / عائلتي تنتمي لمذهب آل البيت العفيف، حقيقة لا أدرك الفرق بين المذاهب، لكني أسمع الجميع بعائلتي يقول بأننا نتبع أعدل المذاهب و أفضلها.

بشير / مذهبكم شيعي .. صحيح!

بارادايس / لا أدري .. حسن، علي الخلود للنوم لا أستطيع المتابعة، نتحدث بوقت لاحق .. تصبحون على خير .

سوزان / تصبحين على خير أختي .. اعتني بنفسك!

أغلقت هديل البرنامج، تفحصت بريدها الإلكتروني بسرعة والذي لا جديد فيه سوى بعض إعلانات المواقع الكاذبة بفوزها بجائزة قيمتها مليون دولار .. أغلقت حاسوبها في ملل.. استلقت على سريرها و ماهي إلا ثوانٍ حتى احتضنها ملاك النوم .

يومين آخرين..

نهضت صباحها مُبكرة، لم يكن لديها شيئاً لتفعله ذاكرت دروسها قليلاً وتلت وردها اليومي من آي القرآن فغمرتها سكينة وراحة.. كان يوم عطلة فتذكرت انشغالها اليومين الماضيين مع زهور، لم تستطع فتح حاسوبها خلالهما .. تذكرت عمر للحظات وهمست بنفسها:

- ما الذي أخره لزيارة اليمن مرة أخرى لطلب يدي بصورة رسمية حتى الآن!! قال لي مؤخراً بأنه سيأتي خلال هذا الأسبوع، ربما هو فقط مشغول كما انشغلت أنا.. ربما..

سنحت لها الفرصة ذاك الصباح بفتح بريدها الإلكتروني لتتفاجأ برسالة فائتة منذ يومين، منذ ذاك المساء الذي دخلت فيه آخر مرة.. إنها من عمر ..

" السلام عليكم .. أرجو أن تكوني بصحة وعافية، شاهدت حديثك بإسلام لايف منذ ساعة، وفي الواقع... صُدمت كثيراً.. لم أتوقع بأنكِ شيعية !! أرجو أن أكون مخطئاً كما أرجو التوضيح بأسرع وقتٍ ممكن " .

ردت هديل:

" وعليكم السلام، لقد كنت مشغولة خلال اليومين الماضيين.. ربما نشبه الشيعة قليلاً.. في الواقع عائلتي هاشمية و تنتمي لمذهب علي و الحسين أولياء الله منذ زمن بعيد.. اعتقدت بأنك لا تكترث لهذه الأمور كما أفعل أنا "

تغلق نافذة الحوار وتقلب مواقع أخرى، وبينما تقرأ بعض النصائح الصباحية.. أتاها صوت "بيب بيب" رسالة جديدة، لقد كان الوقت باكراً جداً ولم تتوقع الرد على رسالتها حينها .. فتحتها، لقد كان عمر :

" لم يخطر ببالي أبداً أن تكوني كذلك.. هذا معناه أنكم شيعة، جميعكم تمتلكون الاعتقادات ذاتها .."

زمجرت مستاءة وطبعت:

" لماذا! نحن نفس السنية.. ماذا في الأمر! كلنا مسلمين "

رد عمر:

" ليس الأمر كذلك.. شتان ما بينهما صدقيني، بدأت أخشى ... "

طبعت هديل بسرعة:

" تخشى ماذا!! "

رد عمر :

" فعلاً شيء صعب.. ستفهمين لاحقاً، حسن، علي الذهاب "

ردت هديل:

"ماذا تقصد ! حسن.. كما تشاء فلتذهب .. الله معك "

رد عمر:

" لا ترسلي إلي مرة أخرى حتى نحل المشكلة "

ردت هديل:

" مشكلة ؟! ماذا تقصد! هل أنت مستاء لهذه الدرجة ؟! "

رد عمر:

" بقدر كبير جداً.. أكاد أنفجر.. أريد أن أكون وحدي "

طبعت هديل بأصابع مرتعدة:

" هذه آخر رسالة مني.. خيبت ظني كثيراً.. لا تعود.. أنت تجرحني كثيراً.. مع السلامة إلى الأبد "

أغلقت حاسوبها في عصبية، تكاد تكسر الشاشة، ظلت واجمة لا تصدق ما حدث.. دموعها راحت تنهار و قلبها يؤلمها كثيراً .. لقد أحبته بكل قطعة فيها.. بكل وجدانها و أحاسيسها.. منحته الثقة و الاحترام .. منحته أغلى ما تملك (قلبها)...

- هل هذا عمر حقاً؟! انقلب تماماً عليّ لأجل ماذا !! لا أفهم.. لا أفهم.. آآه..

و بالفعل يبدو أن عمر لديه مشكلة من اختلاف مذهبيهما كما هو الحال مع والديها ضده و ضد طائفته؛ لم يكن بتلك المرونة التي تسمح له الارتباط بفتاة مختلفة قليلاً عنه.

مرت أيام وأسبوعان ولم يحدث شيء مما توقعته.. الأيام تمر بصعوبة ومرارة كبيرة عليها، كيف لا وهي التي باتت تتقاسم أحلامها عنه يومياً مع صديقتها رشا.. كان جُلّ حديثها عنه، محاضراته، أخلاقه، قصصه مع غير المسلمين، إلا أن خلافهما الأخير غيرها، وبدت مشاعرها المكبوتة بالفرح والتفاؤل تتلاشى شيئاً فشيئاً ليحل محلها حزن وكآبة.

والداها لم يعرفا ما بها، القلق يساورهما كثيراً.. تتكوم حول نفسها.. تحتضنها و كأنها قررت تعويضها الحنان المفقود وكل المشاعر الفياضة بنفسها دون اللجوء لأحد، صارت باهتة، صامتة، منعزلة بغرفتها جُل وقتها.. ألحا عليها بجلب طبيب عام علّه يستشف حالتها، ردت عليهما بألا علاج يفيد حالتها.. مشكلة ما في القلب..

قالا سيجلبان مختصاً بالقلب.. عبرات والدتها آذنت بالتساقط على ابنتها.. هل بها مرض في القلب حقاً! و قد تحتاج لقسطرة و علاج أبدي طويل يغيم ظلاماً على صغيرتها و تتغير حياتها للأبد وهي تتنقل بين المستشفيات لتتلقى العلاج المؤلم!

تخبرهما ألا طبيب قلب في الأرض كلها قادر على علاجها.

تسرع رشا إليها.. تفهم كل قصتها، تغضب لأجلها، تحاول إقناعها أن تنساه.. فمن يخذل صديقتها أصيلة المعدن و الجوهر لا يستحقها.. تلقي محاضرة طويلة تنهيها بأفضل الحلول التي زينتها و عطرتها بكامل أريجها " الزواج من أخيها "..

لم يعد عمر يرسل أي شيء، ولم تعد هديل تنظم لإسلام لايف.. ما أقلق صديقاتها سوزان وريحانة وسفينا، فأصبحن يرسلن الرسائل عبر الماسنجر .. وترد عليهن بكلمات مقتضبة جداً مفادها أنها بخير.

ذات ليلة، ألحت ريحانة عليها الانضمام للمجموعة كي تتحدث وتدافع جيداً عن نفسها إن كانت على حق، فالجميع منتظر للنقاش معها فإما أن تقنعهم وإما أن تقتنع هي وتغير من نفسها.. تشجعت بعد حوارها الطويل مع ريحانة عبر الهاتف و الماسنجر أياماً.. جمعت معلومات لا بأس بها من والديها بصورة غير مباشرة عن مذهبهم.. وبالفعل قررت خوض هذا التحدي.. بدأت النقاش ..

باراديس / السلام عليكم إخوتي أخواتي، أرجو أن تكونوا بخير جميعاً.. جئت للنقاش من أجل إتمام موضوعنا السابق عن " طوائف المسلمين " ..

بشير / وعليكم السلام، أهلاً أختي.. حسن، فلنبدأ.. قولي لي ما الذي تعتقدونه عن الصحابة رضوان الله عليهم وعائشة زوجة النبي الكريمﷺ!!

بارادايس / نحن نحب الصحابة وزوجة النبي ﷺ عائشة مثلكم جميعاً، الأمر عادي لا يوجد أي اختلاف .

ترو بيليفر / وعليكم السلام بارادايس .. ربما تمارسون التقية .

بارادايس / تقية !! ماذا تقصد !

ترو بيليفر / همم لا تعرفين ! اسألي والدك .

بارادايس / الوقت متأخر، لن أستطيع الليلة .

بشير / يقصد بأنكم ربما تقولون ما لا تبطنون.. أي ربما اعتدتم قول ذلك عن الصحابة بينما تبطنون بقلوبكم بغضهم .

بارادايس / ماذا !! أحقاً يا عمر تظن ذلك !! الله يعلم بأننا لم نذكر الصحابة رضوان الله عليهم وأم المؤمنين عائشة بسوء.

ترو بيليفر / إذن فلتغيري مذهبك للسنة، سنة الرسول الكريم ﷺ ..ألا تريدين أن تكوني من الفرقة الناجية من النار ! ألا تريدين أن تكوني سنية !!

بارادايس / بالطبع أريد، لكني حقاً لا أدري ما الخطأ بكوننا ننتمي لمذهب آل البيت.. لم أظن قط بأننا من الضالين.. في الواقع صدمتني ردة فعلكم!

ترو بيليفر / نحن الذي صدمنا كثيراً، توقعنا بأنك سنية.. أتريدين أن تكوني ممن يضربون أنفسهم يوم ذكرى الحسين ؟! أو يتبعون البدع وأعياد غير مذكورة في الشرع ! أتريدين الضلال والانحراف عن العقيدة !!

بارادايس / نحن لا نفعل ذلك عمر، أنت تعلم ذلك فأنت ابن بلدي، ثم منذ متى كان مجتمعنا متفرق هكذا ! كنا بأيام المدرسة ومازلنا إلى الآن لا نكترث لهذه الأمور، لدي صديقات من الشمال والجنوب اليمني ومن كافة الأطياف والمذاهب .. أحبهن ويحببنني ونُكن لبعضنا كل المودة والإخاء .

ترو بيليفر / إذن، ما الاختلافات التي بيننا !! هنالك حتماً أمور تختلفون بها عنا.

بارادايس / أظن بأن الشيء الوحيد الذي نختلف به عنكم هو أننا نعتقد بأن علياً كرم الله وجهه كان الأولى بالولاية من بعد الرسول ﷺ.. و قلوبنا تنصرف نحوه أكثر من باقي الصحابة.

بشير / الأدلة جميعها تشير بأن أبي بكر كان الأولى بالولاية من بعد الرسولﷺ .. إنه صديق ورفيق الرسولﷺ" ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"

حقاً، صارت معاني القرآن مهجورة عندكم.. من أين تأتون بأدلتكم !!

بارادايس / حسن، أنا حقاً مشوشة، لم أعد أدري ما الهداية وما الضلال .. أنا أصلي وأصوم و أزكي وأتبع القرآن مثلكم يا جماعة ..أو ربما الخلل من عندكم أنتم كما يحكي لي والديّ دوماً !

بشير / كل الفرق الأخرى لن تنجو من النار، عدا من يتبع سنة محمد ﷺ . ثم إن هنالك اختلافات بين مذهبينا كثيرة لا تدركينها، الأمر خطير للغاية قد يضر بعقيدتك إن لم تتنبهي لنفسك.

غريب / السلام عليكم إخوتي، أخواتي ..

بشير / وعليكم السلام أخي غريب .. لقد ظهرت، لا أصدق.

بارادايس / وعليكم السلام أخي.

غريب / في الواقع شدني موضوعكم الذي تتجادلون فيه، أسأل الله رب العرش العظيم أن يجعلني عند حسن ظنه بقمع هذه الفتنة الخطيرة التي بدأت تشتعل ذؤابتها .

ترو بيليفر / ماذا تقصد بالفتنة !! نحن ندعو إلى الحق، إلى دين الله الإسلام من غير زيفٍ ولا تشويه .

غريب / حقيقة يا إخوتي إن الله قد حذر المسلمين كثيراً من الشتات والفرقة، ويقصد بذلك بألا نسمح لاختلافاتنا البسيطة أن تشعل الفتن والبغض و الأحقاد بيننا.. ستولد الكراهية التي تنتشر هذه الأيام بين طوائف المسلمين إلى اقتتال المسلمين واستباحة دماء بعضهم بعضاً.. فلنفقه بأن نشرها بيننا فتنة جلية لا يرضاها ربنا الذي حرص دائماً بتوجيهنا بقرآنه على الإتحاد وعدم التفرق .

بارادايس / لقد كنت بدأت أميل لهم.. و لكن حينما حذرني والدي من طائفتهم تنبهت و درست أكثر عن مذهبنا.. أفضلها و أعدلها.. ومن يتبعه سيكون من الفئة الناجية من النار دون غيرها.

ترو بيليفر / ها أنتِ صرت شيعية.. أردتُ لك الهداية و أبيتِ إلا الضلال.

بارادايس / أنتم الضالون عن الحق.. اتبعونا نهدكم سواء السبيل.

ترو بيليفر / بل أنتم الضالون.. و أخاف أن مصيركم سيكون النار.

بارادايس / خاف على أنفسكم أولاً، فنحن واثقون بالجنة و سندخلها إن شاء الله.

ترو بيليفر / بل هي مُحرمة على الشيعة حتى شمها.

غريب / أرجوكما كفى.. إقرآ التاريخ يا من تشعلان فتيل الحرب و الفتنة .

غبي و جاهل ذاك الذي لم يتعرف على تاريخ أجداده، إن لم نُدرك حجم المعاناة التي ذاقتها الأمم بسبب تلك الاختلافات؛ سيتحتم علينا لاحقاً الشرب من نفس الكأس.. إبادات جماعية للشعوب المُسلمة خلال فتوحات العصرين العباسي و الأموي (مذابح السُنة و الشيعة).. استبيحت دماء و حرمات المسلمين بعشرات الآلاف و اقتتلوا فيما بينهم.. أُبيدت مدنٌ كبرى بأكملها بسبب حروب المسلمين الداخلية و موالاة بعضهم مع الأعداء ضد إخوانهم.. تذكروا فاجعة المسلمين الكبرى.. مدينة " الري * "، إبكوا قهراً على العصر الأندلسي وتذكروا أوج ازدهاره في عهد عبدالرحمن الداخل.. و حتى آخر عهده بتساقط ملوك الطوائف واحداً تلو أخر باستعانة الصليبيين ضد بعضهم حتى فنت تلك الحضارة و اندثرت تماماً.. و لم يتبقى للمسلمين غير عبراتهم و حسراتهم على أطلال إمبراطورية كانت - ذات - يوم.

كانت مدينة الري* و التي تقع على تخوم طهران عاصمة إيران ثاني أعظم مدينة بعد مدينة بغداد في ذلك الوقت من الزمن و التي يعيش فيها ثلاث طوائف أو مذاهب إن صح التعبير، المذهب الشافعي – الحنفي – الشيعي . حدثت خلافات عصبية ما بين الأحناف و الشيعة فما كان من الشوافع إلا التحالف مع الأحناف و ضرب الشيعة حتى تم تصفيتهم و من تبقى منهم فقد هرب إلى الجبال، بدأ المشهد الثاني بعد ذلك أن دبت الخلافات و ظهرت العصبية ما بين الشوافع و الأحناف و بدأ مسلسل القتل و التصفيات ما بين الجانبين و حرق المنازل و الأسواق من قبل الطرفين حتى يقال بأنه لم يتبقى محل تجاري واحد أو منزل على حاله و أن مجمل عدد القتلى يفوق مائة ألف قتيل .

حرام يا جماعة أن نعيد ذات السيناريو الكئيب والحزين مرة أخرى؛ وهل من المنطقي بذل التضحيات الدموية الرهيبة لأجل بيت من البيوت العربية المسيطرة ؟! فكأنما نحن عبيد لفكرهم وتوجيهاتهم .. بل كأننا قطيع أغنام يسيروننا كيفما يريدون.. و كل ذلك نتيجة لسوء استخدامنا لعقولنا.. علينا أن نصحو ونعي ما يجري حولنا.

ترو بيليفر / لكن يا أخي تعلم بأفعال الشيعة وسبهم للصحابة الكرام وعائشة رضي الله عنها، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، علينا مقاتلتهم فقد خرجوا من ملة الإسلام .. إنهم أتباع الفرس المجوس .

بشير / شاهدت للتو ما قالته بارا عن ولاية علي، إن رسول الله ﷺ قد بايع أبو بكرٍ رضي الله عنه للولاية من بعده برواية شهيرة بواضح العيان .. هم لا يعترفون بالصحابة رضوان الله عليهم ويقللون من شأنهم، ألا تغضب لأجل ذلك!!

بارادايس / أنتم تكرهون علياً و فاطمة الزهراء و آل بيت رسول الله ﷺ .. أدركت كل نواياكم الخبيثة.

غريب / يجب علينا جميعاً أياً كانت فرقتنا و مذهبنا الذي ننتمي إليه، أن ندرك أن من يطبق أركان الإسلام الخمسة يكون من ملة المسلمين .. حرام دمه وعرضه وماله .. وكل ما عليك فعله مع من يختلف عنك بالمذهب أو الحزب أو حتى الرأي بتفضيل أحد الصحابة على غيره يمثل رأي شخصي له لا يخرجه من ملة الإسلام، ويجب عليك احترامه لإنسانه.. لشخصه.. لخُلقه.. لكل هذه الصلات.. والأخذ بالاعتبار بأنه يدين بدينك " الإسلام "لاشك ولا ريب فيه..

ترو بيليفر / لا لا يمكن ذلك، نحن نحب علياً وفاطمة الزهراء وأبناءهم ونقدر عظم شأنهم بارا.

ترو بيليفر /غريب.. أنت لا تعلم ما يبطنون من كره و نفاق.. هم أشد خطراً على الإسلام من بني صهيون أنفسهم.

بارادايس / بل أنتم الكتلة الخطرة على الإسلام.. والدي حذرني من فرقتكم.. أنتم أصول الإرهاب و التفجيرات.

ترو بيليفر / كاذبون، إشاعات مغرضة.. لا ننتمي لمن يشوهون الدين.. أنتم الذين لا تحبون الصحابة.. و تبغضونهم .. إنه أنتم.

بارادايس / أحد عشر إماماً من آل بيت رسول الله ﷺ تم اغتيالهم بجرم و بُهتان.. لمَ لا تذكرون ذلك ! لم لا تبينون حقيقة طائفتكم للعالم ؟

غريب / توقفا، كفاكما اتهامات رجاءاً، كفى بغضاء و بث سموم كراهية قاتلة.

كفى جدالات عقيمة .. كفى! ،أرجوكم تعبت الأمة من أمثالكم أفيقوا!

نسب ونكره بعضنا البعض ونستبيح دماء إخوتنا المسلمين من أجل ماذا ؟! فلو كان بإمكان الصحابة رضوان الله عليهم رؤية ما حلّ بنا اليوم من تأجيج للفتن من أجلهم لما رضوا عن ذلك ولتعجبوا لأمرنا كونهم أحبوا بعضهم.. و تبادلوا الاحترام والألفة والمودة، على الرغم من اختلاف اجتهاداتهم وآرائهم المتباينة.

ثم، لم لا نجعل حكمهم على ربهم وحسب .. قال تعالى (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [سورة البقرة ١٣٤] فلنفكر بحالنا الآن ومستقبلاً وحسب، لدينا منهجنا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تتفق مع القرآن الكريم وتوضحه وهذا كافٍ .

بشير / أنت شيعي تمارس التقيية، لقد ظهرت حقيقتك.. لا كلام معك!

بارادايس / بل هو ينتمي إليكم يا من تدعون الطهر، و قد مرغتم أيديكم بدماء الأبرياء في كل بقاع العالم.

غريب / أقسم بربي أني لا أنتمي لأي من المذاهب والفرق، إنما كما أمرني ربي حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، وأنتقد أخطاء كلٌ من الشيعة والسنة.. وكلهم إخوتي وأحب لهم الخير والصلاح .

*****

يشتت انتباه عمر صوت جرس منزله.. يدق تلفونه، يترك حاسوبه جانباً من سريره.. إنه مايكل.. ماذا يريد بهذه الساعة ؟! يتساءل.. نزل الدرجات بخطىً متثاقلة، فتح الباب و حيّاه.. دُهش حين رآه.. مايكل بدا غريباً و غامضاً بالآونة الأخيرةً، لحيةٌ طويلة و كثة.. ثوب أبيض قصير و سروال قطني و قبعة ضيقة.. عربية فصحى تختلط كثيراً بلغته الإنجليزية.. دخلا للصالة و عمر يمازحه:

- ما بالك يا رجل.. أراك أصبحت مطوعاً.. ماشاءالله، هل هذا مايكل الذي نعرفه!

رد مايكل بالعربية:

- إنه الإسلام.. يحرم علينا حلق اللحية فنتشبه بالنساء والعياذ بالله..

جئتك لأمر ضروري جداً..

قال عمر وهو يضحك:

- حسناً فعلت مايكل.. لكن لو تقصرها و تهذبها قليلاً تكون أجمل..

حسن، و ما الأمر المهم ؟!

قال مايكل بحزم:

- لست مايكل، أصبحت أبو البراء.. لا يجوز قص شعرة من اللحية، افهم ذلك!

ضحك عمر بنبرة أشد:

- من بين كل الأسماء.. أبو البراء؟!

تلفت مايكل بحذر يتفقد المكان و قال:

- هل يوجد أحد هنا؟!

-لا.. تكلم براحتك أبو البراء، هاهاهه ..

- أخبرني، هل ما تزال تعمل عند ذاك النصراني النجس؟!

تعجب عمر لسؤاله.. و لم يعجبه نعت السيد جيكوب بتلك الألفاظ:

- مابك.. مايكل!!

قال مايكل بنبرة حادة:

- إذن ما تزال تحت إمرته.. أين هو شرفك! أين دينك ! أين دماثة أخلاقك و مرؤتك... ؟! يجب عليك ترك العمل هناك.

هتف و قد لان صوته:

أرجوك عمر.. لأجل الإسلام..

عمر.. ذاهلاً:

- لأجل الإسلام !! أترك عملي ؟!

- أجل يا حافظ القرآن.. هل توالي اليهود و النصارى من دون المسلمين ؟!

- لكنهم لم يؤذوني.. لم يمسونا بسوء.. الأستاذ جيكوب طيب و يحسن معاملتي.. كما أنه يحترمني لشخصي و هذا كافٍ، لم يفرض علي قط حضور حفلات الشركة الراقصة الممزوجة بنخب كثير من الخمور.

مايكل ساخراً:

- هه، تعترف بأنها حفلات ماجنة.. سكارى و ترنحات مشبوهة.. عشيقات و فسق.. أعوذ بالله .. أعوذ بالله.. لا أصدق أن من كان قدوتي يصادق هؤلاء المجرمون.

صُدم عمر لكلام مايكل.. ماذا جرى له ! ما هذا التغيير الجذري ! كان مسلماً معتدلاً.. جميلاً و خلوقاً.. يحب الإنسان لشخصه لا لدينه و انتمائاته.

- مايكل.. تأمل قول الله تعالى (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

صديقي أرجوك تريث.. هؤلاء القوم لا يؤذوننا.. لِمَ نرميهم الى القائمة السوداء و المغلقة في حياتنا ؟! لم ننل منهم أي مكروه.. فلما نقوم بإقصائهم بقسوة بهذا الشكل ؟!

- بل هم يحاربون دين الله الإسلام .. الموت لهم!.. على كلٍ ، أرجوك لا تذهب للشركة غداً.. إختلق أي عذر..

- و لم لا أذهب ! لدي اختبارات دوائية و تحاليل كثيرة علي إنجازها.. هل هنالك أمر مريب؟!

- حسن، إصنع ما تشاء عمر.. حذرتك، أردت تجنيبك من نار جهنم و لم تكن لتصغي.. مصرٌ على موالاة الكفار و المنافقين.. سأذهب.. السلام عليكم.

- و لكن.. مايكل..؟!!

سار مايكل تجاه الباب بخطىً سريعة و ثابتة.. و لم يلتفت إلى عمر و رحل مغلقاً الباب خلفه بقوة..

في اليوم التالي ذهب عمر لشركة الصيدلة.. و قلبه يتوجس خيفة، لم يستطع النوم البارحة و ظل يتذكر مايكل و حديثه المخيف.. ما أن دلف لصالة الاستقبال حتى رأى الموظفون والموظفات في حالة يرثى لها.. امرأة ذات شعر أحمر مجعد تبكي بشدة و هي تغطي وجهها بكفيها.. و حولها طفلان ينتحبان.. الموظفات و الموظفون يواسونها في أسى.. اتجه إليهم بسرعة و قال لهم في فزع.

- ماذا هناك ؟! من هذه المرأة؟!

البعض رماه بنظرات غاضبة ملتهبة.. و لم يعيروه اهتمام.. قدم كارلوس و ستيفن صديقا عمر .. وجه كارلوس صورة على هاتفه تجاهه و قال و هو ينظر بحزن عميق في الفراغ:

- هل رأيت ماذا فعل به الحثالة ؟!

صُعق عمر لدى مواجهته للصورة.. تلوعت روحه في ألم.. جيكوب مكبل بالقيود.. يديه و رجليه.. محكمتا العقد.. و فاه ملصوق بشريط رمادي بقوة، بجانبه امرأتان و أناس آخرين على مرمى ذاك القبو المظلم لم تلتقطهم الصورة التي بدت أوسع من ذاك المشهد.. يمسك بشعر جيكوب رجل ملثم.. كثيف الشعر.. ضخم الجثة.. ملامحه كلها مموهة.. و على حين غرة، و عمر ما يزال مشدوهاً لمصيبته.. صفعة قوية تتلقاها وجنته اليمنى.. فار دمه و هو يرى أمامه الموظفة كريستينا التي تكرهه منذ انضمامه للشركة.. هتفت بغضب و حقد:

- لا بد أن لك يد في ذلك.. أيها المسلمون القذرون.. كم أحتقركم.. جبناء.. لتذهبوا إلى الجحيم!

كانت تصيح بهستيرية محاولة ضرب عمر و ركله في جنون و كان هنالك من يمسكها و يبعدها عنه قائلين:

- أرجوك غادر.. لا نريد أي مسلم هنا الآن..

التفت عمر لكارلوس و ستيفن و لم يبديا أي رد غير هزة من الرأس تفيد تأكيد ما يطلبه الآخرون.. غادر مخذولاً، مهزوماً يجر ملفاته بيد و يمسك خده المصفوع باليد الأخرى في حرقة ووجع.. مصدوم لا يكاد يصدق ما حدث.. اغرورقت عيناه بالدموع التي أبا إنزالها.. صورة جيكوب البائسة أمامه لم تغادره.. اتصل مباشرة لمايكل.. هاتفه مغلق.. يعاود الاتصال مراراً و لم يجب.. قاد سيارته عائداً لمنزله.. دلف غرفته.. انفجر بالبكاء.. شهقاته متقطعة يكاد نفسه يصمت لنحيبه.. ما هذا الموقف ياعمر؟! دُمرت حياتك.. كل ذلك بسبب "المتمسلمين" رفض تسميتهم بمسلمين لأن أعمالهم نقيضة تماماً لما يوحي به الإسلام.. غرق في أفكاره حتى جرته نحوها:

- موقفي ضد هديل مذ عرفت أنها " شيعية"، كنت جافاً جداً معها.. كيف يا ترى حالها؟!

لا لا كنت على صواب.. هؤلاء روافض من تنتمي إليهم.. أنت على الطريق الصحيح يا عمر!

أمواج من الذكريات الحالمة تنشرح أمامه كأنها تجري الآن، هديل الحلم، الحب والقلب، تلك التي علقت بقلبه منذ أول لقاء في تلك الغرفة الافتراضية.. عقله يضج بمتناقضات عده، شيعية، الإرهابيون، جيكوب، المسلمون، مايكل، أنا.. أنا برئ.. أقسم أنني برئ!!

ظل يغرق في حالة جنونية، يستجوب نفسه وكأنه متهم، ثم يُلقي بالأحكام وكأنه القاضي، ولكن قاضٍ منحاز لصالحه بكل قوة وإيمان!

يرن هاتفه بعد ساعات:

- آلو..

صوت هامس حذر:

- عمر.. أنا مايكل.. أقصد أبو البراء!

عمر بصوت يتفجر بالغضب:

- مايكل..ماذا فعلت أيها الأحمق؟! تعال إلي سأضربك حتى تفوق من جهلك.. أين جيكوب؟!

- ظننت أنك ستهنئني لما فعلته لأجلك.. فعلاً لا جدوى منك..

أغلق مايكل السماعة بعنف.. و عمر لم ينهي حديثه معه بعد.. رمى عمر الهاتف عرض الجدار حتى انكسر..

- أيها الغبي.. مايكلل!!

ذهب للسوبر ماركت التي يعمل فيها.. اكتشف من زملائه أنه استقال منذ شهرين.. صدمة أخرى.. هذا ما ينقصك ياعمر، اتجه لمنزل مايكل ليفيده أحد الجيران بأنه لم يعد يعيش هناك منذ فترة.. رجع لمنزله.. سيارات شرطة و أصوات إنذار صاخبة.. أمسكه شرطي عيناه تملأهما شك و يقين معاً.. بعنف هتف:

- عمر عبد القادر.. نريد استجوابك عن الجريمة البشعة التي تعرفها!

تنهد عمر و شهق يردد بداخله أدعية بأن يصرف الله عنه السوء.. قال بتحدٍ:

- استجوب كيفما تريد.. ليست لدي أية صلة بهذا الموضوع، و لن تجد دليلاً ضدي!

أخرج الشرطي أمراً موشىً بختم رسمي.. و قال بصرامة:

- سنفتش المنزل!

تمالك عمر نفسه مبيناً الثقة:

- فتشه كما يحلو لك.

استغرق الأمر ساعتين متواصلتين من البحث والتنقيب.. بعدها جر المحققون و الشرطة أقدامهم خارجاً بخُفي حُنين.. و مع ذلك عزز المحقق كلامه بنظرات اتهام تجاه عمر:

- سنعود.. أنا متأكد بأننا سنجد الدليل قريباً!

أردف مبتعداً:

مسلمون قذرون!

سحابة سوداء غطت فضاء عمر وزادته قتامة، يوجعه قلبه ويهتك به سكاكين حادة، سكاكين آلمته في جوهر دينه الذي يحمد الله أنه من هذه الملة دون غيرها في كل لحظة وثانية، لكن اليوم توغل دينه في التشويه أكثر في عيون الأغراب، والدلائل الموفاة بحوزتهم زادت الأمر سوءاً، ظل يصلي و يناجي ربه شاكياً همه.. متى الفرج يالله.. مظلوم.. مظلوم، صارت السجادة رطبة لكثرة بكائه.. بيته مُراقب و كل اتصالاته أيضاً.. من حسن حظه أن والده و خالته مسافران لولاية كنساس لقضاء بعض الأعمال.

و على الرغم من كل ما يحصل؛ لم يفت عُمر يوماً الانضمام إلى "إسلام لايف"، ليستمع لغريب الذي يدهشه بفلسفاته العقائدية المختلفة.. غريب المميز ، عملة نادرة، لا يشبه ما توالى عليه من الشيوخ الذين تشرب الدين على أيديهم، أشعل في نفسه الفضول لاكتشاف خبايا هذا الغريب.. لا تجد من يدعي إلى دين الله بسماحة مثله، ولا يهتم بالقشور التي يتنازع الجميع لأجلها، بل لديه فضاءات فسيحة متجذرة بالقرآن والعقل بآن!

بعد خمسة أيام خرج عُمر متخفياً لمنزل جوزيف.. حاول الاتصال بمايكل برقم تسرب إليه عبر جوزيف، أجاب مايكل أخيراً.. هتف عُمر بحذر:

- أبو البراء.. لا تغلق السماعة أرجوك.. أنا عمر.. استمع إلي!

صوت مايكل مختلطاً بضحكات جلادين ساخرة و مُعذَبين يتأوهون من فظاعة ما يقاسونه:

- ماذا تريد؟ اختصر لدي عمل كثير!

غمز عمر لجوزيف في مكر كي يفهم الخدعة.. و قال بصوت أجش:

- أبو البراء.. أخي في الله.. أخي في الجهاد.. عُدتُ إلى صوابي.. أولئك المارقون الكافرون! أريد الانضمام إليكم أرجوك.. اغفر لي خطيئتي!

فرح مايكل كثيراً و قال و لم يتح لعقله مجالاً للتفكير.. فتلك حقاً أمنيته.. انضمام عمر لجماعتهم:

- بل الله سيغفر خطيئتك.. عمر أهلاً بك.. تعال إلى الحق.. إلى جهاد الكفار الذي بات في متناولنا..

اتفقا على مكان اللقاء و كيفيته.. ترك رقماً و عنواناً لجوزيف في حالة الطوارئ.. ارتدى تحت ملابسه العادية ملابس مثل التي يرتديها مايكل و فعلاً التقيا حسب الاتفاق.. إجراءات مشددة تفاداها من الشرطة، واستطاع أن يقنع الجماعة الإرهابية بصدق إيمانه بهذه القضية.. عُصبت عيناه حتى لا يعرف الطريق.. ثم اقتياده إلى سيارة فخمة غامضة وسيرها لطريق طويلة لعدة ساعات.. وأخيراً استطاع الدخول لموطن التعذيب، مشاهد مؤلمة.. فتاكة.. عناصر متعددة الجنسيات في أرجاء هذا العالم.. فرنسيون و عرب و إيطاليون و باكستانيون و أمريكيون وغيرهم الكثير... يقترفون الجرائم باسم الله تارة، و الإسلام أخرى.. جلد و تعذيب.. و تقطيع و تمزيق ومشاهد يندي لها الجبين، وتصرخ لها عين الإنسانية.. امرأتين شقراوتين تتأوهان بصراخ فضيع.. للتو حُرقت أرجلهما بزيت حار.. و صوت أحدهم يقول:

- سنأخذكن سبايا.. أنتِ زوجتي.. وقد رُقتِ لي كثيراً!

كشرت المرأة المعنية بغضب، رمته بنظرات احتقار و بصقت في وجهه بصفاقة:

- زوجي ينتظرني في مدينتي.. لن أذهب معك أيها السافل.. دنيء.. حقير!!

يشتاط غضباً، يشمر عن أنيابه المفترسة بحقد و لؤم.. يصيح بعنف:

- كيف تجرئين؟ أقسم بالله سوف ترين! سأعذبك كي تعقلي.. صرتِ لي .. و لي وحدي..

يجرها من شعر رأسها بقسوة إلى مكان مغلق.. و بثوانٍ فقط تحول لذئب بشري شرس.. يبيح لنفسه تمزيق فريسته دونما رحمة.. مشاهد مروعة مشوبة بالقبح و النذالة..

تعذيب بالسياط يتلوه(الله أكبر).. سب و شتم ثم (النصر للإسلام) ..

أهكذا نُعمِّر حرياتنا بإذلال الشعوب ؟! نبيح لأنفسنا دهسهم و صدى ضحكاتنا الساخرة تقهقه فوق رؤوس من لا ذنب لهم في تكسيرنا ؟

مزيـج متشابك من التساؤلات تصدرت عقل عمر، ومشاعر منهكة حتى أقصاها تعتصر بداخله.. خاف أن يفقد قدرته على التحمل و يواجههم ليكون مصيره مثل مصير أولئك المكبلون.. زاولته رغبة جامحة في أن يثب فوق ذلك الوحش وينخر بأضافره لحمه القاسي، و أن يغرس أسنانه كخناجر فتاكة على عنقه حتى تتفجر دمائه، أراد أن يستعمل كل ما بحوزته من قوة ليحرر المرأة منه.. راودته نفسه بالكثير.. لكنه شد على قبضته يعصرها بقوة، و راح يشهق بهدوء شهقات سريعة، علها تخفف وطء الصدمة التي يعايشها مع من يتحايلون على العالم بقولهم أنهم جماعة إسلامية.. تحامل على نفسه و مضى خلف مايكل حتى وصلا إلى جايكوب.. بدا غائباً عن الوعي لشدة التعذيب.. صار متهالكاً و ضعيفاً.. خدوش غائرة بوجهه.. يديه .. و نصفه الأعلى العاري.. المزيد من الأوجاع تجتاح عمر، كبت دموعه في قوة و صرامة.. لا تنزلي الآن.. لا بد أن أكون قوياً.. قاتلكم الله يامن تقتلون و تفتعلون الجرائم باسم الله!

قطع تفكيره صوت مايكل:

- دعنا نذهب إلى الأمير.. أبو جهاد سيفرح بك كثيراً، إنه في تلك الخيمة!

استدرك عمر نفسه.. و حاول جاهداً التملص من ذلك اللقاء بالثرثرة عن الجهاد الذي أشعل مايكل حماساً وثقة، أراد عُمر أن يضيع الوقت فراح مايكل يبادله الثناءات والتكبيرات التي يقول أنها تزيده إيماناً بقضيته، وبأن الله سينصرهم.. لم يشك في أمر عمر..

وفجأة "دن دن" يرقب عمر هاتفه لتصطدم عيناه بحدث مرعب، رسالة عاجلة كان قد جهزها مع جوزيف.. ليرسلها في ذلك الوقت بالذات!

- يا للهول.. ياالله.. أبي.. أرجوك لا تمت الآن!!

وراحت دموع عُمر تجري، سحابة القلق غشت وجه مايكل على العم عبد القادر الذي أصبح على فراش الموت و يريد إلقاء وصيته الأخيرة على ولده الوحيد.. لم يجلب عمر شكوكاً كثيرة نحوه.. بل لم يره غير اثنان لم يهتما لأمره كونه مع القائد أبو البراء، فقد كان محط ثقة مايكل الذي بدا أنهم ولوه مسؤوليه اختياره. ساعد مايكل عُمر للذهاب حتى نقطة الإلتقاء الأولى، و فهم أنهم سيغادرون بعد ساعات تهريباً عبر الساحل الغربي للمكسيك.. سويعات أخرى و عاد عمر لمنزله أخيراً و قد نفض عنه كل ما يتعلق بالجماعة.. التقى بجوزيف و حكى له كل شيء.. كان قد وضع جهاز تعقب صغير بسترة مايكل أثناء لحظات عناق الإنابة والتوبة، واخضلال الأعين للحق المبين!!

اتجه عمر لمنزله.. لكن ضيفاً غير مرغوب فيه قد سبقه، بلع غصة بحلقة إنها الشرطة! بدأ المحقق يستجوبه حول الساعات التي قضاها خارجاً، وما فعله خلال تلك الفترة، يحاول عمر أن يلوذ بالفرار من اسئلته اللاذعة ، كان يبرر بأنه عند رفيقه جوزيف و بوسعهم التأكد، لحظات فقط ، تتلقى إحدى الشرطيات اتصالاً مجهولاً من شخص مجهول أسمى نفسه "PHILANTHROPIST" أي فاعل خير، سرد تفاصيل مكان الجريمة و كيفية بلوغه دون ارتياب.. بتلك اللحظات ، تحركت جميع عناصر الشرطة للموقع وقامت بتنفيذ خطتها للكشف عن تلك الشرذمة الإرهابية و القبض عليهم و تحرير من بقوا على قيد الحياة.. جايكوب كان أحدهم، و مايكل لم يجدوه لحسن حظه.. كونه لحق بعمر بعدما ذهب.. أقلقه حال العم عبد القادر الطيب.. الذي أنقذه من الضياع في سنوات البؤس.. أُلغيت كل التهم عن عمر بسبب جيكوب الذي أثبت ببراءته، مؤكداً أن عمر مُسلم مختلف، فهو لم يره يوماً معهم.. معلناً بأنه قد كره المسلمون بسبب تلك الجريمة البشعة عدا عمر!

بعد أسبوع..

خُطاه المرتبكة تتقدم ببطء في الرواق الطويل.. إكليل ورد البنفسج و بعضٍ من الدونات بالشيكولاتة.. تتلاقى الخطى بذات الشعر الأحمر.. يُطرق برأسه للأسفل قائلا في ارتباك:

- مرحباً، هل.. الأستاذ جايكوب هنا ؟!

تعقد حاجبيها و تدخل للغرفة ٩١:

- عزيزي.. رجل مسلم.. أتى لزيارتك! يالبجاحة هؤلاء المسلمين... هل أشتمه و أجمع عليه الحراس؟!

ينتبه جيكوب، ويضع جريدة نيويورك تايمز التي كان يغوص في أخبارها:

- هذا عمر.. أدخليه بسرعة!

تقدم عُمر بلهفة:

- أستاذ جايكوب.. أحمد الله من قلبي على سلامتك..

جيكوب مبتسماً:

- أشكرك من أعماقي أيها النبيل!

عمر متعجباً:

- على ماذا ؟!

ضحكات مخضبة بأوجاع متفرقة على أجزاء جسمه أثر التعذيب:

- رأيتك حين دخلت وكر الأوغاد في تلك الليلة.. و بعد ساعتين فقط هبت الشرطة، عرفت أن الخطة من منبعك أنت، فقلبك نقي يا صديقي، معتز بدينك ولكن تحب الناس الطيبين على اختلافاتهم، كما أنا أفعل بالضبط!

- ولكن، لقد كنت غائباً عن الوعي.. كيف؟!

ضحك جيكوب يطلق لنفسه العنان حتى ارتد للخلف متأوهاً من جراحاته:

- تصنعت ذلك.. أنا سعيد كون ظني بك لم يخب.. آآه، ليت كل الناس متعايشون مثلك!

رنت كلمات المدير بعقل عمر و تلونت بصور كثيرة، وكأن العالم المستمر في دورانه قرر أن يتوقف عند كلمة "تعايش"، ظل صدى كلمات جيكوب يتردد أمام قلبه وعينيه وكيانه كله، هو لا يعلم لم ربط عقله اللاواعي بها في هذه اللحظات بالذات.. كان يراها كالأيام الخوالي، مبتسمة، خجلة، واثقة، و هي تصلح حجابها و وتأوي ما نفر من شعراتها، عنفوانيتها وحركاتها الطفولية المضحكة... هل أنا إنسان متعايش حقاً! و هل أسعى لتشييد جسر التسامح و المحبة بين أصناف البشر؟!

لا لا يمكن ذلك.. هديل شيعية.. كيف لها أن تصير زوجتي؟!

لكن.. أنا.. أنا أحبها.. أحببت روحها الطيبة.. الصادقة..

لا.. لاا لا يمكن أن تكون حبيبتي كافرة، تمارس التقية و تكذب كقومها..

انصرف عُمر في حالة هذيان، و تساؤلات مشوشة لا تفارقه..

****

أضحت فتاة صماء.. لا تغريها صياغة الحروف..

أُمتصت ما بها من حياة.. إشراقة.. بسمة.

نثر الخريف أوراقها التي يبست كلها.

فلم يترك لها عوداً واحداً أخضراً.

هل الحب جحيم لهذه الدرجة !

والداها محشوان بأفكارهما المذهبية و الحزبية المتزايدة بهذه الفترة دون غيرها، يبثان سمومهما إليها أيضاً، تكاد هديل تراه خارجاً من الملة كما هو أصبح يراها.. يتطلعان لسماء واحدة، وينعما بدفء شمس واحدة، لديهما إله واحد و دين واحد و طقوس واحدة والكثير من الأشياء الواحدة، لكنها كلها مشوهة بتشققات و نتوءات قبيحة لا تلتحم مع بعضها.. و لابد من ترقيع تجميلي يخفي كل العيوب التي طرأت في حدقات أعينهما!

تُراجعها رشا بأن تنسى عمر إلى الأبد و تتزوج أخيها الذي ينتمي لطائفتها الموفورة بالطهر.. في كل مرة لا تجد إجابة شافية منها.. لكن هذه المرة، نظرت هديل للأعلى وأكوام الخيبات تحوم حولها بنسق غير منظم لصور عمر محاولة حذفها واحدة واحدة من ذاكرة قلبها الذي املئتها حباً وتعلقاً.. أغلقت عينيها بقوة و فتحتهما و هي تهز رأسها في إيجاب قائلة " سأتزوج محمد "..

نظرت إليها رشا في ذهول، ظنت بأنها قد تخرج من تلك الحالة إذا ما ارتبطت بشخص آخر يستحق قلبها الصادق، ردت غير مصدقة لما يجري:

- هل أنتِ متأكدة ؟!

هل أنا أحلم أن هديل وافقت أخيراً الانضمام لعائلتنا ؟! أقرصيني بخدي إن كنت أحلم ..

تهز رأسها بابتسامة ذابلة.. تفرح رشا و تصفق معلنة أجمل خبر تلقته منذ زمن .. تتصل لمحمد ليأتي على الفور، يأخذهما بجولة في السيارة، ينبعث صوت محمد وهو يقود:

- أهلاً بكما، ماهي وجهتكما؟!

رشا تتغامز و تبتسم بمكر.. تلتفت لهديل و تؤشر لمحمد في المرآة.. ترفع إصبعها البنصر و تحرك خاتمها عليه.. يفهم محمد مغزى حركاتها.. تغمره السعادة لا يكاد يصدق.. تهتف رشا:

- إلى مدينة الملاهي فَن سيتي..

يبتسم محدقاً في المرآة:

- أنتِ تأمرين أختي العزيزة.. لكن، هل هـ هديل تريد الذهاب لهذه الوجهة أيضاً؟!

تلتفت هديل لرشا قائلة:

- أجل، أي مكان تريدينه أذهب..

صوت محمد:

- حسن، لكما ما طلبتما.. أنا في الخدمة..

رشا مبتهجة حد السماء:

- هاها، أخي اليوم مطيع جداً، لم أشهدك هكذا قط..

يكشر ناظراً إليها في المرآة.. يهمس برجاء ألا تحرجه أمام هديل..

صراخ حماسي و ضحكات.. وجوه لم تعد متزنة تماماً.. رؤوس دائخة، غثيان.. صعود بأقصى سرعة يتلوه هبوط مفاجئ بأقصى سرعة أيضاً.. قررت الفتاتان ابتداء يومهما بلعبة المقص.. دقائق من ضخ الأدرينالين يلون المزاج بمتناقضات السعادة و الخوف و الترقب... تنزلان و هما تمسكان ببعضهما.. تترنحان تخافا السقوط.. تداهم رشا نوبة غثيان بعد عصير الفراولة الذي تناولته قبل الصعود على اللعبة، حذرتها هديل كثيراً لكن دون فائدة لعنادها.

أفرغت ما بجوفها، و ضحكات هديل الساخرة لا تكاد تصمت..

غمرت رشا الفرحة مبدية مواقف مضحكة أكثر بتصرفاتها.. أحست براحة كبيرة لقهقهاتها السعيدة بعد طول عناء.. الجواب واضح لا محالة.. ستتزوج محمد هذا أمر أكيد!

- أشكرك للغاية رشروشتي الغالية.. كنت سعيدة للغاية معك..

- أوه صديقتي، أحفظي دائماً هذه الحكمة.. الصديق وقت الضيق.. ورشا في وقت ضيقك هدولي.. لو أردتِ سنخرج كل يومٍ، يوجد الكثير من التسلية في مدينتنا الجميلة رغم كل الآلام و الخراب..

- رشا ! .. أحبك حقاً..

غمزتها وقالت:

- و لو؛ أنتِ الأغلى هدولي..

*****

لا يزال الجميع يتحاور في إسلام لايف.. كلٌ يطلق ما بجعبته من أسئلة و إجابات عن الدين.. اتفق الجميع النقاش مع غريب يومياً حتى يقتنع طرف من الأطراف بكلام الآخر..

التاسعة مساءاً، بذاك الوقت من كل ليلة تعودت هديل أن تخلع رداء الضعف لتلبس قناع القوة و التحدي.. تُخفي آلامها وتعلقها به لآخر رمق فيها لتبرز جبروتها الذي اكتسبته من تفرق مجتمعها هذه الفترة.. يتوق الجميع لمشاهدة نقاشاتها مع عمر والمناظرات الدينية الأخرى مع باقي الأعضاء ..

ابتدأت سؤالها:

بارادايس / غريب إن عمر وبشير يعتقدان أن من يتبع مذهبهما يكون من الفرقة الناجية من النار.. ونحن الموالون لآل البيت نعتقد بأنا نحن هذه الفرقة الناجية من النار كوننا نؤمن بأن مذهبنا من أعدل المذاهب وأقربه للقرآن والسنة النبوية الحق.. من هي برأيك هذه الفرقة ؟؟

غريب / لا يوجد فرقة أو طائفة محددة .. لا أستطيع القول بأن الشيعة أو السنة أو أي طائفة من المسلمين في الجنة أو العكس.. أظلمهم و أتصنع القيام بأعمال الله إن حددت ذلك؛ بل أقول بأن من يعبد الله كما عبده نبيه الكريم ﷺ والذين اتبعوه بحق من كان مؤمناً بالله وحده لا يشرك به شيئاً.. من يرحم الناس، من صدره مملوء بحب الخلق كما كان يفعل حبيبنا المصطفى.. أياً كانت طائفته فهو من الفرقة الناجية بإذنه تعالى..

فقد ذكر عز وجل في كتابه الكريم :

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَـئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[الأنعام ٨٢

]كما قال تعالى أيضاً (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [سورة الكهف ١١٠]

ترو بيليڤر / حسناً غريب، لكن من وجهة نظرك.. ما هو المنهج الذي ينبغي علينا حذوه كي نضمن الجنة إن كنت تتيح الجنة لكل الطوائف ؟!

بشير/ أجل .. كيف لنا معرفته، وأنت تدعي بهتان ما جاءت به المذاهب !!

غريب / الأمر سهل للغاية.. يجب علينا تقصي الحقائق والبحث بهذه النعمة الجلية من الله عز وجل التي وهبنا إياها وهي العقل، خلق لنا عقولاً لنفكر ونفقه بمنطقية كل المسائل والأحداث التي تواجهنا.. هل من المعقول أن نفكر أن الله يريد أن ينقسم المسلمون لطوائف عديدة ويكرهوا بعضهم، ويتركوا اليهود واعداء الدين الحقيقيون يعبثون بخيرات بلداننا كيفما يحلو لهم؟

ولا ننسى أن لدينا القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.. وما خالف من الأحاديث لمحكم آي القرآن فهو مكذوب.. وبهذا هما منهجا كل المسلمين.

ترو بيليڤر / كلنا نعلم هذه المعلومة.. لقد أخبرنا إياها رسولنا الكريمﷺ، ونحن متأكدون بأن أحاديثنا صحيحة.. لدينا صحيحي بخاري و مسلم، كل رواياتهم عن الأحاديث كانت صحيحة.

ظل غريب والباقين يتناقشون تلك الليلة والليلتين اللاحقتين بشأن الأحاديث وكان غريب يفاجئ الجميع بأحاديث كثيرة متداولة مكذوبة.. يثبت ذلك بمناقضتها لآيات القرآن الكريم.

من جهة أخرى.. انتظرت هديل أي رد خاص من عمر عله يعتذر لها، علّ ضميره يؤنبه لتركه الصادم لها، ترقبت رسالته بتوجس.. ستصفح عنه و تفتح صفحة ناصعة ليسطرا عليها قصة حبهما، و تُلغي محمد الذي لم يخفق له قلبها مرة قط.. لكنه لم يرسل شيئاً.. تأكدت بأن قصتها انتهت عند ذاك الحد، لربما لم يكن هو (النصيب)!

أقررت الرحيل!

هكذا! دون توديعي !

ماذا عن بقايايا العالقة بك!

انفضني عنك.. و غادر بعدها..

جزء مهم فيني متشبث بك..

أظنه القلب، رفقاً به أرجوك..

أخذتها نوبة بكاء عارمة، نفست بها عن ألمها، اختلطت شجونها و مشاعرها والدمعات المالحة تواصل متدحرجة كالمطر!

يوم الكرنفال

اتفقت الفتيات على قضاء يومهن معاً منذ الصباح الباكر ببيع الحلويات والتحف والهدايا و لوحتين تشكيليتين رسمتهما هديل ببراعة و إتقان؛ توحي اللوحتان عن الحزن و الفراق.. كلاهما فيهما من الدموع و السواد ما يوحي ببؤس و اكتئاب الرسام.. لاحظ الجميع ذلك و كانوا يسألونها لم اختارت مثل تلك الصور اليائسة و لكن هديل كانت تنكر و تجيب بابتسامة مصطنعة بأنها محض صدفة...

الجميع مفعم بالنشاط والحماس متناسين أشعة الشمس الحارقة، الكل منشغل بفعل الخيرات، الموسيقى والأناشيد المتنوعة لماهر زين و سامي يوسف وضجيج الطلاب والأساتذة بالشراء والبيع تعُج المكان..

" I WAS SO FAR FROM YOU

YET TO ME YOU WERE ALWAYS SO CLOSE

أغنية الحمدلله من ألبوم ماهر زين تشعل الجو و توقده بهجة و سعادة للخير.. الطلاب يذهبون و يجيئون لرص ما نقص من الحلويات المتنوعة.. و الفتيات يتفاوضن لبيع القطع بأعلى نسب ممكنة، استمروا حتى الثانية ظهراً وحتى الانتهاء من بيع آخر قطعة حلوى.

"الحمد لله.."

" ALL PRAISES TO ALLAH

جمع الطلاب الأرباح وقاموا بِعدِّها وتوزيعها . لقد كان يوماً حافلاً ونجح الطلاب بهممهم العالية جمع مبالغ أكثر مما توقعوه .. سيقومون بإعالة عشر أُسرٍ فقيرة وعمل مشروع صغير لكل منهم يكون كدفعة أولية نحو تحسين أوضاعهم المعيشية والمضي قُدماً نحو الأفضل.

اتجهت زهور ورشا وهديل نحو أسرة صفاء للاطمئنان على حالة الأم التي يبدو عليها انهزامها بالمرض يوماً بعد يوم.. جلبن لهم بعض الأطعمة والنقود، رددن أدعية لها.. رَتلنَّ سورة الفاتحة بنية شفائها ومرضى المسلمين وغادرن.

****

الزغاريد تعج المكان، المهنئون من الأقرباء والأصدقاء يتوافدون للحفلة التي تحتضن عروس باهتة.. رشا بجانب هديل تغمرها السعادة.. هديل بثوبها التُفاحي وشعرها المسرح ووجهها الملون ببعض مساحيق التجميل تعتلي كرسياً مرتفعاً ليتسنى للجميع رشقها بنظرات سعيدة و أخرى مريبة.. اغتصبت ابتسامات وضحكات لأجل رشا.. بذاك اليوم؛ أخرجت صندوقاً.. شقت صدرها وأخرجت قلبها لتضعه فيه و أحكمت المقفال.. وبعد وقت طويل جداً من العذاب، جرت طقوس حفلة الخطوبة كما يجب!

تمر أيام وليالٍ والجميع يحرص على الانضمام الساعة التاسعة مساءاً لإسلام لايف للمناقشة، انقضى الشهر وعمر لا يزال يناقش غريب وهديل حتى يقنعهم أو يقتنع هو.. جُل تركيزهم على حواراتهم مع غريب، ينتقلون من موضوع لآخر، كلما أفرغوا كل ما بجعبتهم من أسئلة يرد غريب عليهم بإجابات منطقية مزودة بالدلائل القرآنية والنبوية.

من جهة أخرى؛ أراد عمر ألا يقدم على أي خطوة في حياته إلا وهو مقتنع بها تمام الاقتناع، لم يُزل هديل من قلبه أبداً رغم الاختلافات التي لم تعجبه.. ما تزال ذكراها تعيش في داخلة.. متذكراً كل لحظات السعادة التي جمعته بها في نطاق الأدب و الحياء.. فتاة شغوفة بالتعلم، طلتها مشرقة، وعينيها، ابتسامتها، عنفوانيتها تسرق أحاسيسه كُلما مر بخاطره اسمها.. لكنه أراد أن يتيح لنفسه ولها فرصة للتعمق بفكر الآخر أكثر والتريث لدراسة بعضهما البعض ومن ثم تقرير ما يجب عمله مما لا يجب.. و كان التطور ملحوظاً.. خفت حدة الكره و البغضاء في نقاشاتهم... عمر لايزال يأمل كثيراً بحل لمشكلتهما، لكنه لم يعرف بعد بأمر خطبتها الذي تخفيه!

تبشيرات بفرج قريب ينشده غريب في قرارة نفسه.. وهاهو بشير يبدأ المناقشة:

بشير / غريب! أريد أن أثبت لك أمراً، هديل.. من برأيك يستحق خلافة الدول الإسلامية ودول العرب ككل ؟!

بارادايس / لا أعلم مالذي ترمي إليه بشير.. ولكني سأجيب بمصداقية ما أعتقده.. إن آل البيت هم الأحق بالخلافة من بين كل الفئات .." وعترتي آل بيتي".

تروبيليفر / هذا تقديس زائد عن اللزوم لآل البيت.. أحذرك من الوقوع بالشرك دون أن تفقهي.. إن التعظيم الزائد لعلي والحسين يدخلك بدوامة الشرك!

غريب / التعظيم الزائد لأي بشر كان حتى لو كان نبياً يدخل الإنسان في الشرك دون أن يفقه ذلك.. ومن ناحية أولوية حكم البلاد لآل البيت.. فذلك لم يقل به الله عز وجل، بل قال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) سواء كان قبلياً أو من آل البيت أو من أية طائفة من المسلمين، فالويل لكل من يسفك الدماء بحجة أنه أولى الناس بالحكم.

بارادايس / يا إلهي😮 قل لي إذن، ما هي أركان التقوى.. هل توجد نقاط محددة تساعدنا حتى نتعرف بها على أتقى الناس، وماهو السبيل لدعوة الناس إلى الحق ؟!

غريب / لنكن فقط من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. ولو روضنا أنفسنا على العفو والتسامح لساد السلام بين البشر مهما كانت اختلافاتهم .. قال عز وجل " (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ). ثم إن الله لايحتاج لذاك العبد الذي يدعو بالصراخ حتى يصم الآذان.. ولا ينفك يُكفِّر الآخرين.. لنستشعر فقط الآيات التي توصينا باللين في الدعوة: " ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ".

وحتى وهو رسول الله خير البشر لو كان فظاً غليظاً لانفض الناس من حوله عز "(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ ..) وبسبب شيوخ الإسلام لهذا الزمان نفر الكثير من الناس من الإسلام، باعتقادهم بأنه دين الإرهاب.

يُبهرها كل ما يجيء به غريب.. بعد كل مناقشة معه.. تُحدث والديها عما يدور في إسلام لايف.. عن الفِكر المجدد للإسلام.. الذي هو أصل الدين، من يدعو للتعايش و السلام.. ينزعج الأبوان تارة و ترتخي أساريرهما له تارة أخرى.. و بين الخلط و التشويش و المزج بين إيجابيات المذاهب كلها التي توافق القرآن و العقل.. و نبذ سلبيات المذاهب كلها.. لا للطاعة العمياء لفكر واحد.. و لا لفرقة واحدة.. بل هي ثقافة المزج البناءة.. من تولد نسيجاً ملوناً بالوئام و المودة بين بنو الإنسان.. تتماهى شيئاً فشيئاً تلك التعصبات المتأصلة فيهم بفهم جديد لآي القرآن.. بالتركيز على فِقه ووعي آياته أكثر من تلحينها و حفظها.. وقفة عند آية تسترسل قراءتها بتمعن ليسود الوعي و الإدراك وترتقي أمم و أجيال نحو الحضارة.

*****

"أمام ألوان الناس، الشخصيات، المواقف، المبادئ، الطرق.. أغمض عينيك و افتح بصيرتك.. افتح بذات المفتاح قلبك؛ سترى ظلاماً دامساً يغطي فضاءك.. لا تيأس.. انظر ثانية، ركز.. ثمة خيطٌ من النور يتسرب من أحد الأركان.. ضوءه متقطع، خافت، يكاد صوته يُخرس.. تشجع وامضِ.. تيقن أنك لن تجد طريقاً أسوأ مما أنت فيه.. اركض، فربما تجد هناك عالمك الفاضل."

إسلام لايف مشغولة بالنقاشات لأكثر من سبعة أشهر.. كان الأعضاء و من بينهم جوزيف و مايكل يتوافدون حينما يسمعون عن مناظرات غريب وفهمه الواسع للإسلام بطريقة سلسة وواضحة لم يعتادوها من أحد.. غير مفاهيم كثيرة كانت متجذرة فيهم.. فقط بتزويده لهم بالدلائل القرآنية من الآيات المحكمات أم الكتاب و من سيرة الرسول الكريم الذي كان قرآناً يمشي على قدميه.. بإحدى الليالي المُقمرة.. الفضاء متألق بزينة النجوم المضياءة.. يبدو القمر فيها كملك على عرش البهاء و العزة.. ومضات القناديل الصفراء و البيضاء المنبثقة وسط الظلام بأرجاء بيوت العاصمة ممن يمتلكون مولدات للطاقة.. و أصوات عويل الكلاب تتخللها مواء قطط ضالة و حفيف أشجار.. تأملت هديل المشهد طويلاً.. سرحت بصمت في جمال الليل.. تتنقل عيناها في سكون يلم شتات قلبها في السماء.. راحة و بهجة تتخللانها.. تغلق ستارتها الذهبية و تكبس زر الضوء الممتد على طرف الغرفة.. إنه الوقت الموعود.. التقطت حاسوبها بلهفة لتستعد للمناقشة.. يستهل غريب الحوار عائداً لأول موضوع بدأوه ..(فُرقة المسلمين).. و بين الربكة التي أحدثها غريب، و إشعال حواسهم بالفوضى.. يحدث ما يشبه القرصة المؤلمة.. و لكن ألمٌ يصب في مصلحتهم.. علّهم يفوقون من سباتهم الذي طال أمده.. يُدرك الجميع أن خلافاتهم ماهي إلا غباء أفنت من أجلها أمم وراحت شعوب ضحيتها.. أمور قضى الله عز وجل حكمها في كتابه سابقاً : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [سورة البقرة ١٣٤] لم يتبقى عليه سوى دفعة بسيطة للوصول إلى ما يرنو إليه منذ أمدٍ طويل.

غريب / يا جماعة.. أنسيتم الآيات الكثيرة التي تحذرنا من الفرقة إلى طوائف وفرق كثيرة!

ترو بيليفر /أنسيت الحديث الشريف (اختلاف أمتي رحمة) كيف لك تجاهل الاختلافات بين الناس؟! لم يخلق الله لهم عقلاً واحداً.. هذا مستحيل.

غريب / أعلم أن العقول و الآراء لا يمكن توحيدها.. و لكن اختلاف الأمة الواحدة في الدين الواحد هو الكارثة.. تمعنوا نصوص القرآن الكثيرة التي تحذرنا من الوقوع في شباك الفرقة والطوائف والشيع.. قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ..) (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) لاحظوا تحذير الله تعالى لنا بألا نكون مثل المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كثيرة.. (إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) نحن أمة واحدة.. واحدة لا غير.. افقهوا ذلك أرجوكم.. إنني أُشهد الله ربي وخالقي كما أشهده رسولنا ومعلمنا الكريم بأني لست من الذين فرقوا دينهم في شيء.. قال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [سورة الأنعام ١٥٩]

باراديس / يا الله .. آيات كثيرة تحثنا على عدم الفرقة والشتات، متى سنستجيب لدعوى الله بعدم التأجيج والتكفير والبغض لبعضنا بعضاً، إني أُشهد الله بأني حنيفاً مسلمة ولست من الذين فرقوا دينهم في شيء.. لن نعود لعصر الجاهلية.. هذا مستحيل!!

ترو بيليفر / حسناً، ولكن اختلاف المسلمين حصل منذ زمن بعيد؛ أكثر من ألف عام.. جمع المسلمين على عقل واحد أمر مستحيل.. كيف لك إقصاء الحنفية و الشافعية و الحنبلية و المالكية و غيرها الكثير؟!

غريب / يا أخي.. أولئك العلماء أدوا اجتهاداتهم لفهم الدين.. و جزاهم الله خيراً على ذلك، أرادوا تيسير حياة الناس بجعلهم يفهمون الحلال من الحرام و مسائل شائكة كثيرة تجري في حياتهم، هذا الأمر لا نتحدث عنه.. و إن ما أقصده هو ما آل بحال المسلمين من بغض و تكفير لبعضهم بعضاً.. أُشعلوا أحقاداً و لو سنحت لهم الفرصة لنهش بعضهم لحم بعض من غِلٍ و كُره.. هم بذلك خالفوا الله و أغضبوه، يقول الله لهم بألا يتفرقوا أو ينقسموا لأحزاب و شيع كثيرة كما فعل الكافرون قبلهم.. و لكن للأسف الشديد ما نجده على أرض الواقع هو مخالفة أمر الله تماماً.

ترو بيليفر / ألا يستدعي من يكره الصحابة و أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم أن نمقته و نقوم بإقصائه بعيداً عن عالمنا الطاهر؟!

غريب / من يقوم بفعل ذلك هم قلة و لا يمثلون الشيعة بأكملهم، هنالك علماء للشيعة يستنكرون من يفعل ذلك و يعدونهم خارجين عن تعاليم الإسلام الحق.

ترو بيليفر / إذا كانت فئة قليلة لما الأمر منتشر عنهم هكذا، و الشيوخ في المساجد يواصلون إلقاء اتهاماتهم عن تلك الفرقة ؟!

بارادايس / أئمة المساجد هنا.. يواصلون بث الكراهية تجاه السنة أيضاً.. فعلاً، لِم يفعلون ذلك!
غريب/ هنا ! يستحسن عليكما إجابة سؤالكما بنفسيكما.. حينما أدركتمانه أخيراً فقد عرفتما الكثير.. افهما أولئك ممن يسمون أنفسهم علماء و شيوخ الأمة الذين من المفترض أن تكون مهمتهم لَمّ و توحيد شتات المسلمين.. علماء سُنة و شيعة يقومون بإمساك الثغرات الكثيرة التي تقوم بها الجماعات الأخرى و يؤججونها لبث الكراهية و الأحقاد بين أوساط فرقتهم... ديننا دين وسطية و اعتدال، أرجوكم فكروا قليلاً بهذه السورة"(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) سورة الكافرون . قال لنا بأن نترك الكافرين بحال سبيلهم و ليمارسوا ما شاءوا من دين و طقوس بحرية مُطلقة.. فلا إكراه في الدين.. على الله حسابهم و ليس نحن.. فما بالكم بمن يشهد ألا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله؟! فالإسلام أصل التعايش والسلام الإنساني في الأرض كُلها.. مهما كانت الاختلافات.. جعلنا الله شعوباً و قبائل كي نتعارف.. و نكمل بعضنا بعضاً.

جوزيف / شيعي أم سني.. فعلاً حيروني هؤلاء المسلمين، فكان الأحرى بي أن أصير ملحداً و كفى.

ترو بيليفر / لن أقول كلمة أخرى جوزيف.. أشعر بالأسى الكثير عليك أنك لم تجد من يملأ ظمأك الروحي و النفسي تماماً، نحن المسلمون جعلناك تحتار و تخاف على حياتك.

جوزيف / ههه ها، أفهمتني الآن ؟!

قالها تروبيليفر كخاتمة للحوار الطويل: "شيعياً كنت، صوفياً، حنفياً أم مالكياً أو أي شيء تكونه.. أنت مسلم، تعاملني باحترام وهذا كافٍ بالنسبة إلي، سأكنّ لك المثل وأكثر.. "يهودياً أو نصرانياً، بوذياً أو أياً كان دينك.. لونك.. جنسيتك.. أنت أخي في الإنسانية ووجب علي احترامك طالما أنك تحترمني! لن أقذفك بالشتائم و أحمل الضغينة والكره عليك مجدداً مهما اختلفت عني.. سأظل سُنياً ولكن كما يريدني ربي ورسولي الكريم محمد ﷺ، صبوراً، حكيماً، ورعاً، محباً للخير وللناس أجمع."

تمرُ الأيام ولكن بنفحات جديدة ، عطرها فواح فذٌ .. تفوح منها رائحة ذكية يلفها الصفاء.. مرت.. ولكن بنفوس نقية خالية من كل ترهات الأحقاد.. نفوسٌ واضحة لذواتها.. باتت تفهم مغزى ما تمارسه من طقوس لربها الفرد الصمد، تفهم حقيقة دينها المبني على المحبة.. الإخاء.. التعاون.

"الغيظ والكراهية" تجاوزت تلك النفوس عفن القلوب ذاك، وقررت الارتقاء بذواتها نحو ما يبتغيه ربها بالسعي بلم صفوف المسلمين ووحدتهم بالإحترام.. إنها نفوسٌ مطمئنة واثقة.. سياستها الصفح الجميل ونشر كل معاني الحب والصبر وتجاهل المسيئين والمستهزئين .. في العاشر من ديسمبر أي بعد شهرين.. تقبع بغرفتها متدثرة بغطائها الصوفي.. تشدُ عليه لتُلتحف الدفء.. تدرس لامتحان الغد.. فجأة، يُطرق باب غرفتها.. والدها عادل يُطل بوجهه البشوش و عمامته و ثوبه المكسو بالبياض:

- السلام عليكم .. كيف حال أميرتي - اليوم - قرة عين أبويها، أتذاكرين جيداً !!

ردت والبسمة تعلو محياها:

- وعليكم السلام .. تفضل أبي، كنت أحاول التركيز .. ليس امتحاناً مهماً على أية حال .. يقترب نحوها.. يهتف بهدوء:

- حسن يا ابنتي، أردت إخبارك بأمر، كما أريد منك التفكير ملياً قبل إعطاء أي رد .

–ماذا هنالك أبتي!!

- لا شيء، إنه فقط ... عريس جديد يطلب يدك، جاء والده وقال بأنه بحث عني صباحاً في المنزل ولم يجدني.. فدلوه على محل عملي .

- ومن يكون هذا العريس !! - اسمه عُمر عبد القادر.

انفرجت شفتاها بابتسامة غامرة توجت وجهها بإشراق كأميرة.. كانت متأكدة من عودته، حواسها كلها أشعرتها بذلك.. نبراته المتأسفة الموعدة بصفحة جديدة بيضاء أوحت إليها بالكثير.. كانت قد حكت لرشا كل ما جرى مؤخراً مع حوارهما مع غريب، استنتجت أن قلب صديقتها لم يعد يخفق إلا لحضور اسم عمر، دعت لهما بجمع الوصال، و بدأت تخطط لحفل زفاف مميز يليق بأميرين رائعين. لحظ والدها تلك الابتسامة.. لكنها ما لبثت أن تمالكت نفسها وردت بوقار ووجل مصطنعة اللامبالاة:

- فلتسأل عنه جيداً لشهر أو شهرين أو حتى عشرة.

ضحك الأب، قال و هو يخربش شعرها في شقاوة:

- سأضع بعين الاعتبار ابتسامتك تلك.. لن أنساها ما حييت، أسأل الله لكما التوفيق والفلاح.

- أوه.. أبي!!

تتردد بما يجول بخاطرها.. هتفت بسرعة و هي تُغطي عينيها خشية الجواب:

- أهو قبلي أم هاشمي.. أم.. ؟!

يقاطعها بضحكة مُجلجلة.. يصمت ليواصل بعدها:

- بل هو يمنيٌ مُسلم.

****

٦ ديسمبر

٢٠١٣ "

تشع ضحكاتهما بهجة.. صدى صوتهما يدوي في الرواق الطويل.. يسيران معاً.. بياض مزدان بالألوان يغطي فضاءهما.. تتموج الألوان في حدة فجأة.. ويتموج الرواق من حولهما بسرعة.. يضيق السقف فوقهما ليلتهم السواد القاتم المكان.. عيون وحش حمراء شريرة تبرز بذاك الظلام الحالك.. تصيح خائفة مرتعدة الفرائص و يديها متشبثتين بوالدها الذي يطوقها بكل قوته.. يقترب الوحش القبيح منهما مكشراً عن أنيابه الحادة.. يقترب أكثر.. و أكثر.. و أكثر.. تُطلق صيحة عنيفة و - تصمت - يتبادلان النظرات.. يمسكان أيادي بعضهما و يضحكان.. يرميا جسديهما المصطبغين بالحمار الكثيف بنظرات راضية.. تسمع زغردات متعالية.. تلتفت تبحث عن عُرس.. يمسك والدها بثوبها الأبيض المزركش.. تنظر لفستانها و تضحك.. يلتفتا للسماء.. يبتسما لبعضهما و يرفرفا بسرعة عالياً.

" ويُحكى أيها العم عبد الرحمن.. أن مدينة الإنسان غير موجودة على خارطة الأرض، وأن ألوان أبناء آدم باتت مشوهة وقبيحة جداً.. أما قلوبهم فقد هجرتها الرحمة منذ زمن... لتبحث عنها هناك في الأعلى.. قد رُبما تجدها!!

٦ ديسمبر ذكرى مجزرة مستشفى العُرضي *

تمت بحمد الله

شُكر و عرفان

إليكما جذوري المتأصلة فيّ.. جبلين شامخين..

كنتما ولا زلتما قدوتي العظيمة على مر السنين،

والدي الغالي "حسين"، و نبع الحنان أمي " عاتكة".

إليك مُلهمي الرائع.. شريك عمري ودربي إبراهيم.

إليكن صديقاتي العزيزات دوماً :

نسيم علي، منال التويتي، آلاء الرياشي.

و إلى كل أصدقاء الكتابة :

الكاتب القدير / محمد الغربي عمران.

الكاتبة / سيرين حسن.

جميع الحقوق محفوظة لدى الكاتبة.

أسمح بنسخ فقرات من الكتاب مع تدوين عنوان الكتاب واسم المؤلف.

"أمام ألوان الناس، الشخصيات، المواقف، المبادئ، الطرق.. أغمض عينيك و افتح بصيرتك.. افتح بذات المفتاح قلبك؛ سترى ظلاماً دامساً يغطي فضاءك.. لا تيأس.. انظر ثانية، ركز.. ثمة خيطٌ من النور يتسرب من أحد الأركان.. ضوءه متقطع، خافت، يكاد صوته يُخرس.. تشجع وامضِ.. تيقن أنك لن تجد طريقاً أسوأ مما أنت فيه.. اركض، فربما تجد هناك عالمك الفاضل."